

أَعْلَانُ مَرْقَاتِ نَيْسَابُورِ

الخصر
بين الواقِعِ وَالتَهْوِيلِ

تأليف

محمد خير رمضان يوسف

دار الصَّحَيفِ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م



للمناسبة بيطبعه ونشره علومه

١١٧٧٣: ١١٧٢١: ١١٧٧٣

الخصر
بين الواقع والتهويل

تقدیر

بقلم استاذي الفخیر

الشیخ علوان حقی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .
وبعد: فإن هذا الكتاب يبحث عن الخضر عليه السلام ..
عن حياته وسيرته وما قيل فيه . ولا أعلم أن أحداً تطرق إلى
حياته بمثل هذا التوسع في التحقيق وإخراجه في كتاب في
عصرنا الحاضر؛ رغم أن حياته - عليه السلام - تحيط بها هالة
من التقديس والتهويل، وتكتنفها المعجزات، وتستند إليها
الخوارق، ويقف تجاهها العقل عاجزاً عن تفسيرها، ولا يملك
إلا أن يسندها إلى خالق المعجزات ومدبر الكون سبحانه
وتعالى . ومرد هذا التقديس وهذا الإكبار لهذه الشخصية الفذة
راجع إلى إيماننا بكتاب الله تعالى وما ورد فيه لهذه الشخصية
من قصص يقف أمامها العقل عاجزاً عن التفسير، حتى إن
موسى - عليه السلام - وهو من أولي العزم - يحار في تفسير ما
أتى من أعمال ...

ونظرة في هذا الكتاب يتبين لنا الجهد الكبير الذي بذله
المؤلف حتى خرج وافياً كاملاً من جميع الجوانب، بأسلوب
جذاب، لا ينبو عنه الأديب، ولا يقصر عن فهمه المتعلم ..

فله منا الشكر والتقدير، ومن الله تعالى الأجر والثوبة. . هذا هو الكتاب.

أما المؤلف فهو: الشاب التقي الأستاذ محمد خير يوسف، خريج كلية الشريعة من جامعة دمشق. عرفته مذ كان على مقاعد الدراسة، وكان يتردد علي في جامع (حلوة) يحضر حلقات الدروس، ومجالس الذكر، مقبلاً عليها بكليته، يحاول أن يروي روحه ونفسه العطشى برحيق المعرفة والاطمئنان، وكنت ألاحظ عليه بعض الاضطراب النفسي الذي يعيش فيه آنذاك، فأدنيته مني، وفتحت له صدري، وأفسحت له مجلساً واسعاً من قلبي، وأثمر ذلك بفضل الله، أولاً وآخراً، فالتفت إلى الدعوة إلى الله بإخلاص وحكمة، مسخراً ما أنعم الله تعالى به عليه من علم في خدمة دينه ونيبه عليه الصلاة والسلام، فلا غرو أن يلتف حوله الشباب يلتمسون منه المشورة، ويأخذون عنه الكلمة الطيبة.

هذا هو المؤلف، وهذا كتابه الأول.

علوان حقي

تقريظ من العالم الجليل الملا إبراهيم ملا محمد الزقنكي

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
المصطفى، وعلى آله الشرفاء وأصحابه الحنفاً وأتباعهم أهل الوفا، وبعد:

لعل هذا الكتاب هو أول كتاب تقع عليه أعين القراء من
نوعه وموضوعه، قام بجمعه فضيلة الأخ الكريم والصديق
الحميم؛ محمد خير يوسف، بعد أن استشار أصحابه في جمعه،
فشمر عن ساعد العمل، ودأب بهمة ونشاط، باذلاً جهداً
مشكوراً في التقاط مسائل حياة وموت سيدنا أبي العباس الخضر
- عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم - من المصادر
والمراجع المختلفة، التي يعزُّ على طالب العلم منالها إلا بعد
علم ومشقة، فجاء سفيراً قيماً وعلماً مفيداً إن شاء الله تعالى.
إن كتابه هذا هو باكورة إنتاجه - على ما أظن - وثمرة عمله،
قد احتوى على ما يطلب في حق سيدنا الخضر من الاختلافات
في موته وحياته واجتماع صلحاء هذه الأمة به، واستقصاها من
مصادر متعددة، فجاء مجموعها حديقة غناء فاح أريجها. ولا
أنكر أنني اطلعت على هذا الكتاب في زحمة من الأعمال التي لم
تتح لي الوقت الكافي لاستيعابه بشكل كاف ولكنني مع هذا

أعترف بأنني وجدت أثناء مطالعته لذة وفائدة، إذ يقدم بسهولة للراغب في معرفة مسائل سيدنا الخضر من الوقائع والشائعات في هذا العصر مما يجعل القارئ الذي لم تتح له ظروفه الاطلاع على هذه المصادر فيجني بذلك راحة الضمير والاطمئنان النفسي الذي يحتاجه إنسان هذا العصر أكثر من أي شيء آخر. ولا شك في أن كثيراً من الناس في هذا العصر يرغبون في معرفة مسألة الخضر - عليه السلام - من جميع النواحي، ليكونوا على هدى في هذه المسألة. وكان الأخ الكريم محمد خير؛ مؤلف هذا الكتاب، أو بعبارة أصح جامع مادته، قد أدرك حاجة الشباب المثقف الواعي المؤمن إلى معرفة رأي العلماء، سلفاً وخلفاً، في هذه المسألة. فقام بهذا الجهد المضني، فألف هذا الكتاب، وهو كتاب جدير بالمطالعة، من قبل الخاصة والعامة. وسوف يجد كل قارئ في نفسه بعد مطالعته دافعاً إلى شكر صاحبه، داعياً له بالتوفيق، لا سيما إذا أخذ بعين الاعتبار أنه الكتاب الأول يراه في هذه المسألة. ولا يقولنّ قائل: إنه لم يأت بشيء جديد. ولكن كفى به جديداً أن يجمع نثار هذه المسألة بعد أن غاص في بحارها ليقدمها إلى قرائه الأعزاء درراً ناصعة، ويكفيهم مؤونة البحث والتنقيب، كي لا يجشموا أنفسهم متاعب الحصول عليها.

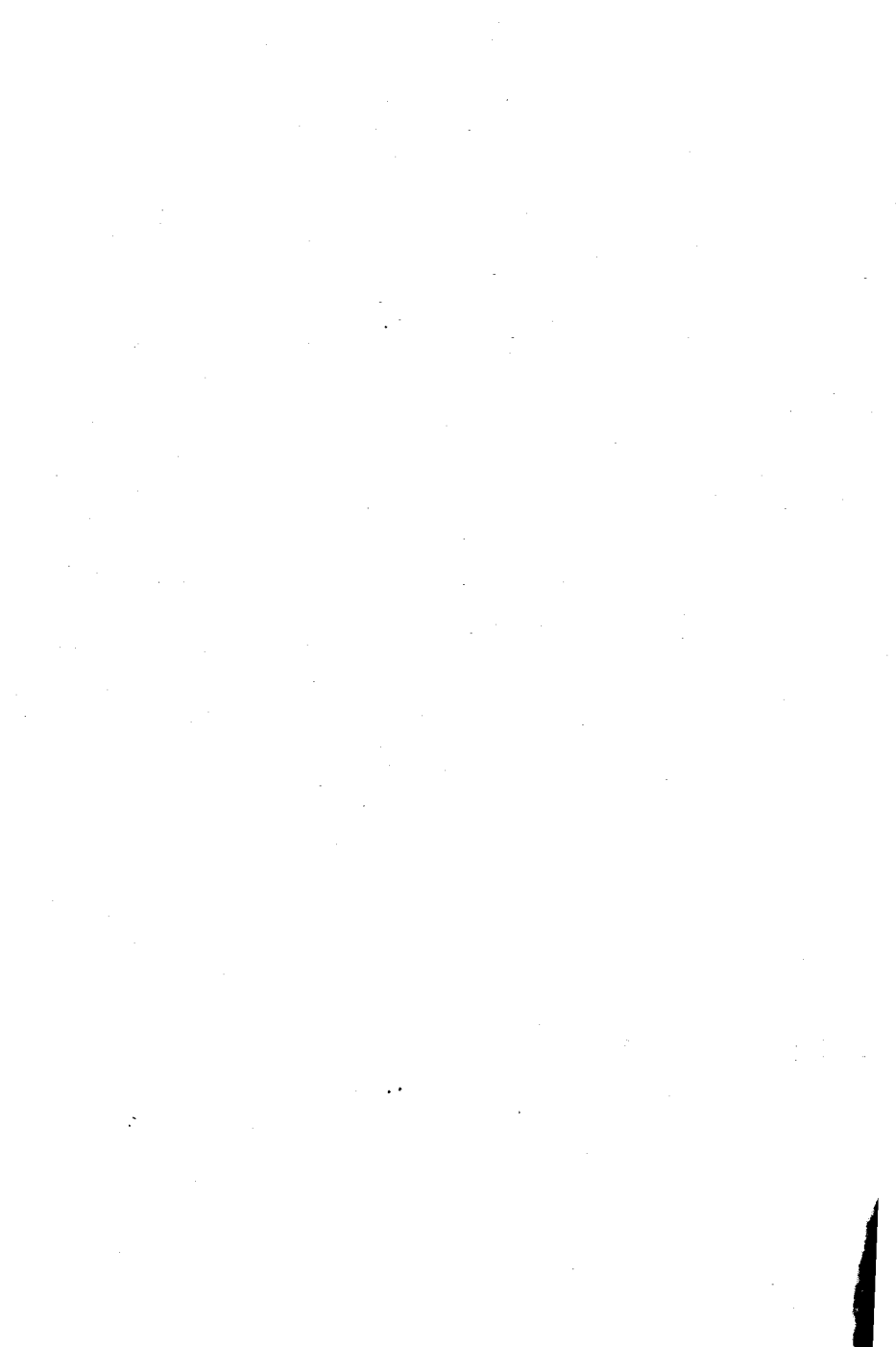
والله نسأل أن يبارك له في هذا العمل، وينفع به، وأن يلبسه ثوب القبول، إنه أكرم مسؤول وأفضل مأمول، والحمد لله رب العالمين.

ملا إبراهيم ابن ملا محمد الزئنگي البوطي
إمام الجامع الجديد في مدينة القامشلي

مدخل

بقلم الأستاذ

الشيخ عدنان حقي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أمر الخضر - عليه السلام - من الغيبيات التي توافرت عليه الأدلة من الكتاب والسنة ومن ثم فلا سبيل إلى اغفاله، ثم ان الناس ازاء هذه الغيبيات الحارقة صنفان: مؤمن وجاحد، فالؤمن يضيفها إلى صانع المعجزات لأنه الفاعل الحقيقي لها، وبذلك يطمئن قلبه ويوفر على نفسه مؤنة البحث عن هذه الظواهر وأسبابها، فيكفيه في ذلك اعتقاد أن الله بقدرته يخرق أحياناً النظام الذي سنه للكون لحكمة يشاؤها، أما الجاحد: فإنه حين يشاهد هذه الخوارق أو يسمع بها، ولا يسعه انكارها، يسعى مجتهداً إلى تفسيرها، لكنه لا يكاد يحظى بتفسير مادي يشعر معه ببرد الطمأنينة فيظل مشدوهاً أمام حتمية هذه الغيبيات، وقد أشار إلى هذا الارتباك وهذه الحيرة الدكتور (محمد صبحي أبو غنيمة) رحمه الله في كتابه القيم: (نظرة في أعماق الإنسان) صفحة (١٢٦) الجزء الأول، حين تكلم عن اضطراب الماديين أمام حتمية سبب الأمراض أو سبب شفاء بعضها بطرق لا تخضع لأساليبهم التي اقتنعوا بها، فقال رحمه الله: اتنا في البحث عن قدرة هذه الأسباب على

تفسير الأمراض نجد أن الأسباب الداخلية منها لا تفسر شيئاً سوى حتمية هي بحاجة إلى شرح أسبابها، من هنا ندرك بجلاء أن الماديين لا يكادون يهتدون في مثار تقع هذه الحيرة إلى بصيص من النور حول كنه الأسباب الغيبية للأمراض، لذلك فإن أقرب ما في متناولهم أن يسموها (أعجوبة) وينقل أبو غنيمة عن الدكتور الكس كارل أن هؤلاء الماديين انما يجارون لأنهم لا يعترفون ببعض الحقائق التي لا يسعهم نفيها، فيقول: والسر في هذا هو أن هناك حقائق غير ملموسة يجب أن توضع في الحساب، وينقل عن مذكرات الدكتور الكبير (برونكل) بصدد شفاء بعض المرضى عن طريق القراءة عليهم وما يشبه ذلك: بينما يستخف البعض بهذه الأعمال اذ بنا نجد أنفسنا حائرين مشدوهمين أمام نجاح بعضها مما يعسر علينا حله وتفسيره بنظرياتنا المعروفة، ويقول في مكان آخر من الكتاب: كل ذلك دليل على أن في الأمر سرّاً ظل العلم والطب منذ آلاف السنين ينتظر فهم الغازه وتفسير عجائبه، وفي نهاية المطاف يعود الدكتور أبو غنيمة ليضع الأمور في نصابها ويسند الحوادث إلى محدثها حين يقول في حادثة شفاء مريض أعيت معه الأدوية وكل الأساليب الحديثة عندما عاجله الدكتور (موكي) رئيس المستشفى الايطالي الاخصائي في الأمراض الداخلية: أنها يد الله امتدت الى هذا المريض فأنقذت حياته من بين برائن الموت وانتزعت انتزاعاً رغم يأس الأطباء. هذا وانني انما أتيت بهذه المقدمة ، لأدلل بها على أن حواسنا وحدها لا سبيل لها إلى ادراك كل الموجودات، فإن في كوننا

أموراً وعموم لا تدركها هذه الحواس؛ وآية ذلك أن روحنا التي
 نعني بها، لا نعلم حقيقتها، ولا سبيل إلى نكران أنه كلما
 اتسع أفق العلم، اتسع معه ميدان المجهولات، فليس من
 رجاحة العقل أن ننكر ما لا نراه أو لا نحس به، إذ لا يشترط
 من عدم الوجدان عدم الوجود، فعلينا اذن الايمان بالخضر
 وبكثير من أحواله التي قام عليها الدليل، ثم ان خوارق الخضر
 - عليه السلام - متأرجحة بين أن تكون معجزات أو كرامات،
 فإن قلنا انها معجزات فالخضر نبي، وان قلنا انها كرامات فهو
 ولي، ذلك لأن المعجزة والكرامة كلاهما أمر خارق للعادة،
 لكنها بالاضافة الى النبي: أمر خارق للعادة يظهر على يد
 مدعي النبوة عند تحدي المنكرين له على وجه يبين صدق دعواه،
 أما الكرامة فليس معها ادعاء النبوة، فالمعجزات مثل: الاسراء
 بسيدنا محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، والعروج به منها إلى
 السماء في ليلة واحدة، والاختبار بالمغيبات التي حصلت كلها،
 منها ما كان في حياته ومنها ما كان بعد التحاقه بالرفيق الأعلى؛
 ومثل احياء عيسى - عليه السلام - الموق باذن الله، وقلب عصا
 موسى حية تلقف ما يأفك الساحرون، وضربه بهذه العصا
 البحر فانجس منه الماء، ومثل إلقاء ابراهيم - عليه السلام - في
 النار وعدم احراقها اياه، بأن سلب الله تعالى قابلية الاحراق
 من النار وجعلها برداً وسلاماً. أما الكرامة فكوجود الطعام عند
 مريم والدة المسيح - عليه السلام - في المحراب، وكما جاء
 الذي عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس من اليمن إلى
 فلسطين في طرفة عين، وكما خاطب سيدنا عمر - رضي الله

عنه - قائد جيش المسلمين سارية من المدينة وسارية وجيشه بفارس في نهاوند، وكما شرب سيدنا خالد بن الوليد السم في مجال تحدي المشركين، ومثل ذلك الكثير الذي ينوء به الحصر وتحفل به المراجع. أما بعد: فقد ترجح لدى كون الخضر - عليه السلام - نبياً لا ولياً لقوة الأدلة التي ترجح جانب نبوته - عليه السلام -، وهذا ما ذهب الجمهور إليه، لقوله تعالى حكاية عن الخضر - عليه السلام - ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي عن رأيي واجتهادي، فكان يجوز في شريعة الخضر - عليه السلام - قتل الغلمان الكفار، لا سيما وقد اطلع الله الخضر - عليه السلام - على أن هذا الغلام ان عاش فسوف يلحق الأذى بوالديه ويجرهما إلى الكفر والعياذ بالله، فيستدل من مخالفة الخضر لموسى - عليهما السلام - أن الخضر نبي وأن شريعته مغايرة لشريعة موسى، وإلا لما وسعته مخالفة شريعته في قتل الغلام، وفضلاً عن ذلك فقد يستأنس في مجال اثبات نبوته بما سأورده مما سمعته من والدي قدس الله روحه ونور ضريحه وأنا صغير، إن الأولياء ينجلون من ظهور كراماتهم للناس وشيوع أنبائها وأن أحدهم ليحرص جاهداً على اخفاء كرامته كما تحرص المعصر على اخفاء حيضتها ولما اتسع تفكيري بعد سنين سألته عن سبب خجلهم من بدو الكرامة وشيوع أمرها، فقال نور الله ضريحه: إن الكرامة تكون للولي في بداية أمره تسلياً وتأنيساً، ليصل إلى نهاية المرحلة، فلا تشغله الشواغل، ويشبهون حال الولي بحال الصغار حينما يهدي إليهم ذوهم الهدايا، يستأنسون بها؛ فلهذا يحرص الولي على اخفاء خوارقه

لثلا يعلم عنه أنه لا يزال في البدايات، أما والأمر كذلك فإن
 الخضر - عليه السلام - خلال رحلته مع موسى - عليهما
 السلام - أظهر خوارق تعجب منها موسى على رسوخ علمه
 وعلو منزلته، فلو كان ولياً لما أقدم على اشهار نفسه، باظهار
 هذه الخوارق لكنه لما صدرت منه هذه الخوارق المعجزة دل
 ذلك على نبوته وأبعدت القول بولايته، ثم إنه مهما قيل في
 شأن الخضر - عليه السلام - وغرابة أطواره فلا سبيل إلى
 نكران ذاته وكثير من أحواله الغريبة التي خفيت على موسى،
 وكانت بالاضافة إلى الخضر - عليه السلام - أموراً عادية،
 والراجع أنه كان مأموراً بها، ثم إنني أرى أنه يجوز لنا أن
 نقول إن الله جلت حكمته أراد من اجتماعهما أن يرشد موسى
 - عليه السلام - إلى أن فوق كل ذي علم عليم.

هذا ما بدا لي من أمر الخضر - عليه السلام -، والله تعالى
 أعلم.

ثم إن ولدنا البار محمد خير طلب مني مراجعة الكتاب،
 وقد راجعته فألفيته قد جمع أخبار الخضر فأوعو، وأورد كثيراً
 من دقائقها، وهو بهذا العمل قد أسدى يداً بيضاء للقراء،
 أرجو الله أن يشبهه عليها، ولا يحرمني أجرها، فقد بذلت معه
 جهدي وصحبته في كل كلمة من هذا الكتاب ليأتي على أكمل
 وجه، وحسبي إنني توخيت التحقيق العلمي في كل أبحاث
 الكتاب بعيداً عن الارتجال والتهويل، نسأله تعالى أن ينفع به

وأن يوفق عزيزنا محمد خير في اخراج المزيد من هذه الأبحاث
والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

القامشلي:

كتبه

عدنان حقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين

المقدّمة

- من هو الخضر؟ ومتى ولد؟ .
- هل هو شخصية حقيقية أم خيالية؟ .
- وهل هو حي يرزق؟ وهل صحيح أنه يلتقي بالناس؟! .
- إنها تساؤلات كثيرة، لا نرى لها أجوبة كافية يعتمد عليها، ويحسم بها الخلاف؛ فقد كثّر الخلاف بين العلماء حول الخضر - عليه السلام - ؛ هل هو نبي، أم أنه رجل صالح؟ فإن كان نبياً، فمتى ظهر؟ وهل صحيح أنه سيخلد إلى يوم القيامة؟ ..
- وإن كان ولياً، فمن قال بذلك؟ وما دليله؟ وما سرُّ ولايته؟ .

وهل صحيح أنه التقى بالرسول ﷺ؟ أو روى عنه؟ .

كل هذا وغيره آراء منشورة في بطون الكتب، حشد لها أصحابها الأخبار التي تؤيدها..

وكم كان بودي أن تجمع هذه الخلافات في كتاب خاص، حتى لا يتشتت فكر الباحث، أو القارئ الذي يريد معرفة

حقيقة الأمر، وتذكر المراجع وآراء العلماء في ذلك. ويا حبذا لو تيسر هذا عن ذي القرنين ولقمان وعزير، لاضطراب الآراء فيهم. وإنه بهذا سيكون - المؤلف المأجور - قد أسدى يداً بيضاء، وعملاً مبروراً إلى المكتبة الإسلامية. ووفر على كثير من العلماء والقراء طاقات مبدولة ضائعة.. كان بإمكانهم توفيرها أو التخفيف منها لو أنها جمعت..

على أن معظم من يبحث في أمثال هذه الأمور المختلف فيها، لا يصل إلى جواب شاف، إما لقلّة المصادر، أو فقدانها، أو العثور على بحث غير مكتمل الجوانب..

هذا وأنا مع الجمهور بأن مشاكلنا الحالية، وما نحن فيه من بلاء ومحنة، لا يحلها البحث في مثل هذه الأمور، ولا يخفف من وطأتها، إن لم نقل: إنه بذل جهد فيما لا حاجة لنا به، أو إنه اشتغال بفروع تستجلب النظر في الخلافات البعيدة عن الواقع.. أقول: ذلك صحيح لولا خشية وقوع هذه الأخبار المنشورة في يد آئمة، تثير حولها الشكوك قبل أن تتحقق أخبارها، فكم استغل دهاقنة الغزو الفكري أمثال هذه الأبحاث قبل أن تجمع أشتاتها من قبل ذويها، فحوروها حسبما شاء لهم الهوى. أليس هذا بكاف على أن نبحث الإسلام من جميع جوانبه؟ وأن نكون بالمرصاد لكل غادر أثيم، يريد أن يبيث سموم التشكيك في عقول شبابنا الحائر، فيزيدهم نفوراً من الدين؟!..

ولا يذهبن بك الظنّ - عزيز القارىء - إلى أنني أتعمد

تعقيد الموضوع، وهو ما لا يستحق هذا كله. . أقول: لم يخظر هذا بيالي لولا أنني رأيت مرة بعضاً من طلاب الجامعة يتناقشون في الخضر - عليه السلام - فمنهم من يرى أنه ولي، ومنهم من يرى أنه حي، ومنهم من يقول بأنه ميت، أو أنه شخصية غابرة. لم يعد له أثر، وربما كان أسطورة، ومنهم من يناقش ويخالف بغير علم. .

هذا عدا عن أن أمثال هذه الأمور، تشيع بين العوام في حالات بعيدة عن الحقيقة، فينبغي على الداعية أن يدرك الحقيقة لينقذ الناس من شرك هذه الخلافات، فهو معرض في كل جلسة أن يتلقى سيلاً من الأسئلة عن أمثال هذه الأمور الغيبية، والشخصيات التاريخية البارزة، والتي ترد في القصص أكثر الأحيان ولا يخفى أن معظم العلماء كانوا يدعون لهذه الغيبيات، ويوقفون سائلهم فيها على وجه الحق.

وعلى كل حال، فإن الحديث عن الخضر - عليه السلام - حديث مشوق، لأنه شخصية تكاد تكون نادرة غريبة، لا يعرف حقيقة أمره إلا القليل، ولذلك فإن البحث عنه يستجلب النظر والانتباه. (وأنت تعلم أن الشيء كلما ندر كان الإخبار به وإفادته السامع أوقع في النفس، وأدعى إلى جذب الناس إليه)^(١).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للآلوسي ج ١٥ ص ٣٤١.

(قصتي مع الخضر):

إن الحديث والبحث عن الخضر كانا قد رافقاني منذ الصغر، ولكني لم أكن لأصل إلى نتيجة شافية.. وذلك لأننا ما كنا نعلم عنه سوى أنه حي منذ زمن بعيد، وأنه ليس له مقر، ولا يكاد يضع عصا الترحال عن عاتقه، وأنه ربما يلتقي ببعض الناس، في أماكن خالية.. فيلتقي بالعالم لولايته، ويرافق الصالح لتقواه، أو ينبه الغافلين ويساعد المقطوعين..

وكنا نتخيله رجلاً أبيض، صبيح الوجه، ذا لحية بيضاء، يلبس ملابس خضراء، وباستطاعته أن يغير من شكله كيفما يشاء..

واسمه المعروف في أوساطنا هو (خوجه خضر)، و (خوجة) كلمة فارسية معناها: الرجل الكبير، أو الشيخ، أو العالم.

(الباعث على التأليف):

هذا وإن الاهتمام به على فترات متقطعة، حسب ما كنا نسمع عنه، وعدم معرفتي الأخبار الصحيحة، وحب الاستطلاع عن هذه الشخصية المجهولة؛ أدى بي إلى البحث عن أخباره في بطون الكتب، للوصول إلى جلية أمره، وبيان ما خفي عن حياته، إلى أن وفقني الله تعالى إلى جمع هذا المؤلف.

ولكي تعم الفائدة، فقد هيأت وأعددت ما تحصل من تلك المعلومات للنشر.

وأثناء البحث والتفتيش، كنت أصطدم بخلافات ومناقشات

غريبة ومتشعبة . . . وكنت أجد صعوبة في ربط الأفكار، وجمعها من الكتب المتفرقة؛ وجاوت جاهدًا أن أنظمها في سمط البحث، حتى يجد القارئ الآراء منتظمة سهلة التداول، فلا يتشتت فكره.

(عملي في هذا الموضوع):

أما عملي في هذا الموضوع، فلم يتجاوز التنقيب عن الكتب التي تبحث عن الخضر - عليه السلام - وهي كتب التفسير والتاريخ. ومن ثمّ قسمت أبحاث الكتاب إلى فصول، فوزعت ما قرأت عليها. . . ولم أستطع الإفاضة في أكثر من ذلك؛ لأن الأمر لا يعدو ثقافة تاريخية مبثوثة في بطون الكتب. . . وما كان مني إلا أن استخرجتها، وعرضتها بأسلوب، أرجو أن يسرّ القارئ.

كما أنني أعقبت البحث بملاحظات وتنبهات يفيد القارئ توضيحها وبيانها.

وقد اتبعت في البحث أسلوب التحقيق والتدقيق أكثر من أسلوب سرد قصة شخصية. . . لأن المجال مجال معرفة صحة الخبر، والوصول إلى الحقيقة. . . كما أنني أسهبت فيه بعض الشيء، وذلك لأن إشارات الاستفهام كثيرة عن حياة الخضر وأعماله. فما كنت أنتهي من موضوع حتى أجدني أمام سؤال يطرح نفسه متحرياً للجواب. . . وهكذا أخذ الحديث يجر حديثاً آخر. . .

كما أنني أردت من وراء هذا الإسهاب أيضاً أن يصبح هذا

البحث بمثابة المرجع، مجال فيه المرء إلى المراجع التي يراد أن يعرف منها جليلة الأمر.. إذ أنني لا أعرف كتاباً حديثاً أو قديماً معروضاً في المكتبات عن هذا الموضوع.

وحاولت جاهداً أن أبين كل رأي قيل في الخضر، ولو كان ضعيفاً أو غريباً.. وذلك للأمانة العلمية في نقل آراء الآخرين مشفوعة بأدلتهم، وتوخياً لحرية الفكر، التي أتاحتها الشريعة حسب الاجتهاد، حين لا يكون هناك نص قاطع، وحينئذ لا مانع من إبداء الرأي في ضوء القياس والاستدلال والاستنتاج.. ومن ثم يأتي النقد والتمحيص، وبيان الرأي الصحيح - إن وجد - حتى لا يتشتت فكر القارئ ويبقى في حيرة من هذه الأقوال..

ولم أعر على كتاب خاص ألف في الخضر - عليه السلام - حتى يكون لي مرجعاً أساسياً أحال منه إلى آراء المؤلفين وكتاباتهم.. وأعتقد أن عدم الإقدام على التأليف في هذا الموضوع حديثاً يعود لثلاثة أسباب:

١ - عدم وجود مصادر خاصة تبحث فيه وتذكر وتبين القول الفصل.

٢ - صعوبة التأليف؛ وذلك لتزاحم الروايات واختلاف درجاتها.

٣ - عدم فائدته وأهميته. وخاصة أن الحديث عنه في هذه الأيام جُدُّ نادر، لعدم الحاجة إليه.

ولا يعني هذا أنه لم يؤلف في الخضر - عليه السلام - كتاب، بل ألف فيه ولكنه إما أن يكون قد فقد، أو أنه مخطوط ولم يطبع، أو أنه طبع ونفد.

ولم أجد بغيتي في كتاب أكثر من تفسير (روح المعاني) للعلامة الألوسي البغدادي - رحمه الله تعالى - لما فيه من مناقشات مسهبة لكل من يُعني بأخباره.. ولذلك فإني اعتمدت عليه أكثر من أي كتاب، لأنه (من أجل التفاسير وأوسعها وأجمعها، نظم فيه المفسر روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة، وألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة.. (١)).

وكان هناك أقوال وحوادث وحكم وملاحظات مبعثرة لم أجد لها مكاناً بين عناوين الكتاب، على التخطيط الذي وضعته، لكنني - لضرورة بعض المواضيع وأهميتها - بثتها ووزعتها في تفسير الآيات، عند قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - حتى يكتمل البحث.

وقد حاولت أثناء تفسير الآيات، أن أنقل ما ندر من التفسير، لتوضيح وتسهيل ما ضعب فهمه، أو كانت مواضعه غامضة..

(١) انظر: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير للدكتور: رمزي نعاة ص: (٣٤٠). ومن مميزات هذا التفسير أن الألوسي يحرص فيه الروايات، ويدقق فيه الأخبار، فيرفض الإسرائيليات رفضاً باتاً.. ويسمي أصحاب الإسرائيليات بأرباب الأخبار. انظر ص: (٣٤٠-٣٤١) الطبعة الأولى (١٩٧٠).

وقد اعتمدت على أمهات كتب التفسير لأجل ما ذكرت ..
لقد خضت في هذا العمل، وأنا أعلم بأنني لست أهلاً له ..
لوعورة مسالك تحقيق الروايات التاريخية والأمانة فيها، ذلك
لأن تحقيق الروايات ضرورة تتصل بالعقائد. ومن أجل ذلك
ينبغي التأكد منها.. ويتأكد هذا الشيء في التاريخ الإسلامي،
فإن التحري الذي يطلب فيه أشد وأكد، لأنه يتعلق بعقيدة
المسلم ..

وأخيراً أقدم شكري الجزيل للعالم القدير، علامة منطقة
الجزيرة، ومحبي السنة المنيرة، والقائم بين الناس بالأعمال
الرشيدة، والمتخلق بأخلاق السلف الحميدة، أستاذي
وشيخي؛ محمد علوان بن الشيخ إبراهيم حقي، مد الله تعالى
في حياته. وأقدم شكري الوافي للأستاذ الشيخ عدنان حقي،
الذي راجع لي هذا البحث الطويل عدة مرات، فتممّ ألفاظ
كلماته، وحسّن تراكيب جملة وأخرجه على خير وجه ..

كما أشكر الأخوين الجليلين: الملا إبراهيم الزفركي، والملا
يوسف سليمان، على مساعدتهم إياي في إخراج هذا البحث
على هذا النحو. ولا أنسى مجالسها العلمية واستفادتي منها،
حين عرضهم لآراء تاريخية، ومناقشات ثقافية إسلامية
أخرى ..

فلهم من الله تعالى حسن الجزاء والثواب .. وأرجو الله

تعالى أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وخدمة لدينه
العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أجمعين.

محمد خير يوسف

- سورية - القامشلي ١٤٠١ هـ.

تهيد

الكتب التي ألفت في الخضر - عليه السلام - :

وقد تبعت أسماء الكتب التي ألفت في الخضر - عليه السلام - في كشف الظنون. وذيله منذ عصر التأليف، وإلى تاريخ تصنيف ذلك الكتاب؛ بداية القرن الرابع عشر تقريباً فوجدتها ثلاثة عشر كتاباً، لم أقف على واحد منها، وهي:

١ - عجالة المنتظر في شرح حال الخضر، أبي الفرج عبد الرحمن بن الجزري (٥٩٧) (١).

٢ - قصة الخضر - عليه السلام -، شمس الدين محمد بن أحمد البساطي (٨٤٣) (٢).

٣ - الزهر في النضر في أنباء الخضر، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (٨٥٢) (٣).

(١) انظر كتاب: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى عبد الله،

المسمى بحاجي خليفة. ج ٢ ص (١١٢٥) وانظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤. والرقم المذكور في نهاية اسم المؤلف يدل على تاريخ وفاته.

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٢٧.

(٣) انظر كتاب: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي =

- ٤ - القول المنتصر على الدعاوى الفارغة بحياة أبي العباس الخضر، حسين بن الأهدل اليميني (٨٥٥) (١).
- ٥ - رسالة في الخضر - عليه السلام - وحياته، كمال الدين محمد بن محمد (٨٧٤) (٢).
- ٦ - الروض النضر في حال الخضر، قطب الدين محمد بن محمد بن عبد الله الخيضرى (٨٩٤) (٣).
- ٧ - الوجه النضر في ترجيح نبوة الخضر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١) (٤).
- ٨ - الروض النضر في الكلام على الخضر، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (١٠٣٣) (٥).
- ٩ - رسالة الأولياء وحياة الخضر وإلياس، عبد الأحد بن مصلح الدين النوري (١٠٦١) (٦).

= الكتب والفنون. تأليف اسماعيل باشا البغدادي ج ١ ص ٦١٩. وانظر كتاب: هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف اسماعيل باشا البغدادي ج ١ ص ١٢٩. وانظر كتاب: بستان العارفين للإمام النووي ص ١١٥. الطبعة الأولى.

- (١) ذيل كشف الظنون ج ٢ ص ٢٥٥.
- (٢) كشف الظنون ج ١ ص ٨٦٢.
- (٣) وقد تعقب عليه بعض اليمانيين، فردّ عليه في تأليف سماه (الافتراض لرفع الاعتراض) انظر كشف الظنون. ج ١ ص ٩٢١.
- (٤) كشف الظنون ج ٢ ص ٢٠٠١.
- (٥) ذيل كشف الظنون ج ١ ص ٥٩١.
- (٦) ذيل كشف الظنون ج ١ ص ٥٦٠.

١٠ - القول الدال على حياة الخضر ووجود الأبدال، نوح بن مصطفى الرومي (١٠٧٠)^(١).

١١ - كشف الخدر عن حال الخضر، أبي سعيد محمد بن مصطفى الخادمي (١١٧٦)^(٢).

١٢ - الجواب المحرر في الكشف عن حال الخضر والإسكندر، أبي العون محمد بن أحمد السفاريني (١١٨٨)^(٣).

١٣ - شذا العطر في سيدنا إلياس والخضر، محمد عارف بن سعيد المنيرّ الدمشقي (١٣٤٢)^(٤).

وقد عقد الحافظ ابن حجر فصلاً طويلاً عن الخضر في كتابه (الإصابة)، تعرض فيه لجوانب مما بحثناه في كتابنا. وقد وقفت عليه بعد أن تمّ تبييض الكتاب وتجهيزه للطبع، وأرجو أن أوفق في الاستفادة منه في طبعة قادمة إن شاء الله.

(١) ذيل كشف الظنون ج ٢ ص ٢٤٨.

(٢) ذيل كشف الظنون ج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) ذيل كشف الظنون ج ١ ص ٣٧٢.

(٤) ذيل كشف الظنون ج ٢ ص ٤٢.

(عزيزي القارئ):

ربما تلتقي بمواضيع وحوادث وتفسيرات غريبة عنك.. فلا تنس أنك بمصاحبة الخضر.. صاحب الخوارق والمظاهر العجيبة.. فموسى - عليه السلام -.. ذلك النبي العظيم، لم يصبر على تصرفاته.. بل كان ينكر ما يبدر منه أثناء لقاءها.. ولم يكن ليستسيغها إلى أن يخبره، فيهدأ ويعترف بأنه على حق!!

كما أنك ستجد معي آراء واختلافات كثيرة في هذا البحث.. فلا تكاد تمر على موضوع إلا ستجده مملوءاً بما ذكرت.. وستبقى هذه الأقوال والآراء ما لم يوجد نص؛ وربما وجد النص، لكنه قد لا يستوفي جميع جوانب البحث، أو أن يكون غير قطعي، أو أن يكون هناك اختلاف في فهم كلماته.. وهكذا.. تماماً كاختلافات المذاهب..

وستبقى هذه الأمور كذلك ما دام هناك إنسان يفكر ويبحث ويناقش.

وأودُّ أن أنبه إلى أن هذه الخلافات البسيطة لا تؤثر طالما أنه لا يوجد نصُّ قطعي.. فهي لا تورث أحقاداً وضغائن، لأن العلماء أدلوا بآرائهم في الفروع وقدموا فيها قياساتهم واستنتاجاتهم دون أي حرج، مع مراعاة الشروط الشرعية. وأثناء البحث والمناقشة قد ترد آراء لا دليل عليها، فينبغي أن لا يؤدي ذلك إلى نفور من أصحابها، أو تخرج منهم، فذلك داء يصاب به من لم يتشرب بمبادئ الإسلام، لأنه ينبغي أن لا يحجر على الفكر، بل يستحسن أن يطلق له العنان في حدود النصوص الشرعية.. ولولا ذلك لما رأينا هذه الذخيرة الفكرية الحية التي امتلأت بها المكتبة الإسلامية.

وإذا كان هناك حرية فكرية مقررة بحدود شرعية مركزية، كان هناك بالمقابل عمل ونشاط وبحث علمي متواصل..
(درس في الخلافات):

وبودي أن أسرد ما حدث مع عالم من المتأخرين على شاكلة هذه الأمور، وما أكثرها! وذلك للفائدة والعبرة، ولو أدى بنا ذلك إلى الخروج عن الموضوع الأساسي؛ فربَّ كلمة أورثت قارئها أو سامعها درساً هادياً يسير عليه مدى عمره. يقول هذا العالم الجليل في مذكراته:

.. وفي إحدى الليالي شعرت بروح غريبة، روح تحفّز وفرقة، ورأيت المستمعين قد تميز بعضهم من بعض، حتى في الأماكن. ولم أكن أبدا حتى فوجئت بسؤال:
ما رأي الأستاذ في مسألة التوسل؟!..

فقلت له: يا أخي! أظنك لا تريد أن تسألني عن هذه المسألة وحدها، ولكنك تريد أن تسألني كذلك عن الصلاة والسلام بعد الأذان، وفي قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، وفي لفظ السيادة للرسول ﷺ في التشهد، وفي أبوي النبي ﷺ وأين مقرهما؟ وفي قراءة القرآن، وهل يصل ثوابها إلى الميت أو لا يصل؟ وفي هذه الحلقات التي يقيمها أهل الطرق، وهل في معصية أو قربة إلى الله...؟.. وأخذت أسرد له مسائل الخلاف جميعاً، تلك التي كانت مثار فتنة سابقة، وخلاف شديد فيما بينهم. فاستغرب الرجل وقال: نعم، أريد الجواب على هذا كله. فقلت له: يا أخي! إني لست بعالم، ولكني رجل مدرس، أحفظ بعض الآيات، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب، وأتطوع بتدريسها للناس، فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أخرجتني، ومن قال: لا أدري. فقد أفتى، فإذا أعجبك ما أقول، ورأيت فيه خيراً فاسمع مشكوراً، أو إذا أردت التوسع في المعرفة فسأل غيري من العلماء الفضلاء المختصين، فهم يستطيعون إفتاءك فيما تريد، وأما أنا فهذا مبلغ علمي، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فأخذ الرجل بهذا القول ولم يجد جواباً، وأخذت عليه بهذا الأسلوب سبيل الاسترسال، وارتاح الحاضرون أو معظمهم إلى هذا التخلص، ولكني لم أرد أن تضيع الفرصة، فالتفت إليهم وقلت لهم: يا إخواني!.. هذه المسائل اختلف فيها المسلمون منذ مئات السنين ولا زالوا مختلفين، والله تبارك وتعالى لا يرضى بالفرقة والاختلاف فأرجو

أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الأمور الآن، وتجتهدوا في أن نتعلم أصول الدين وقواعده، ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة، وإرشاداته المجمع عليها، ونؤدي الفرائض والسنن، وندع التكلف والتعمق حتى تصفو النفوس، ويكون غرضنا جميعاً معرفة الحق، لا مجرد الانتصار للرأي، وحينئذ نتدارس هذه الشؤون كلها معاً، في ظل الحب والثقة والوحدة والإخلاص، وأرجو أن تتقبلوا هذا الرأي، ويكون عهداً فيما بيننا على ذلك. . واستمرّ درس الزاوية بعد ذلك بعيداً عن الجوّ الخلافى. وتخيرت بعد ذلك موضوعاً في معاني الأخوة بين المؤمنين كما اختار معنى من معاني الخلافيات التي لم تكن محل جدل بينهم، والتي هي موضع احترام الجميع، أطرقه واتخذ منه مثلاً لتسامح السلف الصالح رضوان الله عليهم^(١).

(١) ويقول ذلك العالم - رحمه الله تعالى - بعد ذلك: وأذكر أنني ضربت لهم مثلاً عملياً فقلت لهم: أيكم حنفي المذهب؟ فجاءني أحدهم فقلت: وأيكم شافعي المذهب؟ فتقدم آخر، فقلت لهم: ساؤم هذين الأخوين، فكيف تصنع في قراءة الفاتحة أيها الحنفي؟! فقال: أسكت ولا أقرأ. فقلت: وأنت أيها الشافعي! ما تصنع؟ فقال: اقرأ ولا بد. فقلت: وإذا انتهينا من الصلاة فما رأيك أيها الشافعي! في صلاة أخيك الحنفي؟ فقال: باطلة، لأنه لم يقرأ الفاتحة، وهي ركن من أركان الصلاة. فقلت: وما رأيك أنت أيها الحنفي في عمل أخيك الشافعي؟ فقال: لقد أتى بمكروه محرماً. فقلت: هل ينكر أحدكما على الآخر؟ فقال: لا. فقلت للمجتمعين: هل تنكرون على أحدهما؟ فقالوا: لا. فقلت: يا سبحان الله! يسعكم السكوت في مثل هذا، وهو أمر بطلان الصلاة أو صحتها، ولا يسعكم أن تتساحوا مع المصلي إذا قال في التشهد: اللهم! صلّ على محمد، أو اللهم! صلّ على سيدنا محمد. وتجعلون من ذلك خلافاً تقوم له الدنيا وتقعده؟ =

= وكان لهذا الأسلوب أثره، فأخذوا يعيدون النظر في موقف بعضهم من

بعض...

وعلموا أن دين الله أوسع وأيسر من أن يتحكم فيه عقل فرد أو جماعة،
وإنما مرد كل شيء إلى الله ورسوله، وجماعة المسلمين وإمامهم، إن كان
جماعة أو إمام..

الفصل الأول

ويشمل:

اسمه،

نسبه،

لقبه،

كنيته

اختلف في اسمه - عليه السلام - فقد ذكر ابن قتيبة في (المعارف) (١) أن اسم الخضر (بليان بن ملكان) (٢). وذكرت له أسماء أخرى، منها: (إيليا، والمعمر، وأرميا، وخضرون، وبلييا، وابلييا، وعامر، وأحمد) (٣).

(١) كتاب المعارف في التاريخ لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفى سنة (٢٦٧). انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٢٤.
(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ج ١ ص ١٧٦، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩.

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٢٦ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩. أما ما قيل من أن اسمه (أحمد) فقد وهاه ابن دحية. وذلك أنه لم يسم قبل نبينا - صلى الله عليه وسلم - أحد من الأمم السالفة بأحمد. وزعم بعضهم أن اسم الخضر (اليسع) وأنه إنما سمي بذلك لأن علمه وسع ست سماوات وست أرضين، وهواه ابن الجوزي. وقال العلامة الالوسي: وأنت تعلم أنه باطل لاواه، ومثله القول بأن اسمه (إلياس). راجع روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩. فقد ورد في الفتح الكبير في حديث ابن عباس الذي أخرجه ابن مردويه أن (الخضر هو إلياس). انظر الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، وهما للجلال السيوطي ج ٢ =

نسيبه :

وكما أنهم اختلفوا في اسمه، فقد اختلفوا في اسم أبيه أيضاً على هذه الأقوال، فقيل: (ملكان، كليان^(١)، عاييل^(٢))، قابل، فرعون، ابن بنت فرعون، طيفاء، مالك^(٣).

وقد أخرج الدارقطني في (الأفراد)، وابن عساكر من طريق مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس: أنه ابن آدم لصلبه^(٤). وفي فتح الباري أن هذا الحديث ضعيف منقطع^(٥). وكذلك في إرشاد الساري^(٦).

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الدارقطني عن ابن عباس قال: الخضر ابن آدم لصلبه، ونسيء له في أجله. قال ابن كثير: وهذا منقطع غريب^(٧). وذكر أبو حامد السجستاني

= ص ١٠٥. جمع وترتيب الشيخ يوسف النبهاني، نشر دار الكتاب العربي. وانظر الاختلافات في أسماء الخضر - عليه السلام - في فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩.

(١) وقيل كليمان. انظر تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٦ (٢) أو عاميل.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي البغدادي ج ١٥ ص ٣١٩.

(٥) فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩.

(٦) إرشاد الساري في شرح أحاديث البخاري تأليف أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني ج ٥ ص ٣٨٤.

(٧) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٢٦.

في (المعمرين)^(١): أنه ابن قابيل بن آدم. رواه عن أبي عبيدة وغيره^(٢). وأوصل وهب بن منبه نسبه إلى سام بن نوح - عليه السلام -^(٣). وقيل: إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر. قال ابن كثير: وهذا غريب جداً^(٤). وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيب: أن أمه رومية وأباه فارسي. ولم يذكر اسمه، وذكر أن إلياس أخوه من هذه الأم وهذا الأب^(٥). وأخرج الطبري عن عبد الله بن شوذب قال: الخضر من ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل^(٦).

ولم أر من ذكر أنه ابن إلياس إلا في (الموسوعة العربية الميسرة) وهو قول ليس له أصل في الكتب التاريخية^(٧).

(١) كتاب (المعمرين) تأليف سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني من كبار العلماء باللغة والشعر. من أهل البصرة، له نيف وثلاثون مؤلفاً توفي سنة (٢٤٨). انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٤٣ الطبعة الرابعة ١٩٧٩.

(٢) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩. وارشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٤.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠. قال ابن قتيبة في (المعارف): قال وهب بن منبه: اسم الخضر: بليان بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشد ابن سام بن نوح. انظر تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٦ وانظر تاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦، وفيه أن ابن الجوزي قال: رواه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة وهما ضعيفان.

(٥) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠ والبداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩.

(٦) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٧) انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٥٨.

وبعد تلك الأقوال، قال العلامة الألوسي: ولم يصح عندي شيء من هذه الأقوال، بيد أن صنيع النووي - عليه الرحمة - يشعر باختيار أنه بليا بن ملكا^(١). وهو الذي عليه الجمهور، والله تعالى أعلم^(٢).

لقبه:

والخضر لقبه، وهو بفتح أوله وكسر ثانيه، أو بكسر أوله وإسكان ثانيه، ثبتت بهما الرواية، وبإثبات الألف واللام فيه وبحذفهما^(٣).

ولقب به كما أخرج البخاري وغيره عن رسول الله ﷺ لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء^(٤).

(١) أو (بليان بن ملكان) كما في فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي ج ١٥ ص ٣٢٠.

(٣) انظر فتح الباري ج ١ ص ١٥٤ وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي

ج ١ ص ١٧٦ وانظر مختار الصحاح مادة (خضر) وإدخال اللام على

الخضر مع كونه عَلَمًا لأن العلم قد يتأول بواحد من الأمة المساوية، فيجري

مجرى «رجل» و «فرس» ثم بعض الأعلام يلزمه دخول اللام نحو: النجم

للثريا، وبعضها لا يلزمه نحو: الحارث، والخضر من هذا القسم. وأيضاً

العلم إذا لوحظ فيه معنى الوصف يجوز إدخال اللام عليه، كالعباس

والحسن وغيرهما. انظر حاشية منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص

١٢٤ تأليف أويس وفا بن محمد بن أحمد بن خليل بن داود الأرنجاني طبعة

١٣٢٨هـ.

(٤) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩ والتاج الجامع للأصول في أحاديث

الرسول صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ١٧١ للشيخ منصور علي ناصف

من علماء الأزهر. وانظر تاريخ الطبري ج ١ ص ١٩٤ وروح المعاني ج

١٥ ص ٣٢٠.

وأخرج ابن عساكر وجماعة عن مجاهد: أنه لقب بذلك لأنه إذا صلى اخضرَّ ما حوله. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن ذلك لأنه كان إذا جلس في مكان اخضرَّ ما حوله، وكانت ثيابه خضراً. وأخرج عن السدي: أنه إذا قام بمكان نبت العشب تحت رجله حتى يغطي قدميه. وقيل: لإشراقه وحسنه. والصواب كما قال النووي^(١).

أي: أنه إذا جلس على فروة^(٢) بيضاء، اهتزت من خلفه خضراء^(٣).

وبعد أن أورد ابن كثير هذه الأقوال في سبب لقب الخضر قال: (إن هذا لا ينافي ما ثبت في الصحيح فإن كان لا بد من الدليل، فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى، بل لا يلتفت إلى ما عداه^(٤)).

كنيته:

وكنيته (أبو العباس) كما وردت في مصادر عدة^(٥).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩.

(٢) الفروة: هي وجه الأرض، أو الحشيش الأبيض وما أشبهه، يعني الهشيم

اليابس، انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩

(٣) وذكر الحافظ ابن حجر هذه الأقوال، وأورد أيضاً عن ابن الأعرابي أن الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه. فتح

الباري ج ٦ ص ٣٠٩.

(٤) انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٧.

(٥) انظر تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٦ وفتح الباري ج ٦ ص

٣٠٩. والبداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٧ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩.

وربما دار بخلدنا أن نسأل: لماذا لم يذكر الله تعالى اسم الرجل الصالح في قصة موسى حتى تنحل المشكلة وينتهي هذا الخلاف؟ فما الحكمة من ذلك إذن؟ ..

يجيبنا صاحب الظلال عن هذا أثناء تفسيره للقصة في سورة الكهف: (. . . ونحن أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سرّاً، وموقفنا منها كموقف موسى! بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة، فلم ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا. وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة، لا تراها العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها . . .)^(١).

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٩٩ سيد قطب. الطبعة الخامسة.

الفصل الثاني

بداية حياة

بداية حياته

قال أبو جعفر الطبري: كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك ابن أنفیان^(١) في عامة أهل الكتاب الأول.. . وقيل: إنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان أيام إبراهيم خليل الرحمن ﷺ وهو الذي قضى له ببئر السبع، وهي بئر كان إبراهيم احتفرها لما شئته في صحراء الأردن. وإن قوماً من أهل الأردن ادعوا الأرض التي كان احتفر بها إبراهيم بئر، فحاكمهم إبراهيم إلى ذي القرنين الذي ذكر أن الخضر كان على مقدمته أيام سيره في البلاد^(٢).

وقال آخرون: ذو القرنين الذي كان على عهد إبراهيم ﷺ هو (أفريدون ابن أنفیان) قال: وعلى مقدمته كان الخضر^(٣).

وزعم بعضهم: أنه من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل

(١) هو جد (منوشهر) الذي كان ملكاً على فارس زمن موسى - عليه الصلاة والسلام - . انظر أخبارهم في تاريخ الطبري ج ١ ص ١٩٤ وما بعد.

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٨ .

(٣) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٨ .

الرحمن، واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها^(١).

وذكر أبو إسحاق الثعالبي الاختلاف في أن الخضر هل كان في زمن إبراهيم الخليل - عليه السلام - أم بعده بكثير^(٢).

وقد ورد أيضاً ما يدل على أنه من بني إسرائيل في زمان فرعون^(٣).

ويقول بعض أهل التفسير: إنه والإسكندر المقدوني ابنا خالة، وكان وزيره. وهو قول جاهل، لأن الإسكندر كان بعد موسى بأكثر من ألف سنة! فكيف يكون ابن خالته معاصراً لموسى رسول الله^(٤)؟ وقال ابن جرير: والصحيح أنه كان متقدماً في زمن (أفريدون بن أثفيان) حتى أدركه موسى - عليه السلام -^(٥).

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٢) أورد هذه العبارة الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وفتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩. وقد ساق مصنفه أقوالاً من بينها ظهر أن الخضر ولد قبل إبراهيم - عليه السلام - وانظر: ارشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٣.

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦. قيل: كان من أشرافهم. انظر رواية قصة حياته في المصدر المذكور وص: ٣٢٧.

(٤) انظر كتاب (قصص الأنبياء) ص ٢٩٦ تأليف عبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة.

(٥) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦. وعبارة الطبري هي: (وقول الذي قال: إن الخضر كان في أيام (أفريدون) وذي القرنين الأكبر قبل موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله من قال: إنه كان =

وقال ابن إسحق: بلغني أنه استخلف الله عز وجل في بني إسرائيل رجلاً منهم يقال له: (ناشية بن أموص). فبعث الله عز وجل لهم الخضر نبياً. قال: واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل - (أورميا بن خلقيا) وكان من سبط هارون بن عمران (قال ابن جرير: وبين هذا الملك الذي ذكره ابن إسحق وبين (أفريدون) أكثر من ألف عام. قال: فلم يبعث في أيام إبراهيم ﷺ نبياً، وبعث أيام (ناشية بن أموص) وذلك أن (ناشية بن أموص) - الذي ذكره ابن إسحق أنه كان ملكاً على بني إسرائيل - كان في عهد (بشتاسب بن لهراسب). وبين (بشتاسب) و (أفريدون) من الدهور والأزمان ما لا يجهله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم^(١).

ولم يقبل ابن جرير ما قيل من أن اسم الخضر (أورميا بن خلقيا). لأن (أورميا) كان في أيام (بختنصر) وبين عهد موسى و (بختنصر) من المدة ما لا يشكل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم^(٢).

وقد روى الحافظ ابن عساكر بإسناده إلى السدي: أن الخضر وإلياس كانا أخوين، وكان أبوهما ملكاً، فقال إلياس

= على مقدمة ذي القرنين صاحب إبراهيم... انظر تاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٨. وقيل: إنه الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه. تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٤. وهذه الآراء المختلفة تدل على أنه لم ترد بشأنه أحاديث صحيحة يستند عليها.

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٩٤.

لأبيه: إن أخي الخضر، لا رغبة له في الملك. فلو أنك زوجته لعله يجيء منه ولد يكون الملك له. فزوجه أبوه بامرأة حسناء بكر. فقال لها الخضر: إنه لا حاجة لي في النساء، فإن شئت أطلقت سراحك، وإن شئت أقميت معي تعبدين الله عز وجل، وتكتمين علي سري. فقالت: نعم. وأقامت معه سنة. فلما مضت السنة دعاها الملك فقال: إنك شابة، وابني شاب فأين الولد؟ فقال: إنما الولد من عند الله، إن شاء كان وإن لم يشأ لم يكن، فأمره أبوه فطلقها. وزوجه بأخرى ثيباً قد ولد لها، فلما زفت إليه قال لها كما قال للتي قبلها، فأجابت إلى الإقامة عنده. فلما مضت السنة سأها الملك عن الولد فقالت: إن ابنك لا حاجة له بالنساء، فطلبه أبوه فهرب، فأرسل وراءه فلم يقدروا عليه. (١).

وورد ما يشبه هذا في (روح المعاني). فقد أخرج ابن عساکر عن أسباط. عن السدي: أنه ابن ملك من الملوك، وكان منقطعاً في عبادة الله تعالى، وأحبَّ أبوه أن يزوجه، فأبى ثم أجاب، فزوجه بامرأة بكر فلم يقربها سنة، ثم بثب فلم يقربها، ثم فرَّ. فطلبه فلم يقدر عليه، ثم تزوجت امرأته الأولى، وكانت قد آمنت، وهي (ماشطة) امرأة فرعون، ولم يذكر اسم أبيه.

وقيل: إنه ابن فرعون. - على ما قيل إنه أبوه - وسبحان

(١) انظر تمة القصة في البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣١ ولم يعلق عليها ابن كثير رغم أنه لم يثبت بسند صحيح أن الخضر هو أخو الياس. وانظر هذه الحكاية مختصرة جداً في تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ١٤٧.

من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي^(١).

وأورد الإمام القرطبي في تفسيره أقوالاً عن الخضر وبداية حياته، منها أن أباه كان ملكاً، وأن أمه كانت بنت فارس واسمها (المى) وأنها ولدته في مغارة، وأنه وجد هناك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية، فأخذ الرجل فرباه، فلما شبَّ وطلب الملك (أي : أبوه) كاتباً، وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي أنزلت على إبراهيم وشيث، وكان ممن أقدم عليه من الكتاب، ابنه الخضر، وهو لا يعرفه، فلما استحسن خطه ومعرفته، وبحث عن جلية أمره عرف أنه ابنه، فضمَّه لنفسه وولاه أمر الناس. ثم إن الخضر فرَّ من الملك لأسباب يطول ذكرها، إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها..!(٢).

(١) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣١٩.

(٢) تفسير القرطبي جـ ١١ ص ٤٤. وانظر هذه القصة في (روح البيان في تفسير القرآن) للشيخ اسماعيل حقي جـ ٢ ص ٤٩٧ - ٤٩٨. هذا وقد كان الإمام النووي أيضاً يقول: إن الخضر من أبناء الملوك. تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ١٧٦.

الفصل الثالث

هل نخضرنبي أم لا ؟

من هو الخضر؟! :

قال أفضى القضاة (الماوردي) في تفسيره: قيل: هو ولي.
وقيل: هو نبي. وقيل: إنه من الملائكة^(١). وهذا الثالث
غريب ضعيف أو باطل^(٢). وقال ابن كثير: (وأما كونه ملكاً
من الملائكة فغريب جداً)^(٣). وقال الإمام النووي: (قيل: كان
ملكاً من الملائكة. وهذا غلط)^(٤). والصحيح أنه من البشر لا
من الملائكة^(٥).

-
- (١) وهو حكاية السهيلي عن قوم: أنه كان من الملائكة وليس من بني آدم. انظر
فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٤.
- (٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وصحيح مسلم بشرح
النووي ج ١٥ ص ١٣٦ وفتح الباري ج ٦ ص ٣١٠.
- (٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٨.
- (٤) انظر المجموع (شرح المهذب) للإمام النووي ج ٥ ص ٣٠٥. مطبعة
التضامن الأحوي.
- (٥) انظر الدرر النقية في المطالب الفقهية تأليف رشيد الراشد ص ١٤٢ طبعة

١٣٨٩

القول بولايته :

ذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً^(١).

فالجمهور على أن الخضر نبي، وقال غير الجمهور: إنه رسول. وقال آخرون: إنه ولي. وعليه الكثير^(٢). يقول الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته، باب اثبات كرامات الأولياء: لم يكن الخضر نبياً، وإنما كان ولياً^(٣). وبالغ اليافعي - رحمه الله تعالى - فقال: (. . . .) مع كون الخضر ولياً لا نبياً عند جمهور العلماء، وعند جميع العارفين بالله تعالى^(٤). والحق أنه عند الصوفية المحققين ولي وغير نبي، كما أفاده صاحب روح البيان^(٥).

قال الإمام النووي: وهذا - أي: القول بولايته - خلاف المختار^(٦).

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩.

(٢) قصص الأنبياء تأليف عبد الوهاب النجار ص ٢٩٦. وفي (غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول): أن الخضر نبي، أو ولي، وعليه الجمهور. انظر التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٧١. الهامش.

(٣) الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ١٦١. الناشر دار الكتاب العربي - بيروت. وانظر حاشية العروسي على شرح زكريا الأنصاري للرسالة القشيرية ج ٤ ص ١٦١.

(٤) انظر كتاب (نشر المحاسن الغالية) للإمام اليافعي ص ٤٨ و ٧٠ وهو كتاب في التصوف. الطبعة الأولى ١٣٨١.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٩٨.

(٦) انظر بستان العارفين للإمام النووي ص ١١٥ الطبعة الأولى. قال هذا بعد أن أورد الخلافات. وللزيادة راجع المجموع (شرح المهذب) للإمام النووي أيضاً ج ٥ ص ٣٠٥.

وقد سئل الفقيه محمد الرملي في فتاويه عن الخضر - عليه السلام - فقال: الصحيح كما قاله جمهور العلماء نبي، لقوله تعالى: «وما فعلته عن أمري»^(١). ولقوله تعالى: «وآتيناه رحمة من عندنا»^(٢). أي: النوحى والنبوة، وإن خالف بعضهم فقال: لم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم^(٣).

نبي أم رسول؟:

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: (وهو نبي، واختلفوا في كونه مرسلًا)^(٤). أي: هل هو نبي فقط أم أنه نبي رسول؟^(٥). قال الإمام النووي: (والذي عليه الأكثرون أنه كان نبياً، وقيل: كان نبياً رسولاً)^(٦).

وفي حديث لصاحب (الفتوحات المكية) عن حياة الأنبياء، ذكر منهم الخضر وبين أنه رسول، إلا أن العلامة الألوسي عقب بقوله: (وعلم منه القول برسالة الخضر - عليه السلام -

(١) الكهف (٨١).

(٢) الكهف (٦٥).

(٣) انظر الدرر النقية في المطالب الفقهية ص ١٤٢.

(٤) انظر تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧. وفيه علق النووي وقال:

كذا قاله بهذه الحروف غير الشيخ من المتقدمين.

(٥) والفرق بين النبي والرسول: هو أن النبي يوحى إليه كما يوحى إلى الرسول، إلا أنه لم يؤمر بالتبليغ والرسول مأمور به. فكل رسول نبي ولا عكس. انظر بالتفصيل: (النهاية) لابن أثير ج ٤ ص ١٢٠ وكذلك تحفة الريد على جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم بن محمد البيجوري ص ٦ الطبعة الأخيرة ١٣٥٨.

(٦) انظر بستان العارفين للنووي ص ١١٥ الطبعة الأولى.

وهو قول مرجوح عند العلماء^(١).

ويقول أبو إسحق الثعالبي المفسر: (والخضر على جميع الأقوال نبي معمر، محجوب عن الأبصار)^(٢). فهو نبي على المشهور^(٣)، وعند جماهير العلماء^(٤).

ولعله لا يستقيم القول برسالته. لأنه لو كان حياً - على قول من يقول بحياته - فعليه أن يقوم بواجب التبليغ، كما هو شأن الرسول، وهو لا يبلغ بالاتفاق، فهو ليس برسول إذن.

دلائل نبوة الخضر عليه السلام

ودلائل ولايته

١ - دلائل نبوته:

لقد ذهب عامة المفسرين إلى أن كلمة «رحمة» في الآية: «وآتيناه رحمة من عندنا» بمعنى النبوة. ففي تفسير النسفي قال: بأنها الوحي والنبوة، أو العلم، أو طول الحياة^(٥). وفي (روح

(١) انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٩ دار الفكر - بيروت ١٣٩٨.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٣٦ ويستأن العارفين ص ١١٥.

(٣) انظر كتاب (أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب) للإمام العالم العامل: محمد ابن السيد درويش ص ٢٩٦ - ٢٩٧. وانظر أيضاً تفسير روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠.

(٤) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ اسماعيل حقي ج ٢ ص ٤٩٨.

(٥) تفسير النسفي الآية (٨٢) من سورة الكهف.

(المعاني): قيل: المراد بها الرزق الحلال، والعيش الرغد. وقيل: العزلة عن الناس وعدم الاحتياج إليهم. وقيل: طول الحياة مع سلامة النية. والجمهور على أنها الوحي والنبوة^(١). وكذلك في (الكشاف) للزمخشري^(٢).

وفسر النسفي قوله تعالى في نفس الآية: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ بمعنى الإخبار بالغيوب وقيل: العلم اللدني. وفي آخر القصة يأتي قوله تعالى حكاية عن الخضر: «وما فعلته عن أمري» أي: ما فعلت ما رأيت «عن أمري» عن اجتهادي، وإنما فعلته بأمر الله^(٣). وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور، والآية تشهد بذلك، لأن النبي ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء^(٤).

وقال المازري^(٥): اختلف العلماء في الخضر، هل هو نبي أو ولي؟، واحتج من قال بنبوته بقوله: «وما فعلته عن أمري» فدل على أنه نبي أوحى إليه، وبأنه أعلم من موسى، ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي^(٦).

(١) زوج المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠.

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٧٥.

(٣) الآية (٨٢) من سورة الكهف. تفسير النسفي.

(٤) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠.

(٥) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، محدث من فقهاء المالكية، نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلية، ووفاته بالمهدية، ولد سنة (٤٥٣) وتوفي سنة (٥٣٦). انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٧٧.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٨. يقول الإمام النسفي: وقد زل أقدام أقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي، وهو =

وقال ابن كثير في تفسير آية: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: لكني أمرت به ووقفت عليه. وفيه دلالة لمن قال بنبوته الخضر - عليه السلام -^(١).

٢ - دلائل ولايته:

أما من ذهب إلى أن الخضر ولي فيفسر هذه الآية باحتمال الإيماء إلى نبي من أنبياء ذلك الزمان أن يأمر الخضر بذلك^(٢). أو أن «ما» في هذه الآية موصولة وليست نافية. و«أمر» معناها: شأن، فيكون المعنى: (والذي فعلته من شأني). لأن تلك الأفعال، كانت من أحكام روح الإلهام الولائي^(٣).

الرد على من قال بنبوته:

هذا وقد رد من قال بولاية الخضر - عليه السلام - حجج من قال بنبوته..

وها أنذا أنقل لك بعض هذه الردود من التفسير الكبير

= كفرجلي، حيث قالوا: أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي. والجواب: أن الخضر نبي، وإن لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام... ومن المحال أن يكون الولي ولياً إلا بإيمانه بالنبي، ثم يكون النبي دون الولي. انظر تفسير النسفي ج ٣ ص ١٤٣. المكتبة الأموية بيروت - دمشق ومكتبة الغزالي بحماة.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٩٩.

(٢) ارشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٤ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٦.

(٣) قاله الشيخ علي بن محمد وفا (٧٦١ - ٨٠١). انظر الطبقات الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعراني ج ٢ ص ٢٦.

للفخر الرازي، والتي ذكرها أثناء تعليقه على القصة التي جرت بين موسى والخضر - عليهما السلام - . . ويأتي الرد الشافي في الأخير. . يقول الإمام الرازي:

قال الأكثرون: إن ذلك العبد - أي: الخضر - كان نبياً. واحتجوا عليه بوجوه:

● **الحجة الأولى:** أنه تعالى قال: «وآتيناه رحمة من عندنا» والرحمة هي النبوة. بدليل قوله تعالى: «أهم يقسمون رحمة ربك»^(١) وقوله: «وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك»^(٢) والمراد من هذه الرحمة النبوة.

وردّ هذا القول بأننا نسلم أن النبوة رحمة، لكن لا يلزم أن كل رحمة نبوة.

● **الحجة الثانية:** قوله تعالى: «وعلمناه من لدنا علماً»^(٣). وهذا يقتضي أنه تعالى علمه لا بواسطة تعليم معلم، ولا إرشاد مرشد، وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً، يعلم الأمور بالوحي من الله.

وردّ هذا القول بأن هذا الاستدلال ضعيف، لأن العلوم الضرورية تحصل ابتداء من عند الله، وذلك لا يدل على النبوة.

(١) الزخرف (٣٢).

(٢) القصص (٨٦).

(٣) الكهف (٦٥).

● الحجة الثالثة: أن موسى - عليه السلام - قال: «هل أتبعك على أن تعلمني»^(١). والنبي لا يتبع غير النبي في التعليم.

وردّ هذا القول بأنه ضعيف أيضاً، لأن النبي لا يتبع غير النبي في العلوم التي باعتبارها صار نبياً، أما غير تلك العلوم فلا.

● الحجة الرابعة: أن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال له: «وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً»^(٢). وأما موسى فإنه أظهر التواضع له، حيث قال: «لا أعصي لك أمراً»^(٣). وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى، ومن لا يكون نبياً لا يكون فوق النبي.

ورد هذا القول أيضاً لضعفه، لأنه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها. فلمَ قلت: إن ذلك لا يجوز؟ فإن قالوا: لأنه يوجب التنفير. قلنا: إن إرسال موسى كي يتعلم من الخضر حصل بعد نزول التوراة عليه، وتكليمه بغير واسطة يوجب التنفير. فإن قالوا: إن هذا لا يوجب التنفير. فكذا القول فيما ذكره.

● الحجة الخامسة: احتج الأصم على نبوته بقوله في أثناء القصة: «وما فعلته عن أمري»، ومعناه: ما فعلته بوحى

(١) الكهف (٦٦).

(٢) الكهف ٦٨.

(٣) الكهف ٦٩.

الله . وهو يدل على النبوة .

وردّ هذا القول أيضاً لضعفه . وضعفه ظاهر^(١) .

● الحجة السادسة: ما روي أن موسى - عليه السلام - لما وصل إليه قال: السلام عليك . فقال: وعليك السلام يا نبيّ بني إسرائيل! . فقال موسى - عليه السلام -: من عرفك هذا؟ قال: الذي بعثك إلي! . قالوا: وهذا يدل على أنه إنما عرف ذلك بالوحي، والوحي لا يكون إلا مع النبوة .

وردّ على صاحب هذا الرأي بأنه لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والإلهامات^(٢)؟ .

الرد على من قال بولايته:

هذا وقد أجاد ابن كثير - رحمه الله تعالى - في توضيح الحجة

(١) وكان الإمام الرازي في هذه الردود يميل إلى القول بولايته، فهو لم يذكر لنا وجه الضعف في هذه الحجة الخامسة، واكتفى بقوله: إنها حجة ضعيفة . والعجيب أنه عندما وصل إلى تفسير هذه الآية فسرها بالنبوة!! . انظر ج ٢١ ص ١٦٢ واقرأ معي حيث يفسر قوله تعالى: «وما فعلته عن أمري» . تجده مفسراً الآية بقوله: «يعني ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال غن أمري واجتهادي ورأيي وإنما فعلته بأمر الله ووحيه، لأن الإقدام على تنقيص أموال الناس . وإراقة دمائهم لا يجوز إلا بالوحي القاطع» . ١ هـ . فأنت ترى من النص أنه يقول بنبوته، يؤيد ذلك أن أموال الناس ودماهم لا تراق إلا بالوحي والنص القاطع . فإن كان ناقلاً آراء غيره فليّم لم يرد نقل ردود الطرف الآخر عليهم أيضاً؟! .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٨ - ١٤٩ مع بعض التصرف .

على من قال بأنه ولي، فقال: وقد دل سياق القصة على نبوته من وجه:

أحدها: - قوله تعالى -: «فوجد عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً»^(١).

(١) الجمهور على أن «رحمة» بمعنى النبوة. انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠. وقد أطلقت على ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. وقد رأينا نقل بعض هذه الآيات وتفسيرها باختصار لأهميتها، ولأن معظم استناد من قال بنبوة الخضر هو تمسكهم بهذه الحجة: قال تعالى: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده» هود (٢٨) قال العلامة الألوسي: (هي النبوة على ما روي عن ابن عباس. رضي الله عنهما) انظر روح المعاني ج ١٢ ص ٣٩. وفي تفسير ابن كثير: (. . أي: على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم) ج ٢ ص ٤٤٣.

وقال تعالى: ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منا﴾ مريم (٢١) أي: (ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء، يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١١٥.

وقال تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء» البقرة (١٠٥) (والمراد من الخير: إما الوحي، أو القرآن، أو النصر، . والمراد من الرحمة: ذلك الخير. .) روح المعاني ج ١ ص ٣٥٠. وفي تفسير النسفي: (يعني أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي، والله يختص بالنبوة من يشاء).

وقال تعالى: ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ الأنبياء (٧٥) أي: (فأتاه الله حكماً وعلماً وأوحى إليه وجعله نبياً) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٨٥.

وقال تعالى: ﴿رحمة من ربك وما فعلته عن أمري﴾ الكهف (٨٢): (الرحمة بمعنى الوحي، أي: برحمة ربك ووحيه. فيكون قوله: «وما فعلته عن =

الثاني: قول موسى له: «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً». الآيات. فلو كان ولياً، لم يكن ليخاطبه موسى هذه المخاطبة ولم يكن ليرد على موسى هذا الرد، بل سأل موسى صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه. فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم يكن لموسى - وهو نبي عظيم، ورسول كريم، واجب العصمة - كبير رغبة ولا عظيم طلب في علم ولي غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه، والبحث عنه. ثم لما اجتمع به، تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه، كل هذا دلّ على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه. وقد خصّ من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم.

= «أمرى» أي: عن رأيي واجتهادي تأكيداً لذلك) روح المعاني جـ ١٦ ص ١٤ وقال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ آل عمران (٧٤) أي: بالنبوة أو بالإسلام. النسفي.

وقال تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك...﴾ الزخرف (٣٢): (أي: النبوة، والهزمة للإنكار المستقبل بالتجهيل والتعجب من تحكّمهم في اختيار من يصلح للنبوة). تفسير النسفي. وتمة الآية: «.. نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، ورحمة من ربك خير مما يجمعون»: (... أي: لم نجعل قسمة الأدون إليهم، وهو الرزق، فكيف النبوة؟ أو: كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشياء). تفسير النسفي.

وقال تعالى: ﴿رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾ الدخان (٦): (... وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله: «وما يمسك فلا مرسل له من بعده...») تفسير النسفي.

الثالث: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقي في خلدته، ذلك لأن خاطره ليس بواجب العصمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق. ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علمًا منه بأنه سوف يكفر عندما يبلغ، ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتها له، فيتابعانه عليه. ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته، صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر، وهذا يدل على النبوة، وأنه مؤيد من الله بعصمته^(١).

الرابع: أنه لما فسّر الخضر تأويل الأفاعيل لموسى ووضح له حقيقة أمره وجلّى، قال بعد ذلك كله: «رحمة من ربك وما فعلته من أمري» يعني: ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمرت به، وأوحى إليّ فيه.

قال ابن كثير: ولا ينافي ذلك حصول ولايته ولا رسالته كما قال آخرون^(٢). وقال: وإذا ثبت نبوته كما ذكرنا، لم يبق لمن قال بولايته مستند يستندون إليه ولا معتمد يعتمدون عليه، لا

(١) يقول ابن كثير: وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه. وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضاً. انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) أي: أن حصول الولاية والكرامة للخضر لا يعني أنه ولي وليس نبياً، بل إن هذا يدخل في معجزات الأنبياء.

سبياً وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع
الظاهر^(١).

مناقشة ونتيجة:

يبدو أن أدلة نفاة نبوة الخضر لا تنهض حجة على مدعاهم
وليس من العسير الرد عليها من قبل مثبتي نبوته، ولذلك فإن
الذين قالوا بولايته هم قلة، ولا يؤود الطرف الثاني أن يردوا
على حججهم..

وكان من رأي القائلين بولايته أن الذي حدث من
الأعاجيب أثناء قصة الخضر مع موسى - عليهما السلام - إما
أنه تعليم نبي له أو أنه إلهام.

(واحتمال أن يكون هناك نبي أمره بذلك عن وحي..
احتمال بعيد، على أنه ليس في وصفه بقوله تعالى: «وآتيناها
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً» كثير فائدة. بل قد
يقال: أي فائدة في هذا العلم «اللدني»^(٢)، إذا احتاج في
إظهار العجائب لموسى - عليه السلام - إلى توسيط نبي
مثله^(٣)؟.

والذي يقول: كان ذلك عن إلهام. (يلزمه القول بأن الإلهام
كان حجة في بعض الشرائع وأن الخضر من المكلفين بتلك
الشريعة، وإلا فالظاهر أن الإلهام ليس حجة في شريعة موسى

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٨ مع قليل من التصرف.

(٢) سنفضل القول في هذا العلم إن شاء الله.

(٣) روح المعاني ج ١٦ ص ١٧.

- عليه السلام - وكذا ليس بحجة في شريعتنا على الصحيح،
ومن شدَّ وقال بحجيته اشترط لذلك أن لا يعارضه نص
شرعي، فلو اطلع الله تعالى بالإلهام بعض عباده على نحو ما
أطلع عليه الخضر - عليه السلام - من حال الغلام، لم يحل
قتله^(١).

والإلهام ليس حجة عند الأئمة، ومن شدَّ اشترط ما
اشترط^(٢).

ومن صرح من الصوفية بأن الإلهام ليس بحجة: الإمام
الشعراني، قال: (قد زلَّ في هذا الباب خلق كثير، فضلوا
وأضلوا)^(٣).

وقد صرَّح الإمام الرباني، مجدد الألف الثاني^(٤) - قدس

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ١٧ مع شيء من التصرف.

(٢) انظر الأمثلة في روح المعاني ج ١٦ ص ١٧.

(٣) له مؤلف في هذا وهو: (حد الحسام في عنق من أطلق إيجاب العمل
بالإلهام) وهو مجلد لطيف. انظر روح المعاني ج ١٦ ص ١٧. وفيه كلام
ابن العربي أيضاً.

(٤) هو الإمام أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين الفاروقي السهرندي
(وتلفظه العامة خطأ السهرندي) من علماء الهند، الداعين إلى نبذ البدع.
ويلقب بمجدد الألف الثاني. نسبته إلى (سهرند) ومعناها (غابة الأسد) بين
(دهلي) و (لاهور). ومولده ووفاته فيها. تفقه وحج، واشتغل بالتدريس،
وحبسه السلطان (جهانكير). قيل: لامتناعه عن السجود تعظيماً له. وأطلق
بعد ثلاث سنوات، فعاد إلى (سهرند). وولد سنة (٩٧١) وتوفي سنة
(١٠٣٤). من مؤلفاته: رسائل في «المبدأ والمعاد» و «اثبات النبوة» و
«المعارف اللدنية» و «رد الشيعة» و «المكتوبات» ويقع في ثلاث مجلدات.
انظر ترجمته في: الاعلام ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ وهدية العارفين ج ١ ص ١٥٦.

سره العزيز - في المكتوبات، في مواضع عديدة: بأن الإلهام لا يحل حراماً ولا يجرم حلالاً، ويعلم من ذلك أنه لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن... (١).

ولعل من قال بصحة العمل بالإلهام، فيما يطله بعض العمومات أو النصوص يخصص تلك المبطلات بقصة الخضر - عليه السلام - وأمثالها (٢).

والحقيقة أنه لا يستند إلى هذه القصة في العمل بالإلهام، إلا من قال بولاية الخضر - عليه السلام - وهو كما رأيت، مخالفة لجمهور العلماء..

وإنما تحدثنا عن معنى الإلهام وحكم العمل به، لنرد على من قال بولاية الخضر - عليه السلام -.. فالقصد أن الإلهام لدى الأولياء لا يصح حجة يعتمد عليه في تصرفاتهم عندما يتعارض مع نص شرعي، ومن ثم فلم يكن جائزاً للخضر أن يقوم بتلك الأعمال إذا كان عن إلهام.. ويبطل - بدليل هذه الحجة - من قال بولايته، ويبقى القول الراجح أنه فعل ذلك بوحي من الله تعالى.. والأنبياء معصومون.

هذا وقد تعدى الخلاف في نبوته الى تفسير الآيات التي وردت بشأن موسى والخضر فمن يرى نبوته يفسر الأعمال التي

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ١٨. وانظر في هذا الباب بتوسع كتاب (قواعد التصوف) على وجه يجمع بين الحقيقة والشريعة وخاصة ص ١١٢. وهو من تأليف: أحمد البرنسي المغربي.

(٢) انظر كتاب الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ٦٢.

قام بها الخضر - عليه السلام - تفسير الوحي . ويدلي بحجته .
ومن يرى ولايته يفسرها تفسيراً آخر . .

وإن أعظم ما يشكل في القصة (قتل الغلام، لكونه طبع
كافراً، وخشي من بقاءه حياً ارتداد أبويه، وذلك أيضاً
شريعة، لكنها مخصوصة به - عليه السلام - لأنه - كما قال
العلامة السبكي -: أوحى إليه أن يعمل بالباطن وخلاف الظاهر
الموافق للحكمة، فلا إشكال فيه، وإن علم من شريعتنا أنه لا
يجوز لأحد كائناً من كان، قتل صغيرٍ لا سيما بين أبوين
مؤمنين، وكيف يجوز قتله بسبب لم يحصل! والمولود لا يوصف
بكفر حقيقي، ولا إيمان حقيقي، واتفق الشرائع في الأحكام
مما لم يذهب إليه أحد من الأنام، فضلاً عن العلماء الأعلام،
وهذا ظاهر على القول بنبوته . . وأما إقامة الجدار بلا أجر فلا
إشكال فيها، لأنها إحسان، وغاية ما يتخيل أنه للمسيء
فليكن كذلك ولا ضير فإنه من مكارم الأخلاق . وأما خرق
السفينة لتسلم من غضب الظالم فقد قالوا: إنه مما لا بأس به .
حتى قال (العز بن عبد السلام): إنه إذا كان تحت يد الإنسان
مال يتيم أو سفيه أو مجنون، وخاف عليه أن يأخذه ظالم، يجب
عليه تعييبه لأجل حفظه . . وقال بعضهم: قصارى ما تدل
عليه القصة ثبوت العلم الباطن^(١) .

وبعد كل ما سقناه، تبين أن الأدلة التي تثبت نبوة الخضر -
عليه السلام - كافية ومقنعة لمن أراد الإنصاف، لكن الذي

(١) انظر روح المعاني ج ١٦ ص ٢١ مع بعض الحذف .

أدى إلى الاختلاف في أمره، هو عدم ذكر اسمه في القرآن مصرحاً به بين الأنبياء. وعلى كل فإن الذين قالوا بولايته، لم يأتوا بالأدلة القوية التي تنفي نبوته، فبقي أمرهم مرجوحاً بالإضافة الى أدلة من أثبتوا نبوته.

حُكْمُ الْإِيْمَانِ بِنُبُوَّةِ الْخَضِرِ

عليه السلام

وعلى هذا الاختلاف فلا يكفر من قال بعدم نبوته، لأن الاعتقاد الجازم الواجب لا يكون إلا عن طريق التواتر. لكن (يجب الإيمان بمجمل الأنبياء فيما يعتبر التكليف به إجمالاً.. ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلاً، كالإيمان بالأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن وهم خمسة وعشرون نبياً^(١)).

ما ورد في علمه أو العلم اللدني:

قال الإمام النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَا مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ يعني: الإخبار بالغيوب، وقيل: العلم اللدني، ما حصل للعبد بطريق الإلهام^(٢).

ومعنى «من لدنا» أي: من عندنا^(٣). مع أن كل علم من لدنه. ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق، فلا يسمى ذلك

(١) انظر شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص ٦٧، مع قليل من التصرف.

(٢) انظر تفسير النسفي والبيضاوي الآية (٦٥) من سورة الكهف.

(٣) و (لدن) ظرف مكان بمعنى (عند) إلا أنه لا يستعمل إلا في الحاضر، ومن

هنا أتت كلمة (اللدني)

علماً لديناً، بل علماً انفعالياً، لكونه أخذ من الغير، بل اللدني الذي يفتتح في سر القلب، أي: باطنه المسمى بقلب القلب ومن غير سبب مألوف من خارج كتعلم ودراسة^(١).

(١) انظر تحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للعلامة الزبيدي ج ٧ ص ٢٦٠. وهذه الآية عند الصوفية (أصل في إثبات العلم اللدني، وشاع إطلاق علم الحقيقة والعلم الباطن عليه، ولم يرتض بعضهم هذا الإطلاق. قال العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني عليه الرحمة في كتابه المسمى بالدرر المنيرة، في بيان زبد العلوم المشهورة: (. . . وهذا ما دعا الفقهاء ونحوهم من أهل الحجاب إلى تسمية علم الصوفية بالعلم الباطن، وليس ذلك بباطن، إذ الباطن إنما هو علم الله تعالى، وأما جميع ما علمه الخلق على اختلاف طبقاتهم فهو من العلم الظاهر، لأنه ظهر للخلق). ويعلق العلامة الألوسي بقوله: والحق أن إطلاق العلم الباطن اصطلاحاً على ما وقفوا عليه صحيح، ولا مشاحة في الاصطلاح، ووجهه: أنه غير ظاهر على أكثر الناس، ويتوقف حصوله على القوة القدسية، دون المقدمات الفكرية. . انظر روح المعاني ج ١٦ ص ٣٣٠.

ويسمى هذا العلم أيضاً بعلم الحقيقة، والعلم اللدني، وعلم المكاشفة، وعلم الموهبة، وعلم الأسرار، والعلم المكنون، وعلم الوراثة. انظر روح المعاني ج ١٦ ص ١٩. ويوصف صاحب هذا العلم بأنه ذو موهبة بالسر اللدني أو أنه ذو روح خضري، أو أنه (خضري المقام)، وهو من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر. انظر مثلاً: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني ج ١ ص ١٧٠ وج ٢ ص ٥٦ و ٧٦ و ١٥٢.

وزعم بعضهم أن أحكام العلم الباطن وعلم الحقيقة مخالفة لأحكام الظاهر، وعلم الشريعة. وهو زعم باطل عاطل، وخيال فاسد كاسد. روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٠. وفي إحياء علوم الدين: (من قال: إن الحقيقة تتخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان). ج ١ ص ١٠٠ وفي الجزء السادس عشر من روح المعاني يقول العالم الرباني مجدد الألف الثاني (الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي)-قدس سره =

قال صاحب روح البيان: واعلم أن كل علم يعلمه الله تعالى عباده ويمكن للعباد أن يتعلموا ذلك العلم من غير الله تعالى فإنه ليس من جملة العلم اللدني لأنه يمكن أن يتعلم من لدن غيره، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾^(١). فإن علم صنعة اللبوس مما علمه الله داود - عليه السلام - فلا يقال: إنه العلم اللدني، لأنه يحتمل أن يتعلم من غير الله تعالى، فيكون من لدن ذلك الغير، وأيضاً إن العلم اللدني ما يتعلق بلدن الله تعالى وهو علم معرفة ذاته وصفاته تعالى^(٢). (وقال ذو النون: العلم اللدني هو الذي يحكم على الخلق بمواقع التوفيق والخذلان. وقال الجنيد - قدس سره - : هو الإطلاع على الأسرار من غير ظن فيه، ولا خلاف واقع، لكنه مكاشفات الأنوار من مكنون الغيب، ويحصل للعبد إذا حفظ جوارحه عن جميع المخالفات، وأفنى

= العزيز - : (فكل من الطريقة والشريعة عين الآخر، لا مخالفة بينهما بقدر رأس الشعيرة، وكل ما خالف الشريعة مردود، وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة) جـ ١٦ ص ١٨. ويقول أيضاً: الطريقة والحقيقة التي امتاز بها الصوفية كلتاها خادماتان للشريعة. فالمقصود منها تكميل الشريعة لا أمر آخر وراء ذلك جـ ١٦ ص ١٨. ويقول: وما وقع في عبارة بعض المشايخ من أن الشريعة قشر والحقيقة لب. فهو وإن كان مشعراً بعدم استقامة قائله، ولكن يمكن أن يكون مراده أن المحمل بالنسبة إلى المفصل حكمه حكم القشر بالنسبة إلى اللب. والأكابر المستقيمة أحوالهم لا يجوزون الإتيان بمثل هذه العبارات الموهمة. انظر روح المعاني جـ ١٦ ص ١٩.

(١) الأنبياء (٨٠).

(٢) انظر روح البيان في تفسير القرآن جـ ٢ ص ٤٩٩. وللتفريق بين العلوم الكشفية والعلوم المكتسبة انظر مثلاً يوضح ذلك في ص: (٥٠٠).

حركاته عن كل الإرادات، وكان شبحاً بين يدي الحق بلا تمن ولا مراد.

وقيل: هو علم يعرف به الحق سبحانه وأوليائه ما فيه صلاح عباده. وقال بعضهم: هو علم غيبي يتعلق بعالم الأفعال، وأخص منه الوقوف على بعض سرّ القدر قبل وقوع واقعته، وأخص من ذلك علم الأسماء والنعوت الخاصة، وأخص منه علم الذات^(١).

والمهم هنا هو أن العلم الذي أوتيّه الخضر - عليه السلام - علم رباني مخصوص به^(٢)، لم يَفْقَهُ فيه نبيُّ بني إسرائيل، وهو أكبر علماء زمانه. ولذلك فقد غدت قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - مضرب المثل عند العلماء في تبين آداب العالم والمتعلم.. وكيف أن العالم مهما أوتي من علم فعليه ألا يفترّ، وأن يعلم أن فوق كل ذي علم عليم..

والمتعلم عليه أن يكون مطيعاً، متواضعاً، لا يستعجل الجواب على أستاذه.. وقد علم الخضر أن موسى لن يصبر معه، ولذلك فقد قال له: (إنك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٢. وانظر بعض هذه التعريفات وغيرها في روح البيان ج ٢ ص ٤٩٩-٥٠٠. وانظر فلسفة العلم اللدني في التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) ذكر أنه يفهم من فحوى «من لدنا» أو من تقديمه على «علماً» اختصاص ذلك بالله تعالى، كأنه قيل: علماً يختص بنا ولا يعلم إلا بتوقيفنا. وفي اختيار «علمناه» على «آتيناه» من الإشارة إلى تعظيم أمر هذا العلم ما فيه.. انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٠.

مني من الأفعال التي تخالف شريعتك، لأنني على علم من علم الله ما علمك الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله، فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتي «وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً». فأنا أعرف أنك ستنكر علي ما أنت معذور فيه، ولكن ما اطلعت على حكمته ومصطلحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك^(١).

فعلمه هذا رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف، وهو أمر الله، لا أمره، فقد أطلعه على الغيب في هذه المسألة وفيما قبلها، ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه. «رحمة من ربك وما فعلته عن أمري»^(٢).

وقد روي: أنه لما سلم عليه وهو مسجى عرفه أنه موسى، فرفع رأسه، فاستوى جالساً وقال: وعليك السلام يا نبيّ بني إسرائيل. فقال موسى: وما أدراك بي؟ ومن أخبرك أنني نبيّ بني إسرائيل؟. فقال: الذي أدراك بي وذلك علي. ثم قال: يا موسى! أما يكفيك أن التوراة بيدك، وأن الوحي يأتيك؟ قال موسى: إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأتعلم من علمك^(٣).

فعلم الرجل (ليس هو العلم البشري، الواضح الأسباب، القريب النتائج، إنما هو جانب من العلم اللدني بالغيب أطلعه

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٦.

(٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٨٢ طبعة دار الشروق. وانظر الحوادث الثلاثة في سورة الكهف (٧١ - ٧٧) وسيمر معك تفسيرها.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠.

الله عليه بالقدر الذي أرادته للحكمة التي أرادها^(١).

أيهما أعلم؟:

هل نستطيع أن نقول بعد هذا البحث: إن الخضر أعلم من موسى - عليهما السلام -؟.

قال البعض: (إن ذلك العالم - الخضر - كان مخصوصاً ببناء الأحكام الحقيقية على تلك الأحوال الباطنة، وأما موسى - عليه السلام - فما كان كذلك، بل كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور، فلا جرم ظهر التفاوت بينهما في العلم.. وبهذا الطريق ظهر أن مرتبته في العلم كانت فوق مرتبة موسى - عليه السلام - (٢).

على أن لموسى - عليه السلام - علماً ليس عند الخضر - عليه السلام - وأن للخضر أيضاً علماً ليس لموسى مثله (فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي حديث ابن عباس مرفوعاً: أن الخضر قال: يا موسى! إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله تعالى علمك الله - سبحانه - لا أعلمه. وأنت تعلم أنه لو لم يكن قوله تعالى لموسى - عليه السلام - المذكور في الأحاديث السابقة: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. على معنى أعلم في بعض العلوم^(٣)، بل كان على معنى أعلم في

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٩٦ ط ٥.

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٥٩.

(٣) (اعلم) على وزن (افعل). (وأفعل التفضيل وإن كان للزيادة في حقيقة =

كل العلوم، أشكل الجمع بينه وبين ما ذكرنا من كلام الخضر - عليه السلام - ثم ينبغي أن يراد من العلم الذي ذكر الخضر أنه يعلمه هو ولا يعلمه موسى - عليهما السلام - بعض علم الحقيقة، ومن العلم الذي ذكر أنه يعلمه موسى ولا يعلمه هو - عليهما السلام - بعض علم الشريعة فلكل من موسى والخضر - عليهما السلام - علم بالشريعة والحقيقة إلا أن موسى - عليه السلام - أزيد بعلم الشريعة، والخضر - عليه السلام - أزيد بعلم الحقيقة^(١).

(...) ويعلم مما ذكر أن موسى - عليه السلام - أكمل من الخضر، وأعلمية الخضر - عليه السلام - بعلم الحقيقة كانت بالنسبة إلى الحالة الحاضرة، فإن موسى - عليه السلام - عبر ذلك ولم يقف عنده، لأنه في مقام التشريع، ولعل طلبه

= الفعل إلا أن ذلك على وجه يعم الزيادة في فرد منه، ويدل على ذلك صحة التقييد بقسم خاص. كما تقول: زيد أعلم من عمرو في الطب، وعمرو أعلم منه في الفلاحة. ولو كان معناه الزيادة في مطلق العلم، كان قولك: زيد أعلم من عمرو. مستلزماً لأن يكون عمرو أعلم منه في شيء من العلوم، فلا يصح تفضيل عمرو عليه في علم الفلاحة... وذكر مثل هذا الشيخ ابن الحاجب في أمالي القرآن في حل الإشكال المشهور في قوله تعالى: «وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها» الزخرف (٤٨). ومن أن المراد: إلا هي أكبر من أختها من وجه، ثم قال: وقد يكون الشيطان كل واحد منها أفضل من الآخر من وجه.. (روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٢).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٢.

التعليم كان بالأمر ابتداء له بسبب تلك الفلته^(١).

وأورد الإمام القرطبي قول ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة بواطن، قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم^(٢).

وورد في (أسرار القرآن) أن موسى - عليه السلام - كان أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله تعالى، والخضر كان أعلم من موسى فيما وقع لموسى - عليه السلام -^(٣).

وقال صاحب روح البيان: واعلم أن التحقيق الحقيقي في هذا المقام، أن العلم المأمور موسى - عليه السلام - بتعلمه من الخضر، هو العلم الباطني المتعلم بطريق الإشارة، لا العلم الباطني المتعلق بطريق المكاشفة، ولا العلم الظاهري المتعلق بطريق العبارة، والدليل عليه: إرسال الحق - سبحانه - موسى إلى عبده الخضر، وعدم تعليمه بواسطة أمين الوحي جبرائيل، وتعليم الخضر بطريق الإشارة بالأمور الثلاث^(٤).

ويقول العلامة الألوسي:

إن الذي أميل إليه أن لموسى - عليه السلام - علماً بعلم

(١) روح المعاني جـ ١٦ ص ٢٠. أي: قوله في جمع من بني اسرائيل: ليس هناك أعلم مني.

(٢) تفسير القرطبي جـ ١١ ص ١٦.

(٣) روح المعاني جـ ١٦ ص ٢٢.

(٤) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ اسماعيل حقي جـ ٢ ص ٥٠١.

الحقيقة المسمى بالعلم الباطن، والعلم اللدني، إلا أن الخضر أعلم به منه، وللخضر - عليه السلام - سواء كان نبياً، أو رسولاً - علماً بعلم الشريعة المسمى بالعلم الظاهر، إلا أن موسى - عليه السلام - أعلم به منه، فكل منهما أعلم من صاحبه من وجه، ونعت الخضر - عليه السلام - في الأحاديث السابقة بأنه أعلم من موسى - عليه السلام - ليس على معنى أنه أعلم منه من كل وجه، بل على معنى أنه أعلم من بعض الوجوه، وفي بعض العلوم، لكن لما كان الكلام خارجاً مخرج العتب والتأديب أخرج على وجه ظاهره العموم^(١).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣١ - ٣٣٢.

الفصل الرابع
موسىٰ والنخضر

مُوسَى وَالْعَبْدُ الصَّالِحُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ مَنْ هُمَا؟

١ - موسى - عليه السلام - :

قال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوماً البكالي^(١)، يزعم أن موسى، صاحب الخضر - عليه السلام - ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل. قال ابن عباس: كذب عدو الله. حدثنا أبي بن كعب - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيباً في

(١) هو ابن امرأة كعب الأحبار (ارشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٢)، زعم أنه سمع كعباً يقول هذا. (تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٤). وهو من بني بكال - ككتاب أو شداد - بطن من حمير، كان يقول: إن موسى صاحب الخضر هو موسى بن ميثا بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام، فقال ابن عباس لما بلغه ذلك: (كذب عدو الله). هذا زجر وتنفير، لا قذح في نواف، لأنه مسلم وتابعي. (التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٦٧ الهامش). وقال ابن عباس ذلك في حال غضبه، وألفاظ الغضب تقع على غير الحقيقة غالباً، وتكذبه له لكونه قال غير الواقع، ولا يلزم منه تعمده (انظر ارشاد الساري ج ٧ ص ٢١٧ وص ٢٢٧) وانظر أيضاً صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٦ - ١٣٧.

بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا . فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم إليه . فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بجمع البحرين هو أعلم منك . . (١) .

وسبب شك نوف أن يكون هو موسى بن عمران، أن موسى رسولٌ من أولي العزم، ولا يتعلم رسول من غيره، ويجب أن يكون أعلم أهل زمانه؟ ومن هنا قال نوف وأضرابه: إن موسى هذا ليس هو ابن عمران . وإن كان ظاهر إطلاقه يقتضي أن يكون إياه (٢) .

(وأجيب بأن اللازم في الرسول أن يكون أعلم في العقائد وما يتعلق بشريعته . لا مطلقاً . ولذا قال نبينا ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم») فلا يضرب في منصبه أن يتعلم علوماً غيبية وأسراراً خفية لا تعلق لها بذلك من غيره، لا سيما إذا كان ذلك الغير نبياً أو رسولاً أيضاً . كما قيل في الخضر - عليه السلام - . ونظير ما ذكر من وجه تعلم عالم مجتهد كأبي حنيفة والشافعي - رضي الله تعالى عنهما - علم الجفر (٣) - مثلاً - فإنه لا يخل بمقامه، وإنكار ذلك مكابرة (٤) .

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٤ وتاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٩ و ١٩٢ وانظر الحديث في (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) للحسين بن المبارك ج ١ ص ٢١-٢٢ . الطبعة الثانية ١٣٨٦ .

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣١ مع قليل من التصرف .

(٣) علم الجفر: علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم . انظر المعجم الوسيط . وانظر حقيقة هذا العلم في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ج ٣ ص ١٢٥-١٢٦ .

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣١ .

واحتج القفال على صحة قولنا: إن موسى هذا هو صاحب التوراة. قال: إن الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه إلا أراد به صاحب التوراة. فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه. ولو كان المراد شخصاً آخر مسمى بموسى غيره، لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة الشبهة، كما أنه لما كان المشهور في العرف عن أبي حنيفة - رحمه الله - أنه هو الرجل المعين، فلو ذكرنا هذا الاسم وأردنا به رجلاً سواه لقيدناه، مثل أن نقول: قال أبو حنيفة الدينوري، وحجة الذين قالوا: موسى غير صاحب التوراة؛ أنه تعالى بعد أن أنزل التوراة عليه وكلمه بلا واسطة وحجاً^(١) خصمه بالمعجزات القاهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر أكابر الأنبياء، يبعد أن يبعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة. وأجيب عنه: بأنه لا يبعد أن العالم الكامل في أكثر العلوم يجهد بعض الأشياء، فيحتاج في تعلمها إلى من دونه، وهذا أمر متعارف معلوم^(٢).

ردُّ على أهل الكتاب:

وتجدر الإشارة هنا إلى أن (أهل الكتاب يزعمون أن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل)^(٣). وتبعهم من تبعهم من المحدثين والمؤرخين، وزعموا أن موسى هنا هو موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب، وقيل: موسى بن

(١) حاجه: أي: غلبه في الحجة.

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٤.

(٣) تفسير القرآن الجليل للإمام النسفي الآية (٨٢) من سورة الكهف.

أفرائيم بن يوسف. وهو موسى الأول^(١). قيل: وإنما أنكره أهل الكتاب لإنكارهم تعلم النبي من غيره.

وأجيب بالتزام أن التعلم من نبي. ولا غضاضة في تعلم نبي من نبي، وتعقب بأنه ولو التزموا ذلك وسلموا نبوة الخضر - عليه السلام - لا يسلمون أنه موسى بن عمران، لأنهم لا تسمح أنفسهم بالقول بتعلم نبيهم الأفضل ممن ليس مثله في الفضل، فإن الخضر - عليه السلام - على القول بنبوته، بل القول برسالته لم يبلغ درجة موسى - عليه السلام -^(٢).

(١) كان ليوسف عليه السلام ولدان: أفرائيم، وميشا. فولد أفرائيم: نون. وولد نون: يوشع بن نون، وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته. وأما ولد ميشا، فقيل: إنه جاءته النبوة قبل موسى بن عمران. ويزعم أهل التوراة أنه هو الذي طلب هذا العلم ليتعلم، والخضر هو الذي خرق السفينة وقتل الغلام، وأقام الجدار، وموسى بن ميشا معه. هذا هو قول جمهور اليهود. انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٣-١٤٤. الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية - طهران.

(٢) إذا ثبت أن الخضر نبي فربما أشكل أن هذا يقتضي أن يكون أعلى شأنًا من موسى - صاحب التوراة - لأن الألفاظ المذكورة في الآيات على أنه كان يترفع على موسى، وكان موسى يظهر التواضع له. والجواب: أن كون الخضر أعلى شأنًا من موسى غير جائز، لأن الخضر إما أن يقال: إنه كان من بني إسرائيل. فإن قلنا: إنه كان من بني إسرائيل، فقد كان من أمة موسى. لقوله تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - أنه قال لفرعون: «أرسل معنا بني إسرائيل» طه ٤٧. والأمة لا تكون أعلى حالًا من النبي، وإن قلنا: إنه ما كان من بني إسرائيل لم يجوز أن يكون أفضل من موسى لقوله تعالى لبني إسرائيل: «وإني فضلتمكم على العالمين» البقرة ٤٧. انظر التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٩.

وقال بعض المحققين: ليس إنكارهم لمجرد ذلك، بل لذلك، ولقولهم: إن موسى - عليه السلام - بعد الخروج من مصر، وقع هو وقومه في التيه وتوفي فيه، ولم يخرج قومه منه إلا بعد وفاته، والقصة تقتضي خروجه - عليه السلام - من التيه. لأنها لم تكن وهو في مصر بالإجماع وتقتضي أيضاً الغيبة أياماً، ولو وقعت لعلمها كثير من بني إسرائيل الذين كانوا معه، ولو علمت لنقلت، لتضمنها أمراً غريباً تتوفر الدواعي على نقله. فحيث لم يكن، لم تكن.

وأجيب بأن عدم سماح نفوسهم بالقول بتعليم نبيهم - عليه السلام - ممن ليس مثله في الفضل أمر لا يساعده العقل، وليس هو إلا كالحمية الجاهلية، إذ لا يبعد عقلاً تعلم الأفضل الأعم شيئاً ليس عنده ممن هو دونه في الفضل والعلم. ومن الأمثال المشهورة: (قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط)^(١). وقالوا:

قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل^(٢).

(١) (السُّفَط) بفتح السين: الساقط من كل شيء، والرديء الحقير من المتاع والطعام، والخطأ في القول والفعل. جمع أسقاط. وأسقاط الناس: أوباش وأسافلهم.

(٢) (السفط) وعاء يوضع فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ووعاء من قضبان الشجر ونحوها. توضع فيه الأشياء، كالفاكهة والثياب وهي كلمة مولدة. انظر المعجم الوسيط.

(٢) يقول الإمام القرطبي: ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه. فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله، فالخضر إن كان ولياً، فموسى أفضل منه، لأنه =

وقال بعضهم: لا مانع من أن يكون قد أخفى الله - سبحانه وتعالى - علم المسائل التي تضمنتها القصة عن موسى - عليه السلام - وليس بشيء كما لا يخفى . .

وكذلك اقتضاء ذلك الغيبة أياماً، لجواز أن يكون على وجه خارق للعادة، كالتيه الذي وقعوا فيه، وكتق الجبل عليهم . . وقد يقال: يجوز أن يكون - عليه السلام - خرج وغاب أياماً لكن لم يعلموا أنه - عليه السلام - ذهب لهذا الأمر، وظنوا أنه ذهب ينجي ويتعبد ولم يوقفهم على حقيقة غيبته، بعد أن رجع، لعلمه بقصور فهمهم، فخاف من حط قدره عندهم. فهم القائلون: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»^(١). و «أرنا الله جهرة»^(٢). وأوصى فتاه بكتن ذلك عنهم أيضاً، ويجوز أن يكون غاب - عليه السلام - وعلموا حقيقة غيبته، لكن لم يتناقلوها جيلاً بعد جيل، لتوهم أن فيها شيئاً مما يحط من قدره الشريف - عليه السلام - فلا زالت نقلتها تقل حتى هلكوا في وقت (بختنصر) كما هلك أكثر حملة التوراة.

ويجوز أن يكون قد بقي منهم أقل قليل إلى زمن نبينا ﷺ فتواصوا على كتمها، وإنكارها، ليوقعوا الشك في قلوب ضعفاء المسلمين ثم هلك ذلك القليل، ولم تنقل عنه.

ولا يخفى أن باب الاحتمال واسع. وبالجمل، لا يبالي

= نبي، والنبي أفضل من الولي. وإن كان نبياً فموسى فضله بالرسالة. والله أعلم. انظر تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٧.

(١) الأعراف (١٣٨).

(٢) النساء (١٥٣).

بإنكارهم بعد جواز الوقوع عقلاً، وإخبار الله تعالى به،
ورسوله ﷺ فإن الآية ظاهرة في ذلك، ويقرب من هذا
الإنكار، إنكار النصراني تكلم عيسى - عليه السلام - في
المهد^(١).

وينبغي أن نكون على ذكر من أن صاحب الخضر - عليه
السلام - هو موسى بن إسرائيل كما وردت في الأحاديث
الصحيحة (ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره)^(٢). يقول الإمام
النووي في (تهذيب الأسماء واللغات): وموسى الذي صحب
الخضر، هو موسى بن إسرائيل، كلم الله تعالى، كما جاء به
الحديث المشهور في صحيح البخاري ومسلم^(٣).

وانظر تصحيح ذلك في التاج الجامع للأصول^(٤). وإرشاد
الساري^(٥).

٢ - العبد الصالح هل هو الخضر؟:

قال الزهري: عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن

(١) انظر كل هذا في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني للعلامة
الألوسي البغدادي ج ١٥ ص ٣١٠ - ٣١١.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ١٤٣ تأليف محمد بن يوسف بن
علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجباني المشهور بأبي حيان
(٦٥٤ - ٧٥٤). مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض.

(٣) انظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام العلامة الفقيه الحافظ، أبي زكريا محيي
الدين بن شرف النووي، المتوفى سنة (٦٧٦). ج ١ ص ١٧٦. إدارة
الطباعة المنيرية بمصر.

(٥) ج ٧ ص ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٧.

(٤) ج ٤ ص ١٦٧.

مسعود، عن ابن عباس: أنه تمارى^(١) هو والحُرُّ بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو خضر. فمرَّ بهما أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سئل السبيل إلى لقيه، فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا موسى في ملأ من بني إسرائيل، إذ جاءه رجل فقال: تعلم مكان رجل أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلي، عبدنا الخضر. فسأل موسى السبيل إلى لقيه، فجعل له الحوت آية..»^(٢).

وفي تفسير ابن كثير أيضاً عند تفسير الآية «فوجدنا عبداً من عبادنا» قال المفسر: وهذا هو الخضر - عليه السلام - كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ^(٣) والجمهور على ذلك، وهو ما تشهد له الأخبار الصحيحة^(٤).

ومن ذهب إلى غيره فقولُه ضعيف وشاذ.

ومن نظر إلى تفاسير القرآن كلها لما رأى من يشذ عن هذا القول، ويكفي أن البخاري ومسلماً وغيرهما قد أخرجوا في مصنفاتهم صحة هذا الخبر.. وبذلك فإنه لا يعدُّ هذا قولاً

(١) أي: تنازعا وتجادلا. و (الحُرُّ) بالحاء والراء فقط. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤٦.

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠. وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٦.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢. وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩.

فحسب كما ذكر صاحب دائرة معارف القرن العشرين^(١)، وإنما قد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ كما ذكرنا^(٢).

وإذا جال بخاطرنا أن نسأل عن سبب عدم إيراد القرآن لاسم الخضر - عليه السلام - فالجواب: أن في ذلك حكمة خاصة، ينبغي الوقوف عند النص القرآني. كما أفاده صاحب الظلال^(٣).

سبب لقاء موسى بالخضر:

ذكرنا حديث ابن عباس، عن أبي بن كعب، الذي أخرجه الشيخان وغيرهما: «أن موسى - عليه السلام - قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه سبحانه، فأوحى الله تعالى إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك» الحديث. وفي رواية أخرى عنه، عن أبي أيضاً، عن رسول الله ﷺ: «أن موسى بنى إسرائيل سأل ربه فقال: أي رب! إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه. فقال له: نعم، في

(١) انظر ج ٣ ص ٧٠٦ وهو من تصنيف محمد فريد وجدي.

(٢) انظر التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج ١ ص ٢١-٢٢.

وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٠ وج ٧

ص ٢١٨ وفتح الباري ج ٦ ص ٣٠٨ وج ٨ ص ٣١٥ وتفسير القرطبي

ج ١١ ص ١٥ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٩. الطبعة

الثانية ١٩٧٢. المطبعة المصرية.

(٣) في ظلال القرآن. سيد قطب ج ٤ ص ٢٢٧٧. طبعة دار الشروق.

عبادي من هو أعلم منك. ثم نعت له مكانه، وأذن له في لقيه»^(١).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخطيب، وابن عساكر، من طريق هارون عن أبيه، عن ابن عباس قال: سأل موسى - عليه السلام - ربه - سبحانه - فقال: أي رب! أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأبي عبادك أفضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: فأبي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى، أو تزده عن ردى. قال: وكان حدث موسى نفسه أنه ليس أحد أعلم منه، فلما قيل له: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه قال: يا رب! فهل في الأرض أحد أعلم مني؟ قال: نعم. قال: فأين هو؟ قيل له: عند الصخرة التي عندها العين. فخرج موسى يطلبه، حتى كان ما ذكر الله تعالى^(٢).

وقد ذكر عن موسى - عليه السلام - أنه لما كلمه الله تعالى تكليماً، ودرس التوراة وحفظها، حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فهوّن الله عليه نفسه بالخضر - عليه السلام -^(٣).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٣ وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٧ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٣. والتفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٤ - ١٤٥. وانظر رواية ابن جرير في تاريخه ج ١ ص ١٩١.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٧٣ لابن عبد ربه الأندلسي. تحقيق محمد سعيد العريان.

وفي رواية: أن موسى - عليه السلام - لما أوتي من العلم ما أوتي، ظن أنه لا أحد مثله، فأتاه جبريل - عليه السلام - وهو بساحل البحر. قال: يا موسى! انظر إلى هذا الطير الصغير، يهوي إلى البحر، يضرب بمنقاره فيه ثم يرتفع، فأنت ما أوتيت من العلم دون قدر ما يحمل هذا الطير بمنقاره من البحر^(١).

وأخرج ابن جوير، وابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر. فلما استقرت بهم البلاد^(٢) أنزل الله تعالى من الخير والنعم وذكرهم إذ أنجاهم الله تعالى من آل فرعون، وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله سبحانه في الأرض وقال: كلم الله تعالى نبيكم واصطفاني لنفسه، وأنزل علي حجة منه، وآتاكم من كل شيء سألتموه، فنيكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرؤون التوراة. فلم يترك نعمة أنعمها الله تعالى عليهم إلا عرفهم إياها، فقال له رجل من بني إسرائيل: فهل على

(١) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٤. قال الأصوليون: هذه الرواية ضعيفة لأن الأنبياء يجب أن يعلموا أن معلومات الله لا نهاية لها، وأن يعلموا أن معلومات الخلق يجب كونها متناهية، وكل قدر متناه، فإن الزائد عليه ممكن. فلا مرتبة من مراتب العلم إلا وفوقها مرتبة. ولهذا قال تعالى: «وفوق كل ذي علم عليم» يوسف (٧٦). وإذا كانت هذه المقدمات معلومة، فمن المستبعد جداً أن يقطع العاقل بأنه لا أحد أعلم (مني) لا سيما موسى - عليه السلام - مع علمه الوافر بحقائق الأشياء وشدة براءته عن الأخلاق الذميمة كالعجب والتيه والصلف. انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٤.

(٢) لعله أراد معنى المدينة لذلك أنث الفعل.

الأرض أعلم منك يا نبي الله؟! قال: لا. فبعث الله تعالى
يقول: وما يدريك أين أضع علمي؟ بلى. إن على ساحل
البحر رجلاً أعلم منك. ثم كان ما قصَّ الله سبحانه^(١).

(١) انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٣. وانظر جميع هذه الروايات وتخريجها في
فتح الباري ج ٨ ص ٣١٢-٣١٣.

الإنسان والحياة

« فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »

سورة الأعراف (الآية ١٧٦)

الإنسان والحياة

قصة موسى والخضر ..

إنها قصة هذه الحياة، وقصة هذا الكون، الذي نعيش فيه، إنها قصة تثبت في صورة عملية، واضحة رائعة، أن وراء المعلومات والمكتشفات في هذا العالم، وفي هذه الحياة مجهولات كثيرة، وأن ما يجله الإنسان - ولو كان أعظم إنسان في عصره - أكثر مما يعلمه، وأنه دائماً يبني حكمه على ما يشاهده ويشعر به، ولذلك يخطئ كثيراً، ويتعثر كثيراً. وإنه لو انكشفت له حقائق الحياة، وبواطن الأمور وعواقبها لتغير حكمه كثيراً، ونقض ما أبرم، ولثبت أنه لا ثقة بأحكامه وأقضيته، وميوله وانطباعاته .. ولا يصح الإسراع في الحكم والإلحاح على سوانح الآراء، فإن الحياة غامضة ملتوية، وإن الكون واسع فسيح، وكثيراً ما يختلف الباطن عن الظاهر، والآخر عن الأول، وإن في هذه الحياة ألغازاً لم يستطع الإنسان - على ذكائه وعلمه وحرصه - أن يحلها، وإن في هذا الكون عقداً وغوامض لم يستطع العلم البشري - مهما اتسع وارتفع - أن يكشفها. وإن حياتنا اليومية العامة مليئة بالأخطاء الفاحشة،

والأحكام السريعة، والخطوات المتهورة، والآراء المرتجلة، وأنه لو أسندت إليه إدارة هذا العالم الفسيح، ومنح الحرية التامة، والتصرف المطلق، لأفسد العالم، وأهلك الحرث والنسل، لأن نظره قاصر، وعمله محدود، وقد خلق من عجل، وفطر على السرعة وقلة البصر^(١).

(١) انظر كتاب (الصراع بين الإيمان والمادية) ص ٩٣ - ٩٤ لأبي الحسن علي الحسيني الندوي. الطبعة الأولى. بتصرف بسيط.

قِصَّةَ مُوسَىٰ وَالْخَضِرَ:

(سورة الأعراف - الآيات ٦٠-٨٢)

قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرِ:

وقف موسى - عليه السلام - خطيباً في بني إسرائيل، مذكراً إياهم بأيام الله بعبارات تثير الأسى وتبعث الشؤون^(١)، ففاضت العيون، ورتت القلوب.

ولما انتهى من قوله تعلق بأهدابه رجل وقال: أي رسول الله! هل في الأرض من هو أعلم منك؟ قال: لا. أليس هو كبير أنبياء بني إسرائيل، وقاهر فرعون! أو ليس هو صاحب اليد والعصا؟ وبعصاه انفلق البحر!؟ أليس الله قد شرفه بالتوراة، وكلمه جهرة وعياناً؟ فأي غاية أبعد من هذه الغاية؟ وأي شرف أسمى من هذا الشرف؟.

ولكن الله أوحى إليه أن العلم أعظم من أن يحويه رجل، أو ينفرد به رسول، وأن في الأرض من خصه الله بعلم أوفر من علمه، ونصيب من الإلهام أوفر من نصيبه. قال: يا رب! أين مكانه؟ لعلي ألقاه، فأصيب قبساً من علمه، أو فيضاً من إلهامه ويقينه؟ قال: تلقاه بمجمع البحرين. قال: اجعل لي

(١) شؤون العين: مجازها الدمية. المعجم الوسيط.

عَلَمًا يدلني عليه، وآية ترشدني إليه. قال: آية ذلك أن تأخذ حوتاً في مكتل، فحيث فقدت الحوار فقد وجدت الرجل.

فأخذ موسى للأمر عدته، واصطحب فتاة، وحمله المكتل، ووضع الحوت فيه كما أوحى إليه ربه، وظل سائراً وقبلته الرجل، وأخذ على نفسه عهداً أنه سيظل مجدداً في السير، ممعناً في الطلب حتى يبلغ هذا المكان، ولو مضت عليه الأيام، أو تعاقبت السنون. ثم آذن الفتى أن يجبره إذا فقد الحوت.

ولما بلغ مجمع البحرين، في المكان الذي أراد الله أن يلتقي فيه نبي بني إسرائيل بعبده الصالح، أخذت موسى سنة فنام. وفي أثناء نومه هضبت^(١) السماء. فابتل الحوت وانتفض، وسرت إليه الحياة، ثم قفز إلى الماء.

واستيقظ موسى - عليه السلام - ونادى فتاه: هيا نواصل السير والسرى^(٢). وأنسى الشيطان الفتى ما كان من أمر الحوت، وتابعا المسير الى أن أدركهما الأين^(٣)، وأحسًا بالجوع، فقال موسى لفتاه: (آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً^(٤)).

ولما همّ أن يأخذ الغداء من المكتل تذكر ما كان من أمر الحوت وذهابه في الماء، فقال: أرأيت إذا أويانا إلى الصخرة، وحين غشاك النعاس فإن الحوت قد اتخذ سبيله إلى الماء، ونسيت أن أذكرك. وما أنساني إلا الشيطان.

(٣) التعب.

(٤) تعباً.

(١) أمطرت.

(٢) السير ليلاً.

وحينئذ لاحت لموسى شارة الظفر، ووجد ريح الرجل، فقال: ذلك ما كنا نبغيه وننشده، هيا بنا نعد إلى هذا المكان. فإننا سنصيب الغاية. ورجعا يقوفان^(١) الأثر ويتعرفان الطريق.

ولما وصلا إلى حيث فقد الحوت وجدا رجلاً نحيل الجسم، غائر العينين، عليه دلائل النبوة، وفي وجهه فيض من السماحة والتقوى قد سُجى بثوبه، وجعل طرفه تحت رجله، وطرفه الآخر تحت رأسه. فسلم عليه موسى. فكشف عن وجهه. وقال: هل بأرضي من سلام؟! من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى نبيُّ بني إسرائيل؟ قال: نعم، ومن أعلمك بهذا؟! قال: الذي بعثك إلي. فعلم موسى أنه ضالته التي ينشدها، وبغيته التي جهد في سبيلها، فتلطف في القول، وتجمّل بأحسن ما وهبه الله من أدب الحديث، وفضل التواضع، وقال: هل تأذن أيها العبد الصالح! لرجل جاهد في سبيل لقائك، ولقي العناء حتى أصاب موضعك أن تفيض عليه من علمك، وأن تقبسه شيئاً من هديك، على أن أتبعك وأسير في ظلك، وألتزم أمرك ونهيك!؟..

قال له الخضر: إنك لن تستطيع معي صبراً، ولو أنك صحيتني فإنك ستري ظواهر عجيبة! وأموراً غريبة، وسترى أموراً منكراً في ظاهرها، وإن كانت حقاً في باطنها، ولكنك بما ركّب الله في البشر من إلف القيل والقال، والجنوح إلى البحث والجدال، سوف لا تسكت عن الاعتراض، ولا تتورع

(١) أي: يتبعانه. ويجوز أن تقول: (يقفوان). أنظر المعجم الوسيط.

عن الامتعاض، وكيف تصبر على ما يخرج من مألوفك، ويتجاوز معروفك! فقال له موسى - وكان حريصاً على العلم، تواقاً الى المعرفة -: «ستجدني إن شاء الله صابراً، ولا أعصي لك أمراً» قال الخضر: «إن صحبتني أخذ عليك عهداً وشرطاً، أن تأخذ عدتك من الخزم والصبر، ونصيبك من الجلد وضبط النفس، فلا تتدربي بسؤال، ولا تثر أمامي أي اعتراض، حتى ينقضي الشرط، وتنتهي الرحلة، وإني بعدها سأتي على ما في نفسك وأشفي ما يصدرك.

فقبل موسى الشرط، وقيد نفسه بذلك العهد، وساروا على الساحل، حتى لحا سفينة في البحر، فطلبنا من أهلها حملها إلى حيث يذهبون. ولما قرؤوا السماحة في وجهيهما. ورأوا بريق النبوة يلمع في عيونهما، حملوهما من غير نول^(١)، وبالغوا في إكرامهما، والحفاوة بهما.

وبينا هما في السفينة، وعلى حين غفلة من أهلها أخذ الخضر لوحين من خشب السفينة، فخلعهما، فهال موسى - وهو الرسول الكريم الذي أرسل لهداية الناس وردّ عادية الظلم عنهم - أن يقابل صنيعهم بالإساءة. وجميلهم بالنكران. وخشي أن يصيبهم غرق أو هلاك، فنسي عهده وشرطه، وصاح: أتعمد إلى قوم أكرموا وفادتنا، وأحسنوا لقاءنا. فتحرق سفينتهم وتحاول إغراقهم؟ «لقد جئت شيئاً إمرأاً»^(٢).

(١) النول: الأجر.

(٢) سورة الكهف (٧١). و: (جئت شيئاً إمرأاً): أي: شيئاً عظيماً و (شيئاً إمرأاً) من المنكر. لسان العرب.

فالتفت الخضر إليه، وما زاد على أن ذكره بشرطه، وما قدره من قبل أنه سوف لا يصبر على سؤال، ولا يسكت عن مرأء، وقال: «ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟» وحينذاك أدرك موسى ما وقع فيه من خطأ، وما تورط فيه من نسيان. فاعتذر إليه واستغفره من نسيانه، وقال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا تحرمني شرف الصحبة، وفضل المرافقة، وسأكون بعد الآن كما شرطت. وغادرا السفينة، وتابعا السير، فوجدا غلاماً وضيقاً يلعب مع لداته وأقرانه، فأخذه الخضر بعيداً ثم أضجعه وقتله! ففزع موسى من هذا القتل، وكبر عنده ذلك الإثم، إذ رأى غلاماً يافعاً، قد يكون وحيد أهله، ورجاء والديه، يقتل من غير قود، ويسفك دمه من غير إثم، على يدي رباني كريم وإمام من أئمة الدين فتحلل من عهده، وأطلق نفسه من ميثاقه، وقال: ما هذا المنكر الذي أتته، والإثم الذي ترتكبه! «أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً» فالتفت إليه الخضر، ولم يزد على أن ذكره بعهده، وما كان من شرطه، وما قدره مما سيكون من سؤاله عما لا يعرف! وامتعاضه مما لا يألّف، قائلاً: «ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟» وهنا استحيا موسى. وأدرك أنه قد أثقل على هذا العبد الصالح، وكان خليقاً به أن يدرع بالصبر، ويمسك لسانه عن الجدل، حتى يفصح له بعد عما خفي من أمره، وما تشابه عليه من علمه، وخشي إن تمادى أن يقع منه على موجدة أو كراهية، فاتخذ لنفسه شرطاً ألا يعجل بسؤال بعد الآن، وإلا فإن رفيقه في حلٍّ من مفارقتها، وقطع صحبته، وقال: «إن سألتك عن

شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً». وانطلقا على هذا الشرط، حتى أدركهما الطوى^(١)، ونال منها النصب والكلال، وصادفا قرية في طريقهما، فدخلها طمعاً في زاد يعينها على السير، وبمسكهما على الجوع، ولكن أهلها - بما كانوا عليه من لؤم النحيزة^(٢)، وكزازة^(٣) النفس - أبوا أن يضيفوهما، وردوهما رداً غير جميل، فلم يجدا عندهم مأوى ولا طعاماً. وخرجا جائعين ساخطين.

وقبل أن يجاوزا القرية، وجدا جداراً يتداعى للسقوط، فأقامه الخضر، وأصلح من شأنه، فقال موسى: عجباً، أتجازي هؤلاء القوم اللؤماء الذين أسأؤوا اللقاء بهذا الإحسان؟! لو شئت لاتخذت على عملك هذا أجراً نسدُ به حاجتنا، ونحفظ به على الحياة أنفسنا! قال الخضر - وقد آمن بأن موسى سوف لا يستطيع بعد الآن صبراً -: «هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً».

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فيصيبون منها رزقاً يعينهم على الكسب ويقطعون به مفازة الحياة. ولكن ملكاً ظالماً كان يتبع كل سفينة صالحة، يأخذها من أهلها عنوة، ويستولي عليها غصباً، فأردت أن أعيها، رفقاً بهم ورحمة لهم، حتى إذا شهدها ملكهم تركها لعيها. فهذا عمل إن كان ظاهره الفساد ففي باطنه الرحمة، وإن كنت قد حسبته نكراً،

(١) الجوع.

(٢) الأصل.

(٣) الكزاز: البخل.

فإنما هو حفظ للمساكين وإبقاء على حياة هؤلاء البائسين. وأما الغلام فكان وقاحاً مبغضاً من الناس، وكان أبواه مؤمنين، وبما فطر الله الآباء على حب الأبناء والدفاع عنهم بالحق وبالباطل، خشيت أن يحملها هذا على التعصب له والميل إلى طريقتة، فينتهيا إلى الطغيان والكفر، فقتلته حفظاً لدينهما، ورجاء من الله أن يرزقهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً.

وأما الجدار فقد علمت من الله أن تحته كنزاً ليتيمين صغيرين، تحدرًا من رجل صالح كريم، فأردت أن أحمي هذا الجدار، حتى يشتد أزرهما، ويقوى على الحياة أمرهما، فيستخرجا كنزهما، مالاً حلالاً طيباً لهما. وما فعلت هذا بعلمي ولا برأيي. ولكنه وحي من الله وهدى منه: «ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً»^(١).

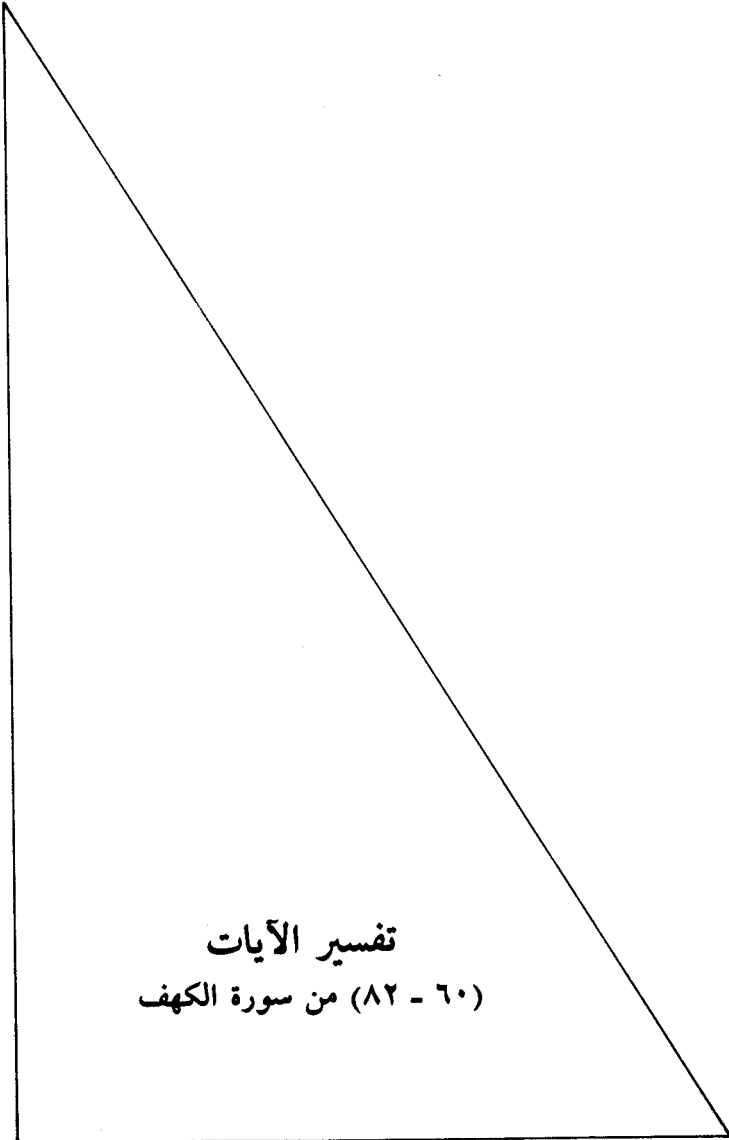
العلم البشري لم يبلغ الكمال والغاية:

ما أعجب الحقائق إذا ظهرت! وما أبعد الشقة بين الصورة والحقيقة!. والظاهر والباطن! وما أعقد هذه الحياة! وما أغمض هذا الكون! وما أكثر ألغاز الحياة! وما أجراً الإنسان في ادعائه أنه أحاط بكل شيء علماً، ووصل إلى الحقيقة في كل قضية! فقد يدور لأول وهلة بخلد من لا يعلم الحقيقة أن الخضر - عليه السلام - بعيد عن الصواب وسبيل الرشاد، ولكن التدبر والتفكير يظهر أن أمره كان رشداً! لقد تحقق أن

(١) نقلنا القصة كاملة من كتاب (قصص القرآن) ص ١٣٩ - ١٤٤. تأليف المرحوم محمد أحمد جاد المولى. طبعة ١٣٩٨.

هذه الحياة لا تزال تطلع بكل جديد وتهجم بكل غريب،
وتحقق أن العلم البشري لم ينته الى الحد الأخير. «وما أوتيتم
من العلم إلا قليلاً»^(١).

(١) الصراع بين الإيمان والمادية (تأملات في سورة الكهف) لأبي الحسن الندوي
ص ٩٧-٩٨ مع بعض التصرف.



تفسير الآيات
(٦٠ - ٨٢) من سورة الكهف

﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقياً﴾ ٦٠

تمهيد:

(هذه الحلقة من سيرة موسى - عليه الصلاة والسلام - لا تذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضع من هذه السورة.

والقرآن لا يحدد المكان الذي وقعت فيه إلا بأنه «مجمع البحرين». ولا يحدد التاريخ الذي وقعت فيه من حياة موسى. هل كان ذلك وهو في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل أم بعد خروجه بهم منها؟ فإذا كان بعد الخروج، فهل حصل قبل أن يذهب بهم إلى الأرض المقدسة أم بعد ما ذهب بهم إليها فوقفوا حياها لا يدخلون، لأن فيها قوماً جبارين؟ أم بعد ذهابهم في التيه مفرقين مبددين؟^(١).

﴿وإذ قال موسى﴾: لقد اختار الله تعالى لتقرير حقيقة الإيمان بالغيب - التي هي أساس الأديان - أعظم شخصية في عصره، والذي أوتي علماً وخيراً كثيرين، وهو موسى - عليه

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٩٥. الطبعة الخامسة. مع قليل من التصرف.

الصلاة والسلام - أحد أولي العزم من الرسل^(١).

﴿لفتاه﴾: هو يوشع بن نون، كما ورد في صحيح البخاري^(٢). وإنما قيل: فتاه. لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم^(٣). قال القفال: واللغة تحتل ذلك. روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي»^(٤).

وهذا يدل على أنهم كانوا يسمّون العبد والأمة فتاة^(٥).

ويوشع هذا، هو الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى، ونقل ابن العربي: أنه كان ابن أخت موسى^(٦).

﴿لا أبرح﴾: لا أزال سائراً^(٧). ويجوز أن تكون ناقصة، ويجوز أن تكون تامة^(٨). والعرب تقول: لا أبرح، ولا أزال، ولا أنفك، ولا أفنا، بمعنى واحد^(٩).

﴿مجمع البحرين﴾: الأرجح أنه بحر الروم وبحر القلزم. أي: البحر الأبيض والبحر الأحمر. ومجموعهما مكان التقائهما

(١) الصراع بين الإيمان والمادية ص ٩٤ مع بعض التصرف.

(٢) انظر التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج ١ ص ٢٢.

(٣) تفسير القرآن الجليل للإمام النسفي الآية (٦٠) من سورة الكهف.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد. انظر الفتح الكبير ج ٣ ص ٣٦٨.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٤.

(٦) فتح الباري ج ٨ ص ٣١٣.

(٧) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢ والنسفي ج ٣ ص ١٣٦.

(٨) ارشاد الساري ج ٧ ص ٢١٦.

(٩) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٥.

في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح، أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر^(١).

وقال الإمام الرازي: ليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك. وإلا فالأولى السكوت عنه^(٢). أما الراجح من الأقوال فهو ما ذكره صاحب الظلال - رحمه الله - (ومن بدع التفسير أن البحرين موسى والخضر. لأنها كانا بحرين في العلم)^(٣).

﴿حقباً﴾: الحقب: قيل: سنة، وقيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون خريفاً. وقيل: دهرأ^(٤). مهما يكن من أمر فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد^(٥). وهذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم. وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك^(٦).

﴿فلما بلغنا مجمع بينهما نسيا حوتها فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾ (١٦١)؛ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٩٥ ط ٣. وأورد المؤلف أقوالاً أخرى غير ما ذكر واستبعدها. انظر الهامش في نفس الصفحة.

(٢) انظر التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٥.

(٣) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٧٤ طبعة أولى بالمطبعة الشرفية.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢.

(٥) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٩٦ ط ٣.

(٦) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٦.

لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً (٦٢)؛ قال أرأيت إذا
 أويينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا
 الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً (٦٣)؛
 قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً
 .﴿(٦٤)﴾

﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾: قال الحافظ ابن حجر: ظاهر
 التبويت أن موسى ركب البحر لما توجه في طلب الخضر، لأن
 الذي ثبت عند المصنف وغيره أنه خرج في البر. وإنما ركب
 البحر في السفينة هو والخضر بعد أن التقيا. وقال ابن رشيد:
 يحتمل أن يكون ثبت عند البخاري أن موسى توجه في البحر
 لما طلب الخضر. قلت - الكلام لابن حجر - : لعله قوى عنده
 أحد الاحتمالين في قوله: «فكان يتبع أثر الحوت في البحر»
 فالظرف يحتمل أن يكون لموسى، ويحتمل أن يكون للحوت،
 ويؤيد الأول ما جاء عن أبي العالية وغيره، فروى عبد بن حميد
 عن أبي العالية أن موسى التقى بالخضر في جزيرة من جزائر
 البحر. (١. هـ) والتوصل الى جزيرة في البحر لا يقع إلا
 بسلوك البحر غالباً. وعنده أيضاً من طريق الربيع بن أنس
 قال: انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار طاقة مفتوحة
 فدخلها موسى على أثر الحوت حتى انتهى إلى الخضر فهذا
 يوضح أنه ركب البحر إليه. وهذان الأثران الموقوفان رجالهما
 ثقات^(١).

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤. مع بعض الاختصار.

﴿نسيا حوتها﴾: نسب النسيان إليها - وإن كان يوشع هو الذي نسيه كقوله - تعالى - : «يخرج منها اللؤلؤ والمرجان»^(١). وإنما يخرج من المالح على أحد قولين-^(٢). لأن يوشع كان صاحب الزاد. دليله: «فإني نسيت الحوت»^(٣). وهو كقولهم: نسوا زادهم. وإنما ينسأه متعهد الزاد^(٤). وكما قال النبي ﷺ لمالك بن الحويرث ولابن عم له: «إذا سافرتما فأذنا وأقيما وليؤمكما أحدكما»^(٥). وإنما يؤذن ويقيم أحدهما. وقال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾^(٦). وإنما هم من الإنس^(٧). وبهذا التأويل يضعف القول أن كليهما قد نسي. . وقد ورد مثل هذا في إرشاد الساري، إذ يقول صاحبه مبيناً كيفية نسيان الاثنين: (نسي يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياة الحوت ووقوعه في البحر، ونسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ليشهد منه تلك الأمانة^(٨)). وربما احتملت الآية التأويلين.

﴿فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾: أي: مثل السرب في

(١) الرحمن (٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢.

(٣) الكهف (٦٣).

(٤) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٣٧.

(٥) أخرجه البخاري وغيره. وهو عند البخاري بلفظ: «إذا أنتما خرجتما فأذنا

ثم أقيما ثم ليؤمكما أكبركما» انظر التجريد الصريح ج ١ ص ٦٠

(٦) الأنعام (١٣٠).

(٧) أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢١٥ وفتح الباري ج ٨ ص ٣١٤.

(٨) ج ٧ ص ٢٢١.

الأرض. ومعنى الآية: فجعل يسير في الماء، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده.. حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه^(١). وفي صحيح البخاري: «وتضرب^(٢) الحوت حتى دخل البحر فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر^(٣)». وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: رجع موسى فوجد الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا ييس حتى يصير صخرة^(٤). وقال القرطبي: وجمهور المفسرين: أن الحوت بقي موضع سلوكه فارغاً، وأن موسى مشى عليه متبعاً الحوت، حتى أفضى به الطريق إلى جزيرة في البحر، وفيها وجد الخضر^(٥).

كيف عادت الحياة إلى الحوت؟ ..

رأينا أن موسى - عليه الصلاة والسلام - وطن نفسه على هذا السفر الطويل، واتخذ له زاداً، وهو هذا الحوت، الذي من المعروف أنه كان ميتاً، وقد ورد في بعض التفاسير أيضاً أنه كان مملحاً^(٦). فكيف أحيى هذا الحوت، وسلك طريقه في البحر؟.

-
- (١) البحر المحيط ج ٦ ص ١٤٥.
 - (٢) ضرب الشيء ضرباً وضرباناً: تحرك. انظر المعجم الوسيط.
 - (٣) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٣.
 - (٤) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٨.
 - (٥) انظر تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ج ١١ ص ١٢. طبعة ١٣٦٠. دار الكتب المصرية.
 - (٦) تفسير النسفي. وفتح الباري ج ٨ ص ٣١٣.

ففي حديث رواه الشيخان وغيرهما: «أن الله تعالى قال لموسى: خذ نوناً^(١). ميتاً، فهو^(٢) حيث ينفخ فيه الروح. فأخذ ذلك فجعله في مكتل فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت. قال: ما كلفت كثيراً. فبينما هما في ظل صخرة، إذ اضطرب الحوت حتى دخل البحر وموسى نائم^(٣)».

وسبب حياة هذا الحوت على ما في بعض الروايات عن ابن عباس أنه كان عند صخرة ماء الحياة، من شرب منه خلد، ولا يقاربه ميت إلا حيي، فأصاب شيء منه الحوت فحيي^(٤). وروي: أن يوشع - عليه السلام - توضأ من ذلك الماء، فانتضح شيء منه على الحوت فعاش^(٥).

قال الإمام القرطبي: من غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الآية: أن الحوت إنما حيي لأنه مسّه ماء عين هناك تدعى عين الحياة، ما مسّت قط شيئاً إلا حيي... .

وقيل: لما نزل موسى بعد ما أجهده السفر على صخرة إلى جنبها ماء الحياة، أصاب الحوت شيئاً من ذلك الماء فحيي.

(١) النون: الحوت أو السمكة.

(٢) أي: الخضر.

(٣) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٣١٣.

(٤) انظر تاريخ الطبري ج ١ ص ١٩٢ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣١٤.

(٥) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٤.

وقال الترمذي في حديثه: قال سفيان: يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة^(١)، ولا يصيب ماؤها شيئاً إلا عاش. قال: وكان الحوت قد أكل منه، فلما قطر عليه الماء عاش. وذكر صاحب (العروس) أن موسى - عليه السلام - توضأ من عين الحياة، فقطرت من لحيته على الحوت قطرة فحيي والله أعلم^(٢).

وقيل: إنه لم يصبه سوى روح الماء وبرده، فعاش بإذن الله تعالى. وذكر هذا الماء وأنه ما أصاب منه شيئاً إلا حيي، وأن الحوت أصاب منه جاء في صحيح البخاري فيما يتعلق بسورة الكهف أيضاً، لكن ليس فيه أنه من شرب منه خلد كما في بعض الروايات السابقة^(٣). ورواية البخاري أنه (اضطرب الحوت في المكتل) وشرحه العلامة القسطلاني أنه - أي: الحوت - تحرك لأنه أصابه من ماء عين الحياة الكائنة في أصل الصخرة شيء، إذ إصابته مقتضية للحياة^(٤).

وقد روى حديث البخاري في هذا الشأن يعلى بن مسلم، وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، وروى عنهما ابن

(١) الغريب أن الزمخشري ذكر أن (عين الحياة) هو اسم الشاطئ الذي نزل فيه موسى وفتاه. انظر الكشاف ج ١ ص ٥٧٥. وكذلك صاحب البحر المحيط انظر ج ٦ ص ١٤٥.

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٥.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٤ - ٣١٥ والتفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٦.

(٤) إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨١ وج ٧ ص ٢١٧ وانظر بعض ما ورد في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٣.

جريح^(١). ومنه روى أيضاً سفيان بن عمرو^(٢). يقول سفيان:
وفي غير حديث عمرو: «وفي أصل الصخرة عين يقال لها:
الحياة. لا يصيب من مائها شيئاً إلا حيي، فأصاب الحوت من
ماء تلك العين، فتحرك وانسل من المكتل، فدخل البحر^(٣)».

قلت: هذه الرواية التي سقناها من فتح الباري، هي التي
قصدها صاحب روح المعاني، عندما ذكرنا قبل قليل قوله:
«... لكن ليس فيه أنه من شرب منه خلد كما في بعض
الروايات السابقة^(٤)».

ولكن حكى ابن الجوزي: أن في روايته في البخاري (الحيا)
بغير هاء^(٥). قال: وهو ما يُحیی به الناس. وهذه الزيادة التي
ذكر سفيان أنها في حديث غير عمرو، ولفظه: «حتى انتهيا إلى
الصخرة فقال موسى عندها - أي: نام - قال: وكان عند
الصخرة عين ماء، يقال لها: عين الحياة. لا يصيب من ذلك
الماء ميتاً إلا عاش، ففطرت من ذلك الماء على الحوت قطرة،
فعاش وخرج من المكتل، فسقط في البحر، وأظن أن ابن
عبيدة أخذ ذلك عن قتادة. فقد أخرج ابن أبي حاتم من
طريقه: قال: فأتى على عين في البحر يقال لها: عين الحياة.
فلما أصاب تلك العين رد الله روح الحوت إليه. وقد أنكر

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٣١١.

(٣) فتح الباري ج ٨ ص ٣١٤.

(٤) راجع روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٥) هكذا في الأصل. والمقصود: تاء (الحياة).

الداودي فيما حكاه ابن التين هذه الزيادة، فقال: لا أرى هذا يثبت، فإن كان محفوظاً فهو من خلق الله وقدرته. قال: لكن في دخول الحوت العين دلالة على أنه كان حياً قبل دخوله، فلو كان كما في هذا الخبر لم يحتاج إلى العين. قال: والله قادر على أن يحييه بغير العين. انتهى. قال: ولا يخفى ضعف كلامه دعوى واستدلالاً، وكأنه ظن أن الماء الذي دخل فيه الحوت هو ماء العين وليس كذلك، بل الأخبار صريحة في أن العين عند الصخرة، وهي غير البحر، وكان الذي أصاب الحوت من الماء كان شيئاً من رشاش^(١).

والذي نخلص إليه في هذا أن الله تعالى جعل علامة العثور على الخضر - عليه السلام - فقد الحوت. وما كان فقد الحوت إلا العلامة المميزة لهم، لذلك أحياء الله تعالى عندما أصابه شيء من الماء الذي كان عند الصخرة^(٢).

ومهما يكن من أمر فإن إحياء الحوت (معجزة لموسى - عليه السلام - أو الخضر إن قلنا: إنه نبي وإلا تكن كرامة^(٣)).

﴿فلما جاوزا﴾: أي: المكان الذي نسيا الحوت فيه^(٤).

﴿آتنا غذاءنا﴾: قال الإمام القرطبي: فيه مسألة واحدة،

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٣١٤.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٤ - ٣١٥ والتفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٦ بتصرف.

(٣) البحر المحيط ج ٦ ص ١٤٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢.

وهي اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو رد على الصوفية الجهلة الأغمار^(١). الذين يقتحمون المهامه والقفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار. هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد. وفي صحيح البخاري: «إن ناسًا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون. فإذا قدموا سألو الناس، فأنزل الله تعالى: «وتزودوا»^(٢).

يقول الإمام الغزالي: «... وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل، فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل، وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحاب، وقد كانوا أعرف بالتوكل منه، فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد، وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به، وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور»^(٣).

﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصب﴾: أي: تعباً.

قالوا: لحقه التعب والجوع ليطلب الغداء فيتذكر به نسيان الحوت^(٤). وفي صحيح البخاري: أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لم يجد النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله

(١) الغمر: الرجل الذي لم يجرب الأمور فهو غَمِرٌ: انظر المعجم الوسيط.

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٣. والآية في سورة البقرة (١٩٧).

(٣) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٤٠٦.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٨.

به^(١). وفي الإشارة بهذا، إشعار بأن هذا المسير كان أتعب لها
 مما سبق، فإن رجاء المطلوب يقرب البعيد، والخيبة تبعد
 القريب^(٢). وقال ابن عطية: قال أبي - رضي الله عنه - :
 سمعت أبا الفضل الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى إلى
 المناجاة فبقي أربعين يوماً لم يحتاج إلى طعام، ولما مشى إلى بشرٍ
 لحقه الجوع في بعض يوم^(٣).

والآية تدل على إباحة إظهار مثل هذا القول، عندما يلحق
 الإنسان نصب أو تعب في سعي قربة. وإن ذلك ليس بشكاية
 مكروهة^(٤).

﴿أرأيت﴾: الهمزة همزة الإستفهام. ورأيت على معناه
 الأصلي، وقد جاء هذا الكلام على ما هو المتعارف بين الناس،
 فإنه إذا حدث لأحدهم أمر عجيب قال لصاحبه: أرأيت ما
 حدث لي؟ كذلك ههنا. ^(٥).

﴿إذا أويئنا إلى الصخرة فيأني نسيت الحوت﴾: أي: نسيت
 أن أخبرك بحياته وانتصاب الماء مثل الطاق وغيره^(٦). ونسب

(١) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٣١٠ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨١ وج ٧
 ص ٢١٧ وص ٢٢٣ والتاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٨.

(٢) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢١٧.

(٣) تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٤. والبحر المحيط ج ٦ ص ١٤٦.

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢١٥. نشر دار الكتاب العربي.

وتفسير القرطبي ج ١١ ص ١٤.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٧.

(٦) إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨١.

النسيان لنفسه^(١)، لأن موسى كان نائماً إذ ذاك، وكره يوشع أن يوقظه. ونسي أن يعلمه بعد، لما قدره الله تعالى عليهما من الخطأ^(٢). ففي صحيح البخاري - رواية ابن جريج -: «فبينما هو في ظل صخرة في مكان ثريان^(٣)، إذ تضرب الحوت وموسى نائم، فقال فتاه: لا أوقظه. حتى إذا استيقظ، فنسي أن يخبره»^(٤). ولكن كيف نسي يوشع أمر السمكة وهو معجزة؟ ولا تنسى أمثال هذه الأمور العجيبة بهذه السرعة؟! (أجاب العلماء عنه: بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات الباهرة من موسى كثيراً، فلم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم، فجاز حصول النسيان)^(٥). قال صاحب روح البيان: (وعندي فيه جواب آخر، وهو أن موسى لما استعظم على نفسه، أزال الله تعالى عن قلب صاحبه هذا العلم الضروري، تنبيهاً لموسى على أن العلم لا يحصل إلا بتعليم الله تعالى، وحفظه على القلب وال خاطر)^(٦).

﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾: في الآية دليل أن النسيان ونحوه من الأمور المكروهة تنسب إلى الشيطان وتأدباً عن

(١) راجع تفسير آية: «نسيانها».

(٢) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢١٨.

(٣) ندي.

(٤) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٣١٤ وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٢ -

٢٢٣.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ اسماعيل حقي ج ٢ ص ٤٩٧.

(٦) روح البيان ج ٢ ص ٤٩٧.

نسبتها إلى الله تعالى^(١).

﴿أن أذكره﴾: تؤول الآية كالتالي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان^(٢). قال الكعبي: والآية تدل على أنه تعالى ما خلق ذلك النسيان وما أراد، وإلا كانت إضافته إلى الله تعالى أوجب من إضافته إلى الشيطان، لأنه تعالى إذا خلقه فيه لم يكن لسعي الشيطان في وجوده ولا في عدمه^(٣). ولكننا نفضل التعليل السابق، وهو أن الأمور المكروهة تنسب إلى الشيطان، تأدباً عن نسبتها إلى الله تعالى.

﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾: وهو أن أثره بقي إلى حيث سار^(٤). وكذلك انقلاب الحوت من الممثل وصيرورته حياً، وإلقاء نفسه في البحر على غفلة منها^(٥). وفي صحيح البخاري: فكان للحوت سرباً ولهما عجباً^(٦).

وقال القرطبي: موضع العجب أن يكون حوت قد مات فأكل شقه الأيسر ثم حيي بعد ذلك^(٧).

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٢ وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢١٨.

(٢) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٧.

(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٧.

(٤) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٣٧.

(٥) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٤٧.

(٦) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ٤ ص ١٦٨.

(٧) تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٤. وفي إعراب «عجباً» وجوه:

فإما أن تكون مفعولاً ثانياً لـ «اتخذ» والمفعول الأول «سبيله».

أو أن تكون صفة مصدر محذوف أي: (اتخاذاً عجباً).

﴿نبغ﴾: حذف الياء طلباً للتخفيف^(١).

﴿فارتدا﴾: رجعا^(٢).

﴿آثارهما﴾: طريقهما.

﴿قصصاً﴾: يقصان آثار مشيها ويقفوان أثرهما^(٣). لكلا
يخطئا طريقهما^(٤).

﴿فوجد عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علماً (٦٥)، قال له موسى هل أتبعك
على أن تعلمني مما علمت رشداً (٦٦)، قال إنك لن
تستطيع معي صبراً (٦٧)، وكيف تصبر على ما لم تحط
به خبراً (٦٨)، قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا
أعصي لك أمراً (٦٩)، قال فإن اتبعني فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً (٧٠)﴾.

﴿عبداً﴾: وهذا هو الخضر - عليه السلام - كما دلت
عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ^(٥).

= أو انها منصوبة بفعل مضمّر. أي: (أعجب عجباً) انظر تفسير روح المعاني
ج ١٥ ص ٣١٨.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٤٧.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٣١٥.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢.

(٤) تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٥.

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٠ وج ٧ ص =

﴿من عبادنا﴾: ذكر بعض أهل الإشارة، أن في هذه الآية إشارة^(١) إلى أن الله تعالى خواصّ أضافهم سبحانه إليه وقطعهم عن غيره^(٢).

﴿رحمة﴾: الجمهور على أنها الوحي والنبوة^(٣).

﴿من لدن﴾: أي: من عندنا^(٤).

﴿علماً﴾: هو العلم الخاص الذي لا يعلم إلا من جهته

= ٢١٨ وفتح الباري ج ٦ ص ٣٠٨-٣٠٩ وج ٨ ص ٣١٥.

(١) التفسير الاشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف.. وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور. فمتمم من أجازوه ومنهم من منعه. وذكر صاحب (مناهل العرفان) شروطاً لقبول التفسير الإشاري هي:

١- ألا يتناق وما يظهر من معنى النظم الكريم.

٢- ألا يدعى أنه هو المراد وحده دون الظاهر.

٣- ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً، كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾. العنكبوت ٦٩، بجعل كلمة (لمع) فعلاً ماضياً، وكلمة (المحسنين) مفعوله.

٤- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٥- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده...

انظر الثقافة الإسلامية تأليف محمد راغب الطباخ ص ٩٧، ٩٨، ٩٩، طبعة ١٣٦٩.

(٢) انظر روح المعاني ج ١٦ ص ٢٢.

(٣) راجع معنى الرحمة في دلائل نبوة الخضر من هذا الكتاب.

(٤) انظر اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين للعلامة الزبيدي ج ٧

ص ٢٦٠.

تعالى^(١). أي: علم الإخبار بالغيوب^(٢).

(فتى موسى):

ولكن أين ذهب يوشع؛ فتى موسى - عليه السلام -؟
هل أكمل معها الرحلة أم أنه فارقها منذ البداية؟.

يقول صاحب الظلال - رحمه الله تعالى -: (يبدو أن ذلك اللقاء كان سرّاً موسى وحده مع ربه، فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه، ومن ثم يفرد موسى والعبد الصالح في المشاهد التالية للقصة^(٣)).

ولكن يفهم من الآية أن فتاه أيضاً قد رأى الخضر، بدليل قوله تعالى «فوجدنا»، إلا إذا قلنا: إن هذه الآية كسابقتها في قوله تعالى: «نسيا حوتها» على التأويل الأول. ومن ثم نستطيع القول بانفراد موسى مع الخضر - عليهما السلام - في القصة، لأنه لا دليل يثبت أن يوشع بقي مع موسى - عليه السلام - .

أما إذا قلنا بالوجه الثاني - وهو أن يوشع بقي معها - فلا تكاد تكون هناك غرابة.. لأن ضمير التثنية المتتالي في القصة كلها يخصّ موسى والخضر. ولا شأن ليوشع بن نون فيها؛ فيكون الحديث عنها فقط، حتى يكون جل الانتباه منحصراً

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٢.

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٥٧٥، والبحر المحيط ج ٦ ص ١٤٧. وانظر أيضاً تفسير النسفي.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ج ٥ ص ٣٩٦ ط ٥.

فيهما، ولا علاقة أو تأثير للشخصية الثانوية - يوشع - بعد أن أدى دوره. وإنهاء دوره في القصة لا يعني أنه لم يكن موجوداً معها. كقولك في أميرين معهما حاشيتهما : ومضيا في الطريق.. . والحال أن معهما خدم كثير.. . فأطلق عليهما ذلك لأن الأمر يتعلق بهما، وغيرهما لا شأن لهم في الأمر فيذكروا.

أما الخبر الذي أخرجه الطبري بشأن فقدان يوشع فلم يثبت. فقد روي من طريق عكرمة قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه؟ فقال ابن عباس: شرب الفتى من ماء الخلد فخلد فأخذه العالم فطابق به بين لوحين ثم أرسله في البحر، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب^(١).

وقال أبو نصر بن القشيري: إن ثبت هذا فليس هو يوشع. وقال ابن حجر العسقلاني: لم يثبت، فإن إسناده ضعيف^(٢).

إلا أن الإمام القرطبي يرى أن موسى - عليه السلام - صرف فتاه لما لقي الخضر^(٣). قلت: بل ورد للبخاري عن طريق أبي ذر: «فمرت بهم»^(٤). قال صاحب إرشاد الساري: أي: بموسى ويوشع والخضر، وإن قيل: «فركبا في السفينة» ولم يذكر يوشع فلأنه تابع غير مقصود بالأصالة^(٥). وبذلك يكون

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ج ١ ص ١٩٣.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٣١٣.

(٣) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٣٩.

(٤) أي: فمرت السفينة بهم.

(٥) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٨.

كلام شيخ القرطبي؛ أبي العباس، أقوى من كلامه عندما قال: يحتمل أن يكون اكتفي بذكر المتبوع عن التابع والله أعلم^(١).

﴿هل أتبعك﴾: سؤال تلطف لا على وجه الإلزام والإجبار. وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم. وقوله: «أتبعك» أي: أصحابك وأرافقتك^(٢). ويصبح معنى الآية: هل يتفق لك ويخف عليك^(٣)؟

﴿على أن تعلمني﴾: في صحيح البخاري: قال الخضر لموسى: «أما كيفيك أن التوراة بيدك، وأن الوحي يأتيك؟ يا موسى! إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه. وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه»^(٤).

﴿مما علمت رشداً﴾: أي: علماً راشداً، وهو إصابة الخير^(٥). وقال القفال: قوله: «رشداً». يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الرشد راجعاً إلى الخضر، أي: مما علمك الله وأرشدك به. والثاني: أن يرجع ذلك إلى موسى. ويكون المعنى: على أن تعلمني وترشدني مما علمت^(٦). وفي الآية دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ

(١) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٣٩.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٦.

(٣) تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٧.

(٤) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٣.

(٥) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣١.

(٦) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٠.

نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه^(١). ولهذا فإن موسى - عليه الصلاة والسلام - لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم، وركوب البحر لأجله^(٢). قال قتادة: لو كان أحد مكتفياً من العلم لأكتفى نجياً الله موسى، ولكنه قال: «هل أتبعك على أن تعلمني»^(٣).

وقد استدل بعض علماء الصوفية بهذه الآية على وجوب طلب علم الحقيقة، كما يجب طلب علم الشريعة^(٤).

﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾: أي: أنك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك، لأنني على علم من علم الله ما علمك الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله، فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه. وأنت لا تقدر على صحبتي^(٥).

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً﴾: لأن الخضر قد اطلع على الحكمة والمصلحة الباطنة دون موسى - عليه السلام -^(٦). ولأن موسى لا يصبر على ترك الإنكار إذا رأى ما يخالف الشرع^(٧). ومن أسباب عدم تحمل موسى لأعمال الخضر أيضاً

(١) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٣٨.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ١٥٤.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥٠٢.

(٤) انظر قول الشيخ محمد المغربي الغزالي (مات سنة نيف وعشر وتسعمائة) في

الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ١١٦

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٦.

(٦) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٦. (٧) إرشاد المناري ج ٥ ص ٣٨٢.

أنه - عليه السلام - أَلِفَ الكلام، وتعود الإثبات والإبطال والاستدلال والاعتراض، فلم يصبر^(١).

﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً﴾: يقول حجة الإسلام؛ الإمام الغزالي، في باب آداب المتعلم والمعلم: (فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة^(٢)). نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذغنت بالكلية لقبوله^(٣).

وفي الآية الاستعانة بالله على الأعمال وتقديم المشيئة. وعلق الوعد بالمشيئة للتيمن، أو علماً منه بشدة الأمر وصعوبته فإن مشاهدة الفساد شيء لا يطاق^(٤).

وهذا الضرب من الاستثناء يدخل لرفع حكم الكلام حتى يكون وجوده وعدمه سواء، فلم يصبر موسى ولم يك كاذباً لوجود الاستثناء في كلامه^(٥).

وقول الخضر لموسى - عليه السلام - : «وكيف تصبر على ما لم تحط به خبيراً» نسبة إلى قلة العلم والخبرة. وقول موسى: «ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً» تواضع شديد، وإظهار للتحمل التام والتواضع الشديد، وكل ذلك

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٥٢.

(٢) سهلة لينة. المعجم الوسيط.

(٣) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٥٠.

(٤) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢١٩، وانظر المعنى في هذا: الكشف

للزنجشيري ج ١ ص ٥٧٦.

(٥) أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢١٣.

يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى
الغايات. وأما المعلم فإن رأى أن في التغليظ على المتعلم ما
يفيده نفعاً وإرشاداً الى الخير، فالواجب عليه ذكره. فإن
السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة^(١). وذلك يمنعه
من التعلم^(٤).

قال صاحب روح البيان: (فإن قلت: ما معنى قول موسى
للخضر: «ستجدني إن شاء الله صابراً» ولم يصبر، وقول
إسماعيل - عليه السلام - : «ستجدني إن شاء الله من
الصابرين»^(٣) فصبر؟. قال بعض العلماء: لان موسى جاء
صحبة الخضر بصورة التعلم، والمتعلم لا يصبر إذا رأى شيئاً
حتى يفهمه. بل يعترض على أستاذه كما هو دأب المتعلمين،
وإسماعيل لم يكن كذلك، بل كان في معرض التسليم
والتفويض إلى الله تعالى. وكلاهما في مكانها واقفان)^(٤).

﴿فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾: أي:
لا تسألني عن شيء ابتداء، حتى أبدأك أنا به قبل أن
تسألني^(٥). وهذا إيذان بأن كلما يصدر عنه فله حكمة وغاية
حميدة البتة^(٦). وفي الآية أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع^(٧).

(١) نخي نخوة: افتخر وتعظم. انظر المعجم الوسيط.

(٢) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٣. (٣) الصافات (١٠٢).

(٤) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥٠٣.

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٦.

(٦) روح المعاني للألوسي ج ١٥ ص ٣٣٥.

(٧) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٣٩.

ويقول الإمام الغزالي: (السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم، ولذلك منع الخضر موسى - عليهما السلام - من السؤال، أي: دع السؤال قبل أوانه، فالعلم أعلم بما أنت؛ أهل له؛ وبأوان الكشف^(١)).

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ (٧١) ، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً (٧٢) ، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً (٧٣) ، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً (٧٤) ، قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً (٧٥) ، قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً (٧٦) ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً (٧٧) ، قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً (٧٨) 》.

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة﴾: أخرج البخاري

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٥١ .

ومسلم وغيرهما عن ابن عباس مرفوعاً: أنها انطلقا بمشيان على ساحل البحر^(١)، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول - أي: بغير أجرة -^(٢). وفي الكشف أن أهلها قالوا: هما من اللصوص . وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء^(٣).

﴿خرقها﴾: استخرج لوحاً من ألواحها ثم رقعها^(٤). وفي تفسير النسفي والبيضاوي: (فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها^(٥)). أما كيف خرق السفينة؟ فقد ورد في صحيح البخاري أنه (قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم^(٦)). وفي رواية أخرى: «أخذ فأساً فترع لوحاً»^(٧). وفي رواية: أنه خرقها ووتد فيها وتدا^(٨).

﴿لتغرق﴾: اللام لام العاقبة لا لام التعليل^(٩).

(١) أي: عندما كانا في الجزيرة.. فقد مرّ في رواية للطبراني عن ابن عباس: أن الحوت انتهى به إلى جزيرة فلقى الخضر بها.. قال: فركبا في السفينة يريدان أن يتعليا إلى البر.. تاريخ الطبري ج ١ ص ١٩١.
(٢) إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٢ وج ٧ ص ٢١٩. والتاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٩ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٥ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٩.

(٣) تفسير الكشف للزخشي ج ١ ص ٥٧٦.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧.

(٥) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٣٩ وتفسير البيضاوي.

(٦) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢١٩ والتاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٩.

(٧) إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٢.

(٨) فتح الباري ج ٨ ص ٣١٧.

(٩) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧.

﴿إمراً﴾: قال مجاهد: منكرأ. وقال قتادة: عجباً^(١).

وقد استنتج الجصاص من هذه الآية حكماً يدل على بصيرته النافذة عندما قال: (ما ذكره الله تعالى في قصة موسى - عليه السلام - مع الخضر فيه بيان أن فعل الحكيم للضرر لا يجوز أن يستنكر إذا كان فيه تجويز فعله على وجه الحكمة المؤدية إلى المصلحة وأن ما يقع من الحكيم من ذلك بخلاف ما يقع من السفیه، وهو مثل الصبي الذي إذا حجم أو سقي الدواء، استنكر ظاهره، وهو غير عالم بحقيقة معنى النفع والحكمة فيه، فكذلك ما يفعل الله من الضرر أو ما يأمر به غير جائز استنكاره بعد قيام الدلالة أنه لا يفعل إلا ما هو صواب وحكمة^(٢)). وإن هذا الاستنتاج جميل ومهم وهو من العقيدة الصحيحة السليمة.

هذا ونستبعد ما حكي من أن الخضر لما خرق السفينة غضب موسى وأخذ برجل الخضر ليلقيه في البحر حتى ذكره يوشع عهده مع الخضر فخلاه^(٣)!!... إنه أشبه ما يكون بالإسرائيليات، لأن هذا لا يكون من صنيع الأنبياء مع غيرهم، فكيف إذا كان مع نبي مثله؟! ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ أي: لأنك لم تحط بهذه الأمور خبراً^(٤).

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢١٥.

(٣) الفتوحات الوهية شرح الأربعين حديثاً الوهية للشيخ إبراهيم بن محمد بن عطية الشبرخيتي ص ١٦٤.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧.

ويقول الإمام السهروردي - الذي هو من أئمة الصوفية -
بهذه المناسبة: وينبغي للمريد إذا أشكل عليه شيء من حال
الشيخ أن يذكر قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - .
كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره
الخضر بسرّها يرجع موسى عن إنكاره فما ينكره المريد لقلة
علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ. فللشيخ في كل شيء عذرٌ
بلسان العلم والحكمة^(١).

ولكن هذا الكلام ليس على إطلاقه.. وذلك لأن العالم لا
يقاس بالنبي مطلقاً، فهذا معصوم والآخر غير معصوم. وليس
هناك كمال إنساني إلا للأنبياء، إذ كل بني آدم خطأ، فإن
اقترب بعض العلماء والأولياء من الكمال، علماً وأدباً وأخلاقاً،
وندرت أخطاؤهم، فهذا لطاعتهم للشرع، ومن ثم فإن الشرع
هو المعصوم لا هم.. وإن الشيخ إذا اقترف منكراً شرعياً
ظاهر النكارة، أو أمر به فلا يطاع، لأنه لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق.. والحكمة من هذا الكلام هو أن لا يكون
المريد مقلداً أعمى يطيع على غير هدى.. بل يجب أن يكون
مفتح العين، عاقلاً، ذا بصيرة، يعلم المنكر من غيره..

إلا أن الذي يشتهه هنا، هو الأمر الذي يراه البعض أن في
عمل الشيخ نكارة، ولكن الحقيقة أنه غير ذلك، فعند هذا
يطلب الصبر والطاعة. وأعتقد أن هذه هي عقيدة الصوفية في
هذا الأمر^(٢).

(١) انظر ملحق إحياء علوم الدين - المجلد الخامس - ص ٢٠١. القسم الثالث
منه (عوارف المعارف) للإمام السهروردي.

(٢) وقد طلبت من أستاذي الشيخ علوان أن يعلق على كلام السهرودي، =

﴿ولا ترهقني من أمري عسراً﴾: أي: لا تضيق علي ولا تشدد علي. ولهذا جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً» أخرجه البخاري (١).

وفي الآية ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخظة. وأنه لا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره (٢).

وقد ورد في صحيح البخاري أنه بينا موسى والخضر - عليهما السلام - كانا في السفينة «جاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر من البحر نقرة، قال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر» (٣). ولفظ النقص ليس على ظاهره، وإنما معناه: أن

= فكتب مشكوراً ما يلي: (المفروض في الشيخ المرشد أن يكون كاملاً، أي: يكون ملتزماً بالشرع تماماً، في أوامره ونواهيه، وقد يأمر الشيخ المرشد بعض مريديه بأشياء يرى أنها غير شرعية حسب نظره القاصر. وقد يقوم المرشد بأعمال يراها المرشد لا تليق به كمرشد؛ فهذا يجب أن يستسلم المرشد وأن يعتقد أن ما يفعله المرشد هو من الشرع، فقد تغيب عنه أمور لا تغيب عن علم الشيخ الكامل، ودليله في هذا قصة موسى - عليه السلام - وكذلك المرشد، قد يرى أشياء لا تليق بالشيخ ومع ذلك فإن الشيخ قد يكون على صواب علمياً بأن الشيخ المرشد يجب أن يلتزم بالشرع في كل الأحوال، ولكل مرشد حاله، وله طريقه في إصلاحه وتزكية نفسه، فقد يستعمل الشيخ في حق بعضهم الرخص وقد يأخذه بالشدّة وقد يأخذه بين بين).

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧.

(٢) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٢٠.

(٣) انظر التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٩ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٢ =

علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما أخذه
العصفور بمنقاره إلى ماء البحر. وهذا على التقريب إلى
الافهام، وإلا فنسبة علمهما إلى علم الله أقل^(١).

﴿فانطلقا﴾: أي: فقبل عذره، فخرجا من السفينة،
فانطلقا يمشيان على الساحل كما في الصحيح^(٢).

﴿غلاماً﴾: يزعمون - كما قال البخاري - في شرح
(غلاماً): أن اسمه «جيسور» بالجيم. وروي بالحاء. وقيل:
«جنبتور». وقيل غير ذلك. وصح أنه كان يلعب مع الغلمان.
وكانوا على ما قيل: عشرة، وأنه لم يكن فيهم أحسن ولا
أنظف منه^(٣).

﴿فقتله﴾: أخرج البخاري في رواية: أنه - عليه السلام -
أخذ برأسه من أعلاه فاقتلعه بيده^(٤). وذكر أنه أخذ حجراً،
فضرب به رأسه حتى دفعه، وذكر أيضاً أنه أضجعه ثم ذبحه.
قال القرطبي: ولا اختلاف بين هذه الأقوال الثلاثة، فإنه
يحتمل أن يكون دفعه أولاً بالحجر ثم أضجعه فذبحه، ثم
اقتلع رأسه؛ والله أعلم بما كان من ذلك. وحسبك ما جاء في الصحيح^(٥).

= جـ ٧ ص ٢٢٠ وص ٢٢٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٣١٧.

(١) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٤.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٨ والتاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٩.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٨ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٢ وفتح الباري

ج ٨ ص ٣١٩.

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٨ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٢٢٠ وأخرجه

مسلم أيضاً. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤٠.

(٥) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٢٠ - ٢١.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قيل: «خرقها» بغير فاء، و«فقتله» بالفاء؟ قلت: جعل «خرقها» جزاء للشرط، وجعل «قتله» من جملة الشرط معطوفاً عليه. والجزاء: «قال أقتلت»، فإن قلت: فلم خولف بينهما؟ قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام^(١).

﴿نفساً زكية﴾: أي: صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثماً بعد^(٢).

﴿بغير نفس﴾: أي: لم يرتكب الغلام ما يوجب القتل، بل لم يبلغ الحكم حتى يكون مؤاخذاً على ما يصدر منه^(٣).

﴿منكراً﴾: ظاهر النكارة^(٤)، أو منكراً تنكره العقول وتنفر عنه النفوس^(٥). و«النكر» أعظم من الـ«الإمر» في القبح، وهذا إشارة إلى أن قتل الغلام أقيح من خرق السفينة، لأن ذلك ما كان إتلافاً للنفس، لأنه كان يمكن أن لا يحصل الغرق. أما هنا فقد حصل الإتلاف قطعاً فكان أنكر. ومنهم من قال: (الإمر) أعظم. قال: لأن خرق السفينة يؤدي إلى إتلاف نفوس كثيرة، وهذا القتل ليس إلا إتلاف شخص

(١) انظر الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٥٧٦ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٦ ص ١٥٠.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧ وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٠.

(٣) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٩٨ ط ٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧.

(٥) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٠.

واحد^(١). ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾:
تذكير لموسى بالشرط. قال عليه - الصلاة والسلام -: «وهذه
أشد من الأولى»^(٢). لأن هذه الآية فيها زيادة «لك» عن
سابقها، وهذه اللفظة تؤكد التوبيخ. فعند هذا قال موسى:
«إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني» مع العلم بشدة
حرصه على مصاحبته، وهذا كلامٌ نادمٍ شديد الندامة^(٣).

﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾: أي: إن اعترضت
عليك بعد هذه المرة^(٤).

﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾: أي: أعذرتني مرة بعد أخرى
فلا اعتذار بعد هذا^(٥).

وقال الإمام النووي: قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها
في فراق^(٦). والمراد من هذا الكلام أيضاً أنه يمدحه بهذه

(١) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٥ وفتح الباري ج ٨ ص ٢٢٣. وحكى
القرطبي عن صاحب العرس والعرائس أن موسى - عليه الصلاة
والسلام - لما قال للخضر: «أقتلت نفساً زكية» غضب الخضر واقتلع كتف
الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه. وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن
بالله أبداً. انظر هذا الخبر في إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٠. والتاج
الجامع للأصول ج ٤ ص ١٧٠.

(٢) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٠ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥
ص ١٤٠.

(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٥ وانظر بعض هذا في إرشاد الساري ج ٧
ص ٢٢٠ والتاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٧٠.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧. (٥) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٧٠.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤٤.

الطريقة من حيث احتمله مرتين: أولاً، وثانياً، مع قرب المدة^(١). قال ابن جرير: حدثنا عبد الله بن زياد، حدثنا حجاج بن محمد، عن حمزة الزيات؛ عن أبي إسحاق، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب قال: كان النبي ﷺ. إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب. ولكنه قال: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبي قد بلغت من لدي عذراً﴾^(٢). وفي روح المعاني: (صح عن النبي ﷺ قال: رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر على صاحبه لرأى العجب، لكن أخذته من صاحبه ذمامة فقال ذلك)^(٣). وعن رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك»^(٤).

﴿قرية﴾: الجمهور على أنها انطاكية. وحكاها الثعلبي عن ابن عباس^(٥).

-
- (١) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٥. (٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٢.
(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٧. (٤) الكشاف للزنجشري ج ١ ص ٥٧٦.
(٥) وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة عنه: أنها (برقة). وهي كما في القاموس، اسم لمواضع (انظر أيضاً معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ص ٣٨٨ فما بعد طبعة ١٩٧٧) وفي (المواهب): إنها قرية بأرض الروم. والله تعالى أعلم. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن السدي: أنها (باجروان) وهي اسم لمتعدد. (في معجم البلدان: وباجروان أيضاً مدينة من نواحي باب الأبواب قرب شروان عندها عين الحياة التي وجدها الخضر- عليه السلام- وقيل: هي القرية التي استظم موسى والخضر- عليهما السلام- أهلها. ج ١ ص ٣١٣) إلا أنه ذكر بعضهم أن =

﴿استطعم﴾: استضافاً^(١). وقد سلكا طريق السؤال الذي يتعلق بذل النفس في الطريقة وهو لا ينافي التوكّل، وكذا الكسب^(٢). قال الإمام القرطبي: في هذه الآية دليل على سؤال القوت، وأن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد جوعه، خلافاً لجهال المتصوفة.. ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت واجبة عليهم، وأن الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأنسب بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء، والأولياء.. قال: وقد أخطأ وزلّ وتمجّن الحريري عندما استدل بهذه الآية على الكذبة^(٣). والإلحاح فيها وأن

= المراد بها قرية بنواحي أرمينية، وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين أنها (الأبلة): (وهي بلدة على شاطئ دجلة عند البصرة وهي أقدم من البصرة. معجم البلدان ج ١ ص ٧٦-٧٧). وقيل: قرية على ساحل البحر يقال لها: (ناصره). وإليها تنسب النصارى. قال في مجمع البيان: وهو المروي عن أبي عبد الله، رضي الله تعالى عنه، وقيل: قرية في الجزيرة الخضراء من أرض الأندلس. قال ابن حجر: والخلاف هنا كالخلاف في مجمع البحرين، ولا يوثق بشيء منه. انظر روح المعاني ج ١٦ ص ٢، ٣ وفتح الباري ج ٨ ص ٣١٩. وشدة التباين في ذلك تقتضي أن لا يوثق بشيء من ذلك. انظر أيضاً إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٠. وذكر القرطبي أصل الخلاف في ذلك وقال: وهذا كله بحسب الخلاف في أي ناحية من الأرض كانت قصة موسى. والله أعلم بحقيقة ذلك. انظر تفسير القرطبي ج ١١ ص ٢٤. وسواء أكانت القرية تلك أم هذه، فإن موقعها واسمها لا يفيدنا بشيء. وما يعمنا هو الهدف الذي ترمي إليه القصة، والتي سردت من أجله.

(١) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٤٠.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٣.

(٣) أي: تكفّف الناس.

ذلك ليس بمعيب على فاعله ولا منقصة عليه، فقال في مقامه
(الصعدية):

وإن رُددتَ فما في الردِّ منقصة
عليك قد رُدَّ موسى قبل والخضر^(١)

قلت - الكلام للقرطبي - : وهذا لعب بالدين، وانسلاخ عن
احترام النبيين، وهي شنشنة أدبية، وهفوة سخافية، ويرحم
الله السلف الصالح، فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح
فقالوا: مهما كنت لاعباً بشيء فيأيك أن تلعب بدينك^(٢).

﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾: ورد في حديث مسلم أن أهل
القرية كانوا لثاماً. أي: بخلاء^(٣). فلم يطعموهما رغم أنها
طافا في المجالس^(٤). وقد قيل: (شرُّ القرى التي تبخل
بالقرى^(٥)).

وربما اعترض هنا؛ بأن الاستطعام ليس من عادة الكرام،
فكيف أقدم عليه موسى وذلك العالم؟ والجواب: أن إقدام

(١) انظر البيت في شرح مقامات الحريري لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد
عثمان الحريري البصري (٤٤٦ - ٥١٤) طبعة ١٣٨٨ و(الصعدية): نسبة إلى
صعدة من بلاد اليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخاً. وتضمن المقامة كون
أبي زيد عند القاضي مع ابنه ينسبه إلى العقوق.

(٢) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٢٥. مع قليل من التصرف والاختصار.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤٤ وإرشاد الساري ج ٧
ص ٢٢٠ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٤) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٢٤. (٥) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٤٠.

الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع، بل ربما وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد..

وربما قيل أيضاً: إن الضيافة من المندوبات، فتركها ترك للمندوب، وذلك أمر غير منكر، فكيف يجوز من موسى - عليه السلام - مع علو منزلته أن يجد عليهم تلك الموجدة الشديدة التي من أجلها ترك العهد الذي التزمه مع ذلك العالم في قوله: «إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني»؟!.. على أن مثل هذا الغضب لأجل ترك الأكل في ليلة واحدة لا يليق بأقل الناس شأنًا فضلاً عن أن يليق بكليم الله؟.

والجواب: أما قوله: الضيافة من المندوبات. فنقول: قد تكون من المندوبات وقد تكون من الواجبات، بأن كان الضيف قد بلغ في الجوع إلى حيث لو لم يأكل هلك، وإذا كان التقدير ما ذكرناه لم يكن الغضب الشديد لأجل ترك الأكل يوماً.

فإن قالوا: ما بلغ في الجوع إلى حد الهلاك، بدليل أنه قال: «لو شئت لاتخذت عليه أجراً». وكان يطلب على إصلاح ذلك الجدار أجرة، ولو كان قد بلغ في الجوع حد الهلاك لما قدر على ذلك العمل، فكيف يصح منه طلب الأجرة؟ قلنا: لعل ذلك الجوع كان شديداً إلا أنه ما بلغ حد الهلاك^(١). وقد ذكر الإمام الغزالي أنه لم يسأل من الأنبياء إلا ثلاثة وهم: سليمان، وموسى، والخضر - عليهم الصلاة والسلام - قال: ولا

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٥٦، ١٥٧ مع بعض التصرف.

شك أنهم ما سألوا إلا عن ضرورة، وما سألوا إلا من علموا
أنه يرغب في إعطائهم^(١).

﴿جداراً يريد أن ينقض﴾: أي: قرب من الانقضاض وهو
السقوط.

واستدل الأصوليون بهذا على وجود المجاز في القرآن^(٢).
لأن (إسناد الإرادة ههنا) إلى الجدار على سبيل الاستعارة، فإن
الإرادة في المحدثات بمعنى الميل^(٣). وفي تفسير النسفي:
استعيرت الإرادة للمدانة والمشاركة كما استعير الهم والعزم
لذلك^(٤).

﴿فأقامه﴾: أي: فردّه إلى حالة الاستقامة. وفي الحديث أنه
رده بيده ودعمه حتى ردّ ميله. وهذا خارق^(٥). وقد قيل: إن

(١) انظر إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢١٣ بتصرف. وقد عرفت قصة سؤال
موسى والخضر -عليهما السلام-، أما سليمان -عليه الصلاة والسلام- فقد
روي أنه لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عُبد في داره أربعين
يوماً، وقيل: لأن المرأة سألته أن يحكم لأبيها، فقال نعم. ولم يفعل.
وقيل: بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه فسلب
ملكه أربعين يوماً، فهرب تائهاً على وجهه، فكان يسأل بكفه فلا يطعم..
إلى أن أعاد الله إليه ملكه. انظر هذا الخبر في إحياء علوم الدين ج ٤
ص ٥٢-٥٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤١.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٤) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨. ولم يذكر المصنف درجة الحديث. والذي
رأبته في تاريخ الطبري ما رواه هو عن أبي بن كعب عن رسول =

الخضر دعم الجدار بدعامة تمنعه من السقوط، أو هدمه وبلى طيناً وأخذ في بنائه إلى أن كمل وعاد كما كان. وكلها حكايات حال لا تثبت إلا بنقل صحيح. والذي دل عليه القرآن الإقامة، لا الكيفية. وأحسن هذه الأقوال أنه مسحه أو دفعه بيده فاعتدل، لأن ذلك أليق بحال الأنبياء، وكرامات الأولياء، إلا أن يصح عن الشارع أنه هدمه وبناه، فيصار إليه^(١).

﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾: أي: لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي أن لا تعمل لهم مجاناً^(٢). وفي هذا إشارة إلى أن موسى أكمل من الخضر - عليه السلام -^(٣). وفي صحيح البخاري: أن موسى قال: قوم أتيانهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً^(٤).

يقول صاحب روح البيان: إن قلت: كيف جوز موسى طلب الأجر بمقابلة العمل الذي حصل بمجرد الإشارة، وهو من طريق خرق العادة الذي لا مؤنة فيه؟ قلت: لم ينظر إلى جانب الأسباب، وإنما نظر إلى النفع العائد إلى جانب أصحاب الجدار. ألا ترى أنه جوز أخذ الأجر بمقابلة الرقية بسورة

= الله ﷻ : (فأقامه بيده قال: مسحه بيده) انظر تاريخ الطبري ج ١ ص ١٨٩.

(١) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٥.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٣) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٣.

(٤) إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٣ وج ٧ ص ٢٢٠ وص ٢٢٥ وفتح الباري

ج ٨ ص ٣١٩ وج ٤ ص ١٧٠.

الفاتحة ونحوها، وهو ليس من قبيل طلب الأجرة على الدعوة^(١).

فإن قيل: لماذا كره موسى أكل طعام شعيب حين دعاه للأكل، لما سقى الأغنام لبناته، ولم يكره ذلك مع الخضر حيث قال: «لو شئت لاتخذت عليه أجراً»؟ والجواب: أن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز، وأما الاستجار فيجوز^(٢).

﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾: أي: لأنك شرطت عند قتل الغلام، أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني، فهو فراق بيني وبينك^(٣). فسبب الفراق إذن واضح. وفي رواية الطبري عن ابن عباس.. فكان قول موسى في الجدار لنفسه ولطلب شيء من الدنيا. وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله عز وجل^(٤). ولذا نقل الإمام القشيري عن بعضهم: أن سبب فراق موسى والخضر هو عندما نطق موسى بذكر الطمع فقال: «لو شئت لاتخذت عليه أجراً»^(٥). والصحيح الظاهر في سبب

(١) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي جـ ٢ ص ٥١٨. وانظر في جواز أخذ الأجرة على الرقية كتاب (فقه السيرة) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٠٩ الطبعة الخامسة (١٣٩٢).

(٢) انظر (نزهة المجالس) جـ ٢ ص ٥٠٥-٥٠٦، وذكر الثعلبي أن الخضر قال لموسى: أتلومني على خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، ونسيت نفسك حين ألقيت في البحر وحين قتلت القبطي وحين سقيت أغنام ابنتي شعيب احتساباً؟ انظر فتح الباري جـ ٨ ص ٣١٩. وانظر شبهه في (روح البيان) جـ ٢ ص ٥٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٩٨.

(٤) تاريخ الطبري جـ ١ ص ١٩١. (٥) انظر الرسالة القشيرية ص ٧٥.

الفراق هو الشرط الذي كان بينها كما ذكرنا.

وفي البخاري وشرحه لابن حجر: وكانت الأولى نسياناً، والثانية شرطاً، والثالثة عمداً، وفي رواية: والثانية عمداً، والثالثة فراقاً^(١). وفي صحيح البخاري أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما» إذ لو صبر لرأى أعجب الأعاجيب^(٢).

﴿بتأويل﴾: بحكمة، وأصل التأويل راجع إلى قولهم: آل الأمر إلى كذا، أي: صار إليه. فإذا قيل: ما تأويله؟ فالمعنى: ما مصيره^(٣).

﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾: لكونه منكراً من حيث الظاهر، وقد كانت أحكام موسى كغيره من الأنبياء مبنية على الظواهر، ولذا أنكر خرق السفينة وقتل الغلام، إذ التصرف في أموال الناس وأرواحهم بغير حق حرام في الشرع الذي شرعه لأنبيائه - عليهم السلام - إذ لم يكلفنا بالكشف عن البواطن لما في ذلك من الحرج؛ وأما وقوع ذلك من الخضر، فالظاهر أنه قد شرع له أن يعمل بما كشف له من بواطن الأسرار، واطلع عليه من حقائق الأشياء. فلما علم الخضر علماً يقيناً أنه إن لم يعب السفينة بالخرق غصبها الملك،

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٤ وفتح الباري ج ٨ ص ٣١٨ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٢.

(٢) إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٣ وج ٧ ص ٢٢١ والتاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ٤ ص ١٧٠. وفتح الباري ج ٨ ص ٣٢٢.

(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٨.

فوجب عليه ذلك دفعاً للضرر عن ملاكها؛ إذ لو تركها ولم يعيها فاتت بالكلية بأخذ الملك لها، وكذا قتل الغلام.. وإقامة الجدار^(١)...

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأدت أن أعيها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً (٧٩)، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقها طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلها ربها خيراً منه زكاة وأقرب رحماً (٨٠)، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً (٨١)﴾.

﴿لمساكين﴾: قيل: إنهم أيتام^(٢). وقيل: كانت لعشرة إخوة؛ خمسة منهم زمني، وخمسة يعملون في البحر^(٣). وقد قيل: إن السفينة بعد أن نزع الخضر لوحاً منها، لم يدخلها الماء كرامة له ورحمة بالمساكين أصحابها^(٤).

﴿أعيها﴾: في صحيح البخاري: أن الخضر قال: فإذا

(١) انظر إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٩ مع قليل من التصرف.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٣) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٤١ وانظر أيضاً تفسير البيضاوي.

(٤) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ ج ٤ ص ١٦٩.

جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها. ومنهم من يقول: سدوها بقرارورة، ومنهم من يقول بالقار^(١).

﴿وراءهم﴾: لفظ الراء فيه قولان:

١- إن المراد منه: أمامهم ملك يأخذ. هكذا قاله الفراء. وتفسيره قوله تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾^(٢) أي: أمامهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾^(٣) وتحقيقة أن كل ما غاب عنك، فقد توارى عنك وأنت متوار عنه. فكل ما غاب عنك فهو وراءك. وأمام الشيء وقدمه إذا كان غائباً عنه متوارياً، فلم يبعد إطلاق لفظ وراء عليه.

٢- يحتمل أن يكون الملك كان وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع السفينة عليه^(٤). وجزم القسطلاني بالقول الأول! إذ يقول: والآية دالة على أن معنى وراء: أمام. لأنه لو كان بمعنى (خلف) كانوا قد جاوزه فلا يأخذ سفينتهم.. وأورد في هذا قول أبي علي: إنما جاز استعمال وراء بمعنى أمام على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة، وكانت كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى، إذ لم يرد معنى المواجهة؛ قال لبيد:

(١) فتح الباري جـ ٨ ص ٣١٩ وإرشاد الساري جـ ٧ ص ٢٢٥.

(٢) الجاثية (١٠).

(٣) الإنسان (٢٧).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢١ ص ١٦٠.

أليس ورائي إن تراخت منيتي
لزوم العصى تحي عليها الأصابع^(١)

﴿ملك﴾: في رواية للبخاري قال ابن جريج: يزعمون عن غير سعيد^(٢) أنه^(٣): (هدد ابن بدد). وحكاه الحافظ ابن كثير. وهو مذكور في التوراة في ذرية (العيص بن إسحق) وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة^(٤).

قال الشيخ إسماعيل صاحب روح البيان: وكان - أي: الملك - بجزيرة الأندلس ببلدة قرطبة، وأول فساد ظهر في البحر كان ظلمه على ما ذكر أبو الليث، وأول فساد ظهر في البر قتل قابيل هابيل^(٥).

﴿سفينة﴾: صالحة، أي: جيدة^(٦). قال ابن إسحق بسنده إلى ابن عباس فيما ذكره ابن كثير في تفسيره: فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرضان للناس، يلتمسان من يحملهما، حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمرّ بهما من السفن شيء أحسن

(١) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٥ والبحر المحيط ج ٦ ص ١٥٤.

(٢) ابن جبير.

(٣) أي: الملك.

(٤) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٥ وفي تفسير البيضاوي وروح البيان غير ما ذكر. وكان هذا الملك كافراً. انظر البحر المحيط ج ٦ ص ١٥٤ وروح

البيان ج ٢ ص ٥٠٨.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥٠٨

(٦) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

ولا أجل ولا أوثق منها^(١).

(وفي قصص الأنبياء: فبينما هم كذلك استقبلتهم سفينة فيها جنود الملك وقالوا: إن الملك يريد أن يأخذ سفينتكم إن لم يكن فيها عيب. ثم صعدوا إليها وكشفوها فوجدوا موضع اللوح مفتوحا فانصرفوا، فلما بعدوا عنهم أخذ الخضر ذلك اللوح وردّه إلى مكانه.. فظاهر فعله تخريب وباطنه تعمیر^(٢)).

وروي: أن الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب، ولم يكن يعلمون بخبره^(٣). وقال مصنف (روح البيان): إن أهل السفينة لما لم يأخذوا النول - أي: الأجرة - من موسى والخضر عوضهم الله تعالى خيراً من ذلك، حيث نجى سفينتهم من اليد العادية، وفيه فضيلة الفضل^(٤).

وقد استنتج العلماء أن السفينة كانت سليمة وصالحة من قواعد علم الأصول.. فكلمة «سفينة» في علم الأصول، من نوع المطلق الذي يشمل ألفاظ العموم «كل سفينة» ولا يشمل اللفظ إلا ما تكاملت فيه ماهيته من الجزئيات، يتضح ذلك من قوله تعالى:

﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ فلو أن كلمة «سفينة» شملت فيما تشمل ما كان معيياً منها، لما كان لخرق

(١) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٤. وانظر هذه الرواية في تاريخ الطبري ج ١ ص ١٩٢.

(٢) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥٠٩.

(٣) روح البيان ج ٢ ص ٥٠٨.

(٤) روح البيان ج ٢ ص ٥٠٩.

سيدنا الخضر لها أي فائدة ومعنى. ولكنها لا تشمل الا ما تكاملت فيه ماهية السفينة. وهي السفينة الصالحة التي لا عيب فيها. ومن هنا ظهرت فائدة خرقة لها^(١).

﴿الغلام﴾: عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: «الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً». رواه ابن جرير^(٢). وورد مثل هذا في صحيح مسلم أيضاً. وفي شرح النووي عليه ذكر قول القاضي: إن في هذا حجة بينة لأهل السنة لصحة أصل مذهبهم في الطبع^(٣)، والرّين^(٤)، والأكنة^(٥)، والأغشية^(٦)، والحجب^(٧)، والسد^(٨)، وأشباه هذه الألفاظ الواردة في الشرع في أفعال الله تعالى

(١) انظر كتاب (مباحث الكتاب والسنة في علم الأصول) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٦٦. وهو أملية جامعية.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٣) قال تعالى: «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون» المنافقون (١٣)

(٤) قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ المطففين (١٤).

(٥) قال تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾ الأنعام (٢٥) والإسراء (٤٦).

(٦) قال تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ البقرة (٧).

(٧) قال تعالى: ﴿جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججاً مستوراً﴾ الإسراء (٤٥).

(٨) قال تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ يس (٩).

بقلوب أهل الكفر والضلال^(١) وأخرج الترمذي وصححه. وأبو داود في القدر وزاد: لو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً^(٢).

قال صاحب روح البيان: فإن قلت: ما معنى هذا وقد قال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة..»^(٣). قلت: المراد بالفطرة استعداده لقبول الإسلام، وذلك لا ينافي كونه شقيماً في جبلته. أو يراد بالفطرة قولهم: «بلى». حين قال الله: «ألست بربكم»^(٤). قال النووي: لما كان أبواه مؤمنين كان هو مؤمناً أيضاً، فيجب تأويله بأن معناه - والله أعلم - أن ذلك الغلام، لو بلغ لكان كافراً^(٥).

والمطبوع على الكفر الذي لا يُرجى إيمانه، كان قتله في تلك الشريعة واجباً، لأن أخذ الجزية لم يشرع إلا في شريعتنا^(٦). وترك التصريح بكفره إشعاراً بعدم الحاجة إلى الذكر لظهوره^(٧). ولو لم يكن الولد كافراً لم يكن لقوله: «وكان أبواه مؤمنين» فائدة، إذ لا مدخل لذلك في القصة لولا هذه الفائدة^(٨).

-
- (١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤٥.
(٢) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٧١.
(٣) رواه الشيخان عن أبي هريرة، وتكملة الحديث: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» انظر كشف الخفا ج ٢ ص ١٦٤.
(٤) قال تعالى: ﴿ أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ الأعراف (١٧٢).

- (٥) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي ج ٢ ص ٥٠٦.
(٦) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٦.
(٧) روح المعاني ج ١٦ ص ١٥.
(٨) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٦.

﴿يرهبهما طفياً وكفراً﴾: أي: يحملها حبه على متابعتها في الكفر^(١). فإن حب الشيء يعمي ويصم. والمراد بالطغيان هنا الزيادة في الضلال^(٢).

والقول بقية كلام الخضر، وإنما خشي الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعته على سر أمره. وإن كان من قول الله تعالى فمعنى «فخشينا»: فعلمنا إن عاش أن يصير سبباً لكفر والديه^(٣). وقد فسر بعض شراح البخاري الخشية بالعلم فقال: أي: علمنا أنه لو أدرك وبلغ لدعا أبويه إلى الكفر فيجيبانه ويدخلان معه في دينه لفرط حبهما إياه^(٤).

والآية من المشكل ظاهراً، لأنه إن كان قد قدر الله تعالى عليهما الكفر فلا ينفعهما قتل الولد، وإن لم يكن قدر سبحانه ذلك فلا يضربهما بقاؤه.

وأجيب بأن المقدر بقاؤهما على الإيمان إن قتل، وقتله ليقيا على ذلك^(٥).

﴿يبدلها ربها خيراً منه﴾: قال قتادة: فرح أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرضى المرء بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٤٥.

(٣) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٤٢.

(٤) روح المعاني ج ١٦ ص ١١.

(٥) انظر الجواب بشكل أوسع في روح المعاني ج ١٦ ص ٢٣ وانظر تأويل القصة كاملاً هناك.

فما يحب، وصح في الحديث: «لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له»^(١).

﴿زكاة﴾: أي: ولدأ أزكى من هذا^(٢). ومعنى زكاة هنا أي: طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة^(٣).

﴿وأقرب رحماً﴾: أي: وهما أرحم به منه. قال ابن جريج، وقال قتادة: أبرّ بوالديه^(٤). وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، عن ابن عباس، أنها أبدلا تجارية ولدت نبيا. وقال الثعلبي: إنها أدركت يونس بن متى فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت نبياً هدى الله تعالى على يده أمة من الأمم^(٥).

﴿لغلامين يتيمين﴾: هذان الغلامان صغيران بقريئة وصفهما باليتيم. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يُتم بعد البلوغ»^(٦). هذا هو الظاهر. وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتيم بعد البلوغ إن كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما. واليتيم في الناس من قبل فقد الأب، وفي غيرهم من الحيوان

(١) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٣) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٦.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٨.

(٥) انظر ما ذكرنا وروايات أخرى في روح المعاني ج ١٦ ص ١٢ وتفسير

النسفي وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٦ تفصيلاً، وكذلك فتح الباري

ج ٨ ص ٣٢٠.

(٦) في الفتح الكبير: (لا يتم بعد احتلام) عن علي بإسناد حسن. انظر ج ٣

ص ٤٣٧.

من قبل فقد الأم^(١).

﴿المدينة﴾: في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولاً: «حتى إذا أتيا أهل قرية» وقال ههنا: «فكان لغلामين يتيمين في المدينة» كما قال تعالى: ﴿فكأني من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك﴾^(٢). وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(٣). يعني: مكة والطائف^(٤).

﴿كنز﴾: مال مدفون من ذهب وفضة. كما أخرجه البخاري في تاريخه، والترمذي والحاكم، وصححه من حديث أبي الدرداء، وبذلك قال قتادة وعكرمة^(٥). وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أنه قال: ما كان ذهباً ولا فضة، ولكن كان صحف علم. وروي ذلك أيضاً عن ابن جبير، وأخرج ابن مردويه من حديث علي - كرم الله تعالى وجهه - مرفوعاً، والبخاري عن أبي ذر كذلك، والخراطي عن ابن عباس موقوفاً: أنه كان لوحاً من ذهب، مكتوباً فيه: (عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يجزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١١ ص ٣٨ مع بعض الاختصار.

(٢) محمد (١٣).

(٣) الزخرف (٣١).

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٩٨ وروح المعاني جـ ١٦ ص ١٢.

(٥) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٩٨ وروح المعاني جـ ١٦ ص ١٢.

بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ^(١). فكان ابن عباس يقول: ما كان الكنز إلا علمًا^(٢).
 وجمع بعضهم بأن المراد بالكنز ما يشمل جميع ذلك بناء على أنه المال المدفون مطلقاً^(٣).

﴿وكان أبوهما صالحاً﴾: كان سياحاً تقياً، وكان الناس يضعون الودائع عنده فيردها إليهم سالمة. فحفظا بصلاح أبيهما في مالهما وأنفسهما^(٤). وفي الآية دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم. ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة.

قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: حفظاً بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحاً^(٥). وعن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: بم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما، قال: فأبي وجدي خير منه^(٦).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليحفظ المؤمن في

(١) روح المعاني ج ١٦، وانظر الروايات المتقاربة في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩. والتفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٦٢ وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٩٣.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥١٠ بتصرف يسير.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩.

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩.

(٦) الكشف للزمخشري ج ١ ص ٥٧٨ وتفسير القرآن الجليل للإمام النسفي

ج ٣ ص ١٤٢.

أهله وولده وفي الدويرات حوله»^(١) ونحوه قوله تعالى: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً»^(٢). فأخبر بدفع العذاب عن الكفار لكون المؤمنين فيهم، ونحوه قوله تعالى: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»^(٣).

وهناك آية أخرى أظنها أكثر تصريحاً في بيان ذلك وهي قوله تعالى: ﴿وألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من شيء﴾^(٤).

﴿فأراد ربك﴾: يستنتج من الآيات حسن الأدب مع الله وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه، لقول الخضر عن السفينة: «فأردت أن أعيبها» وعن الجدار: «فأراد ربك..». ومثل هذا قوله ﷺ: ﴿والخير بيدك والشر ليس إليك﴾^(٥).

﴿يبلغا أشدهما﴾: ههنا أسند الإرادة إلى الله تعالى، لأن بلوغها الحلم لا يقدر عليه إلا الله، وقال في الغلام: ﴿فأردنا

(١) وفي الفتح الكبير: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر. انظر الفتح الكبير ج ١ ص ٣٤٥.

(٢) الفتح (٢٥).

(٣) انظر كتاب أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢١٦. والآية في سورة الانفال (٣٣).

(٤) الطور (٢١).

(٥) فتح الباري ج ٨ ص ٣٢١.

أن ييدلها ربهما خيراً منه زكاة ﴿ وقال في السفينة: ﴿فأردت أن أعيبها﴾. فالله أعلم (١).

﴿ويستخرجا كنزهما﴾: لو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن يدفعاه عنه.. ولما كان أبوهما صالحاً فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما، فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما، ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته (٢). فإن قيل: اليتيمان هل عرف أحد منهما حصول الكنز تحت ذلك الجدار، أو ما عرف أحد منهما؟ فإن كان الأول امتنع أن يتركوا سقوط ذلك الجدار. وإن كان الثاني فكيف يمكنهم بعد البلوغ استخراج ذلك الكنز والانتفاع به؟ والجواب: لعل اليتيمين كانا جاهلين به إلا أن وصيهما كان عالماً به، ثم إن ذلك الوصي غاب. وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط (٣). أقول: ولا يستبعد أن ينقضا البيت ليقيماه من جديد فيظهر لهما الكنز، أو ينهدم الجدار بفعل فاعل، أو فعل زلزال في كبرهما فيظهر الكنز. والله أعلم.

﴿رحمة من ربك﴾: أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة والوالدي الغلام ووالدي الرجل الصالح (٤). ولقائل أن يقول: حاصل الكلام أنه تعالى أطلعه على بواطن الأشياء وحقائقها في

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥ ص ٤٠٠ ط ٥.

(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٦٢.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩.

نفسها، وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه، وموسى - عليه السلام - إنما ذهب ليتعلم منه العلم، فكان من الواجب على ذلك العالم أن يظهر له علمًا يمكن له تعلمه. وهذه المسائل الثلاثة لا يمكن تعلمها فما الفائدة في ذكرها وإظهارها؟.

والجواب: أن العلم بظواهر الأشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة، وأما العلم ببواطن الأشياء، فإنما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية. ولهذا قال تعالى في صفة ذلك العالم: ﴿وعلمناه من لدنا علمًا﴾ ثم إن موسى - عليه السلام - لما كملت مرتبته في علم الشريعة، بعثه الله إلى هذا العالم ليعلم موسى - عليه السلام - أن كمال الدرجة في أن ينتقل الإنسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على الإشراف على البواطن والتطلع على حقائق الأمور^(١).

﴿وما فعلته عن أمري﴾: أي: لكنني أمرتُ به، ووقفت عليه. وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر - عليه السلام -^(٢).

﴿تسطع﴾: أي: تستطيع. وقد حذف التاء لمناسبة المعنى^(٣). قال ابن السكيت: يقال: ما أستطيع وما أستطيع وما

(١) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٩ - ١٦٠ وإن هذا - لعمر الحق - درس لمن اشتغل بفنون العلم وبرع فيها ولكنه نسي نفسه التي بين جنبيه.. وإنا هي التي تصلح أو تفسد النية أو العمل.. وكم ركز الإمام الغزالي على ذلك في كتابه الإحياء.

(٢) تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ١٥٦.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٠٠.

استتيع واستتيع؛ أربع لغات. وأصل (اسطاع): استطاع على وزن (استفعل)^(١).

يقول ابن كثير: فلما أن فسّر الخضر لموسى - عليهما السلام - وبين ووضح وأزال المشكل قال: (تسطع). وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقیلاً فقال: ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾. فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف، كما قال: ﴿فما استطاعوا أن يظهره﴾^(٢). وهو الصعود الى أعلاه. ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾^(٣). وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى. والله أعلم^(٤).

روي: أن موسى لما أراد أن يفارقه، قال له الخضر: لو صبرت لأتيت على ألف عجب، كل عجب أعجب مما رأيت. فبكى موسى على فراقه وقال: أوصني يا نبي الله! قال: لا تطلب العلم لتحدث به الناس واطلبه لتعمل به^(٥). ولذلك فقد كان ﷺ يقول: ﴿رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر على صاحبه لرأى العجب..﴾^(٦).

وذكر أن موسى قال للخضر - عليهما السلام - حين فارقه:

(١) تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ١٥٦.

(٢) الكهف (٩٧).

(٣) الكهف (٩٧).

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٠٠.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥١١.

(٦) روح المعاني ج ١٦ ص ٢.

عظني . فقال: لا يراك الله حيث هناك، ولا يفقدك حيث
أمرك^(١).

ولنا أن نتساءل في نهاية القصة: من أين أتى الخضر؟ وأين
ذهب؟ لكن لا جواب!.. إنه (في دهشة السّر المكشوف،
والستر المرفوع؛ يختفي الرجل من السياق كما بدأ.. لقد
مضى في المجهول كما خرج في المجهول)^(٢)!!..

(١) انظر منهاج اليقين شرح ادب الدنيا والدين ص ٥١٧ .
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٤ ص ٢٢٨ طبعة دار الشروق .

مِنْ وَصَايَا الْخَضِرِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

أخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن عساكر، عن أبي عبد الله - وأظنه الملقب - قال: لما أراد الخضر أن يفارق موسى قال له: أوصني. قال: كن نفاعاً ولا تكن ضراراً، كن بشاشاً ولا تكن غضباناً، ارجع عن اللجاجة^(١) ولا تمس من غير حاجة، ولا تعير امرأةً بخطيئته، وابك على خطيئتك يا ابن عمران^(٢)!

وكان سفيان بن عيينة يقول: وصى الخضر موسى - عليه السلام - أن لا يعير أحداً بذنب^(٣). وذكر أن موسى قال للخضر: بم أطلعك الله على الغيب؟ قال: بترك المعاصي.

(١) التمادي في الخصومة. المعجم الوسيط.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ١٨. وتفسير القرطبي ج ١١ ص ٤٥. وفي رواية من طريق أخرى: (ولا تضحك إلا من عجب). انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٢٩. وكذلك إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٥٦. وانظر شبهه ما أخرجه الإمام أحمد، عن وهب بن منبه في كتابه (الزهد) ص ٦٠ طبعة ١٣٩٨.

(٣) الطبقات الكبرى للإمام الشعراي ج ١ ص ٥٦.

قال: أوصني. قال: يا موسى كن بساماً ولا تكن غضبان، كن نفاعاً.. الخ^(١).

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن عساكر، عن يوسف بن أسباط قال: بلغني أن الخضر قال لموسى لما أراد أن يفارقه: يا موسى! تعلم العلم لتعمل به، ولا تعلمه لتحدث به. وبلغني أن موسى قال للخضر: ادع لي. فقال الخضر: يسّر الله تعالى عليك طاعته. والله تعالى أعلم بصحة ذلك^(٢).

وكان الشيخ أبو المهاجر بن عمرو القيسي يقول: لما التقى موسى بالخضر - عليهما السلام - قال لموسى: تعلم العلم لتعمل به لا لتعلمه لغيرك، فيكون عليك بوره ولغيرك نوره^(٣).

وقال وهب بن منبه، قال الخضر: يا موسى! إن الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها^(٤).

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، رواه ابن عساكر من طريق ذكرى بن يحيى الوقاد^(٥) (قال: قرىء على عبد الله بن

(١) انظر كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس لعبد الرحمن الصفوري ج ٢ ص ٥٠٣ وانظر نزهة الناظرين للشيخ تقي الدين الباي ص ٤٨. وانظر الشطر الأول من السؤال في إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٥٣.

(٢) انظر روح المعاني ج ١٦ ص ٨.

(٣) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٤٦.

(٤) روح المعاني ج ١٦ ص ٨.

(٥) قال عنه ابن كثير: إنه من الكذابين الكبار. البداية والنهاية ج ١

ص ٣٢٩.

وهب وأنا أسمع، قال الثوري، قال مجالد، قال أبو الوداك، قال أبو سعيد الخدري، قال عمر بن الخطاب، قال رسول الله ﷺ: قال أخي موسى: يا رب!... فذكر كلمته^(١) - فأتاه الخضر وهو فتى طيب الريح، حسن بياض الثياب مشمرها، فقال: السلام عليك ورحمة الله يا موسى بن عمران! إن ربك يقرأ عليك السلام. قال موسى: هو السلام وإليه السلام، والحمد لله رب العالمين الذي لا أحصي نعمه، ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته. ثم قال موسى: أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك. فقال الخضر: يا طالب العلم! إن القائل أقل ملالة^(٢) من المستمع، فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء، فانظر ماذا تحشوبه وعاءك. واغرف من الدنيا وانبذها وراءك، فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار. وإنما جعلت بلغة للعباد والتزود منها ليوم المعاد. وروّض نفسك على الصبر تخلص من الإثم. يا موسى! تفرّغ للعلم إن كنت تريده، فإنما العلم لمن تفرّغ له. ولا تكن مكثاراً للعلم مهذاراً. فإن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوىء السخفاء ولكن عليك بالاعتصام، فإن ذلك من التوفيق والسداد. وأعرض عن الجهال، وما ظلمهم^(٣)، واحلم عن السفهاء، فإن ذلك فعل الحكماء، وزين العلماء. إذا

(١) أي: قول موسى: يا رب! إن كان هناك من هو أعلم مني فدلني عليه.
(٢) في الأصل (ملامة). ولكن الصحيح أنها (ملالة). يفهم هذا مما بعدها:
(فلا تمل جلساءك).
(٣) أي: كن طويل البال معهم.

شتمك الجاهل فاسكت عنه حلماً، جانبه حزماً، فإن ما بقي من جهله عليك وسبه إياك أكثر وأعظم. يا ابن عمران! ولا ترأنك أوتيت من العلم إلا قليلاً، فإن الاندلاث^(١)، والتعسف من الاقتحام والتكلف. يا ابن عمران! لا تفتحن باباً لا تدري ما غلقه ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه. يا ابن عمران! من لا ينتهي من الدنيا نهمته، ولا تنقضي منها رغبته، ومن لا يحقر حاله ويتهم الله فيما قضى له، كيف يكون زاهداً؟ هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه؟ أو ينفعه طلب العلم والجهل قد حواه، لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه؟ يا موسى! تعلم ما تعلمت لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بواره ولغيرك نوره. يا موسى بن عمران! اجعل الزهد والتقوى لباسك، والعلم والذكر كلامك، واستكثر من الحسنات، فإنك مصيب السيئات، وزعزع بالخوف قلبك فإن ذلك يرضي ربك، واعمل خيراً فإنك لا بد عامل سوء. قد وعظت إن حفظت. قال: فتولى الخضر، وبقي موسى محزوناً، مكروباً، يبكي^(٢).

وروي: أن الخضر أوصاه فقال: (...). ولا تعير المذنبين

(١) اندلث: اندفع لا يلوي على شيء وتقدم بلا فكرة ولا روية. انظر المعجم الوسيط.

(٢) قال ابن كثير: لا يصح هذا الحديث وأظنه من صنعة ذكريا بن يحيى الوقاد المصري، كذبه غير واحد من الأئمة، والعجب أن الحافظ ابن عساكر سكت عنه. أنظر الرواية ودرجتها في البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

خطاياهم بعد الندم، وابك على خطيئتك ما دمت حياً، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، واجعل همك في معادك. ولا تحض فيما لا يعينك، ولا تأمن الخوف من أمنك، ولا تياس من الأمن من خوفك، وتدبر الأمور في علانيتك، ولا تذر الإحسان في قدرتك. فقال له موسى: قد أبلغت في الوصية. فأنم الله عليك نعمته وغمرك في رحمته. وكلاك^(١) من عدوه. فقال له الخضر: أوصني أنت يا موسى!. فقال له موسى: إياك والغضب إلا في الله، ولا تحب الدنيا فإنها تخرجك من الإيمان وتدخلك في الكفر. فقال له الخضر: قد أبلغت في الوصية فأعانك الله على طاعته وأراك السرور في أمرك، وحببك إلى خلقه، وأوسع عليك من فضله. قال له: آمين^(٢).

قيمة العلم:

إن الآيات التي سجلت هذا الحوار الجميل بين موسى والخضر - عليهما السلام - فيها فائدة عظيمة جلييلة، وخاصة من ناحية العلم، والذي كان صاحب اللواء فيه هو الخضر، ويتبعه موسى، صاحب التوراة، وكليم الله.. ليتعلم منه مما علمه الله تعالى وآثره به دونه. (فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس، ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس

(١) حفظك.

(٢) انظر روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥١١. وقد نقل مصنفه من كتاب (التعريف والإعلام) للإمام السهلي.

أنوارها ومنافعها عاجلاً وآجلاً^(١).

وحتى نعلم ويعلم الناس كم أعطى الله سبحانه وتعالى قيمة للعلم وأهله. وكم حثَّ على طلبه والرحلة فيه، والاستكثار منه، فإنه يجمل بنا أن ننقل آية من هذا الحوار الفريد، ونستخرج منها آداباً لطالب العلم، ليأخذ بها ويسير على هديها، ويكون له درساً في حياته.. وما أروع أن يكون الإنسان على أخلاق الأنبياء، عالماً وحكيماً ومتواضعاً!..

والآية هي قول موسى للخضر: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾؟.

وإن هذه الآية تبين عظمة القرآن الكريم وإعجازه، في أسلوب نظم المعنى باللفظ، وتبيان خزائن المعاني والآداب في ألفاظ معدودة، وهذه هي الآداب، نقلها لك كما ذكرها الإمام الرازي في تفسيره:

أولاً: إن موسى جعل نفسه تبعاً له، لأنه قال: ﴿هل أتبعك﴾.

ثانياً: إنه استأذن في إثبات هذه التبعية، فإنه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك؟ وهذه مبالغة عظيمة في التواضع.

ثالثاً: إنه قال: ﴿على أن تعلمني﴾ وهذا إقرار على نفسه

(١) انظر كتاب الانتصاف المحل بطرازه حواشي الكشاف للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي. ج ١ ص ٥٧٥.

بالجهل^(١)، وعلى أستاذه بالعلم.

رابعاً: إنه قال: ﴿مما علمت﴾ وصيغة (من) للتبويض. فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع؛ كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله.

خامساً: إن قوله: ﴿مما علمت﴾ اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم.

سادساً: قوله ﴿رشداً﴾ طلب منه للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال.

سابعاً: قوله: ﴿تعلمني مما علمت﴾ معناه: أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به، وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك علي عند هذا التعليم شبيهاً بإنعام الله تعالى عليك في هذا التعليم. ولهذا المعنى قيل: أنا عبد من تعلمت منه حرفاً.

ثامناً: المتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير، لأجل كونه فعلاً لذلك الغير. لكننا إذا قلنا: لا إله الا الله. كما كان يقولها يهود من قبلنا، فليس معناه أننا تابعون لهم، ذلك لأننا لا نقول هذه الكلمة لأجل أنهم قالوها، بل

(١) لو أضيفت جملة (تواضعاً منه) لكان ذلك أجدر بمقام النبوة، ولا ضير في التكرار.

نقولها لقيام الدليل على أنه يجب ذكرها. أما إذا أتينا بهذه الصلوات الخمس على موافقة فعل رسول الله ﷺ فإنما أتينا بها لأجل أنه - عليه السلام - أتى بها. لا جرم كنا متابعين في فعل هذه الصلوات لرسول الله ﷺ، إذا ثبت هذا فنقول: قوله: ﴿هل أتبعك﴾ يدل على أنه يأتي بمثل أفعال الأستاذ لمجرد كون ذلك الأستاذ آتياً بها، وهذا يدل على أن المتعلم يجب عليه في أول الأمر التسليم، وترك المنازعة والاعتراض.

تاسعاً: قوله: ﴿أتبعك﴾ يدل على طلب متابعته مطلقاً في جميع الأمور، غير مقيد بشيء دون شيء.

عاشراً: ثبت بالأخبار أن الخضر عرف أولاً أنه نبيّ بني إسرائيل، وأنه هو موسى صاحب التوراة، وهو الرجل الذي كلمه الله - عز وجل - من غير واسطة، وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة، ثم إنه - عليه السلام - مع هذه المناصب الرفيعة، والدرجات العالية الشريفة - أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع، وذلك يدل على كونه - عليه السلام - آتياً في طلب العلم بأعظم أنواع المبالغة، وهذا هو اللائق به، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، وكان تعظيمه لأرباب العلم أكمل وأشد.

حادي عشر: إنه قال: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني﴾. فأثبت

كونه تبعاً له أولاً، ثم طلب ثانياً أن يعلمه، وهذا منه ابتداء بالخدمة، ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم.

ثاني عشر: إنه قال: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني﴾. فلم يطلب على تلك المتابعة على التعليم شيئاً، كأن قال: لا أطلب منك على هذه المتابعة المال والجاه. ولا غرض لي إلا طلب العلم^(١).

العِظَاتُ وَالْأَحْكَامُ

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: وأكثر أسرار القرآن معبأة في طيّ القصص والأخبار، فكن حريصاً على استنباطها، ليكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه^(٢).

وقد استنبط العلماء من هذه القصة - حسبها ذكره المفسرون وشرح الحديث وغيرهم - أحكاماً وإرشادات هامة نلخصها فيما يلي:

- ١ - استحباب الرحلة في العلم وفضل طلبه.
- ٢ - ركوب البحر في طلب العلم والاستكثار منه.
- ٣ - لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٥١ - ١٥٢. بتصرف يسير.

(٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٤٣.

- ٤ - المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده.
- ٥ - استحباب استعمال الأدب مع العالم.
- ٦ - التذلل للمعلم، والتواضع لمن هو أعلم منه.
- ٧ - جواز التجادل في العلم إذا كان بغير تعنت.
- ٨ - مراعاة الأدب في المقال.
- ٩ - الرجوع إلى أهل العلم عند التنازع.
- ١٠ - أن لا يعجب المرء بعلمه.
- ١١ - تواضع المرء في علمه وغيره، وأن لا يدعي أنه أعلم الناس، وإذا سئل عن أعلم الناس يقول: الله أعلم.
- ١٢ - أن لا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه. فلعل فيه سرّاً لا يعرفه.
- ١٣ - وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول، ولا يفهمه أكثر الناس، وقد لا يفهمونه كلهم، كالقدر.
- ١٤ - احترام العلماء العاملين، وترك الاعتراض عليهم.
- ١٥ - الوفاء بعهودهم والاعتذار عند مخالفتهم.
- ١٦ - اعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه في عدم تعليمه مما لا يحتمله طبعه.
- ١٧ - لو آل أمر الصحبة إلى المفارقة بالاختيار أو بالاضطرار فلا يفارق صاحبه إلا على النصيحة، فينبئه عن سرٍّ ما كان عليه الاعتراض، ويخبره عن حكمته التي لم يحط بها خبيراً.
- ١٨ - إشتراط المتبوع على التابع.

- ١٩ - حمل الزاد في السفر وأنه لا ينافي التوكل .
- ٢٠ - جواز اتخاذ الخادم في السفر .
- ٢١ - طواعية الخادم لمخدومه .
- ٢٢ - لا بأس على العالم والفاضل أن يخدمه المفضول ويقضي له حاجة؛ ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب، بل من مروءات الأصحاب وحسن العشرة .
- ٢٣ - شرط المسافر أن يطلب الرفيق ثم يأخذ الطريق .
- ٢٤ - من شرط الرفيقين أن يكون أحدهما أميراً والثاني مأموراً ومتابعاً .
- ٢٥ - أن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده، ويخبر عن مدة مكثه في سفره، ليكون الرفيق واقفاً على أحواله، فإن كان موافقاً له يرافقه في ذلك .
- ٢٦ - المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه .
- ٢٧ - جواز أن يطلب الإنسان الطعام عند احتياجه إليه .
- ٢٨ - الحض على الصبر في الشدائد .
- ٢٩ - تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قطعاً من الأكباد، ومن سلم سلم للقضاء، أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء .
- ٣٠ - حسن الأدب مع الله، وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه .
- ٣١ - نسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان مجازاً . تأدباً عن نسبتها إلى الله تعالى .

- ٣٢ - تقديم المشيئة في الأمر .
- ٣٣ - الاستعانة بالله على الأعمال .
- ٣٤ - المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع ،
بخلاف المتوجه إلى غيره .
- ٣٥ - النسيان غير مؤاخذ به .
- ٣٦ - عذر الناسي .
- ٣٧ - للثلاث اعتبار في التكرار ونحوه .
- ٣٨ - الحكم بالظاهر حتى يتبين خلافه .
- ٣٩ - صنع الجميل لا يترك ولو مع اللثام .
- ٤٠ - جواز الإخبار بالتعب . ويلحق به الألم من مرض ونحوه ،
إذا كان على غير سخط من المقدور .
- ٤١ - إفساد بعض المال لإصلاح معظمه .
- ٤٢ - جواز أخذ الأجر على الأعمال .
- ٤٣ - جواز ركوب السفينة والدابة ، وسكن الدار ولبس الثوب ،
ونحو ذلك ، بغير أجره برضى صاحبه .
- ٤٤ - قبول الهبة من غير المسلم .
- ٤٥ - المسكين لا تخرج عنه المسكنة بملك آلة يكتسب بها ، أو
بشيء لا يكفيه .
- ٤٦ - عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى .
- ٤٧ - الإغضاء عن بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو
أشد .
- ٤٨ - الغضب حرام .
- ٤٩ - أن ينبه المجرم على جرمه ، وأن يعفو عنه حتى يتحقق

إضراره ثم يهاجر عنه .

٥٠ - جواز دفن المال في الأرض .

٥١ - إثبات كرامات الأولياء على قول من يقول: إن الخضر ولي .

إلى غير ذلك مما يظهر للمتبع أو للمتأمل . وبالجمله فقد تضمنت هذه القصة فوائد كثيرة، ومطالب عالية خطيرة، وفيها كفاية لكل معتبر، فأمعن النظر في ذلك، والله - سبحانه - يتولى هداك^(١) .

الدرس والعبرة والمبدأ:

(تحدُّ للتفكير المادي): إن هذه القصة وما تشتمل عليه من روح ومغزى، تتحدى التفكير المادي الذي يلح على أن الحياة هي التي فهمها الإنسان، وعلى أن هذا الكون هو الذي أحاط به علمًا، وأن ليست الحقيقة إلا ما تترأى للعيون . وأن الظواهر هي التي يصح عليها الحكم، وأن الإنسان يستحق أن تسند إليه إدارة هذا العالم ويخول حق التشريع، فقد اكتمل

(١) انظر هذه الاستنتاجات موزعة في المصادر التالية: روح المعاني ج ١٦ ص ٢٢ وفتح الباري ج ١ ص ١٥٤ وج ٨ ص ٣٢٠-٣٢١ والتفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٩ وتفسير البيضاوي وتفسير القرطبي ج ١١ ص ٢٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨ والبحر المحيط ج ٦ ص ١٤٨ وروح البيان ج ٢ ص ٤٩٥ وتفسير النسفي ج ٣ ص ١٣٨ وشرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٣٧، ١٤٦، ١٤٧ وإحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٦٣ . وانظر لواقع الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية الذي بهامش المن والأخلاق للشعراني ج ١ ص ٣٤ مطلب ملازمة العلماء .

عقلاً وعلماً ودراسة، وبلغ إلى أغوار الحقيقة، وأعماق العلم،
وحقائق الكون.

لقد قامت الفلسفات المادية على هذا الأساس، وقد قامت
الحضارة العصرية على هذا التفكير وهذه العقيدة، وسورة
الكهف - بعامة محتوياتها ومختلف آياتها - وقصة موسى والخضر
بصفة خاصة تنقض هذا الأساس، وتهدم هذا البناء. وتنتهي
القصة بقول الخضر لموسى: «ذلك تأويل ما لم تسطع عليه
صبراً». والتأويل في اصطلاح القرآن هو الحقيقة. وهكذا
يتعجل الإنسان وينكر، ويخطيء حتى تتجلى له الحقيقة، ويأتي
التأويل^(١). «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد»^(٢).

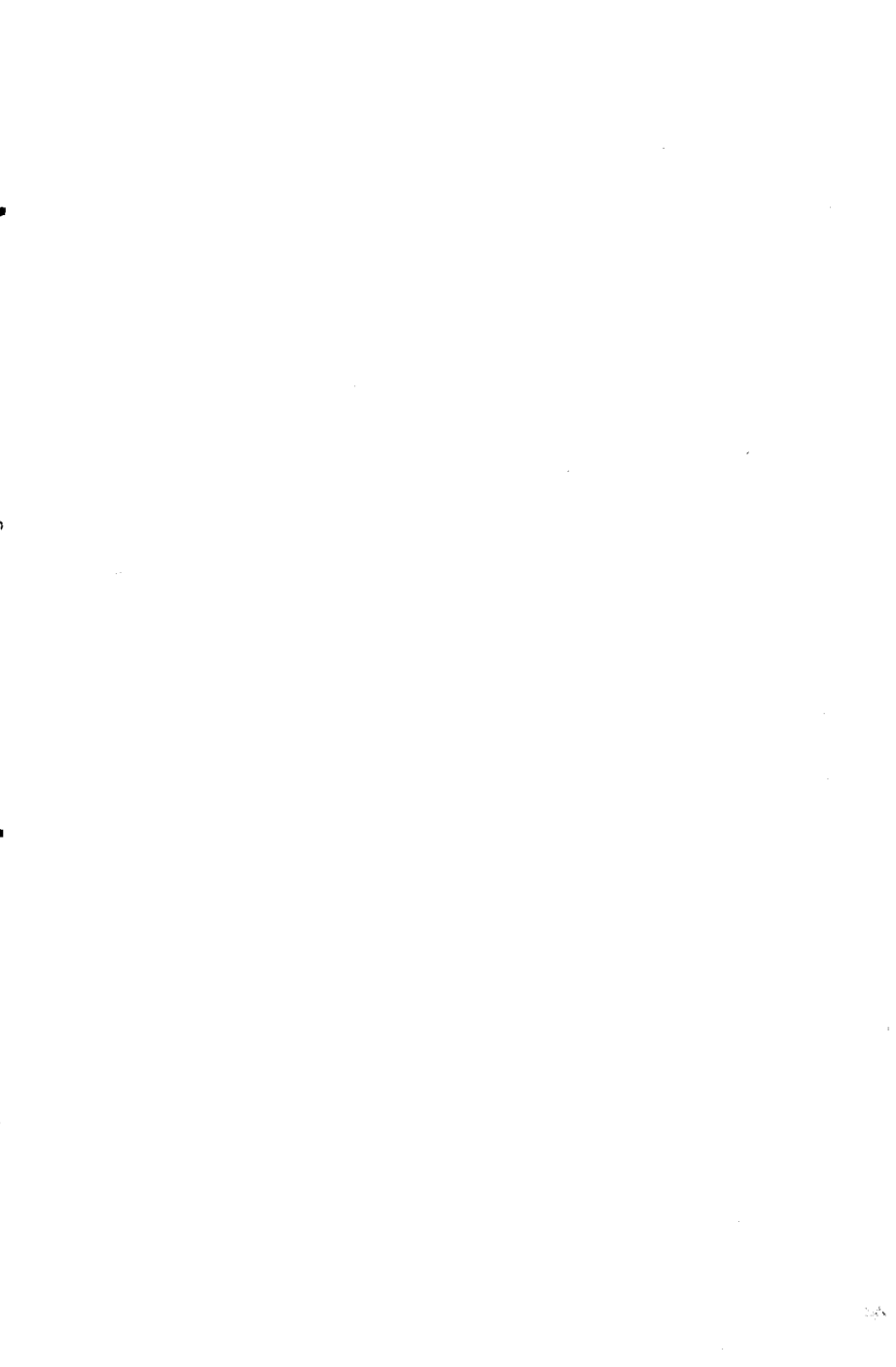
(١) الصراع بين الإيمان والمادية ص ٩٨ - ٩٩. تأليف العالم الجليل الأستاذ أبي
الحسن الندوي. الطبعة الأولى.

(٢) ق (٣٧).

الفصل الخامس

انخفض

هل هو حي أم ميت؟!



هل هو حَيٌّ مَوْجُودٌ بَيْنَ أَظْهَرِنَا؟!

نحن الآن أمام مواجهة الآراء واختلافاتها، ويجدر بنا أن نتلقاها بحذر. حتى لا يفوتنا الحكم العادل على الطرفين. وطبيعة المناقشة تقتضي تفاوت الأدلة قوة وضعفاً. وكذلك الردود. فمنهم من يناقش ويرد على قدر المطلوب، وأحياناً دون تحفظ، ولو أدى به إلى أجوبة غير مقبولة، أو حتى غير معقولة. . دون أن يختار الأدلة المناسبة ويمحصها. . ولذلك فقد غضبنا الطرف عن إيراد بعضها. . وسأحيلك إلى المرجع حينذاك - إذا لزم الأمر - إن شاء الله.

ذكر الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات: أنه اختلف في حياة الخضر - عليه السلام - فقال أكثر العلماء: إنه حي موجود بين أظهرنا. قال: وذلك متفق عليه عند الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه، وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن يحصى، وأشهر من يستر^(١). وقال في المجموع:

(١) ج ١ ص ١٧٦-١٧٧. وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٥-١٣٦، وروح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢ وفتح الباري ج ٦ ص ٣١٠ بالفاظ متقاربة.

(.. وإنما ذكره أصحابنا^(١) وغيرهم؛ وفيه دليل منهم لاختيار ما هو المختار، وترجيح ما هو الصواب، وهو أن الخضر - عليه السلام - حي باق، وهذا قول أكثر العلماء...)^(٢).

وقال الشيخ إسماعيل حقي: (والأكثر على أنه موجود بين أظهرنا، وهذا متفق عليه عند الصوفية، لأن حكاياتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة وكالموه، أكثر من أن يحصى. نقله الشيخ الأكبر^(٣) في الفتوحات المكية، وأبو طالب المكي^(٤) في كتبه، والحكيم الترمذي^(٥) في نوادره، وغير ذلك من المحققين من سادات الأمة الذين لا يتصور اجتماعهم على الكذب والافتراء بمجرد الأخبار النقلية - حاشاهم عن ذلك - وقد ثبت وجوده، فلا يكون عدمه إلا بدليل، ولا دليل على موته، ولا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا نقل أنه مات بأرض كذا في وقت كذا في زمن ملك من الملوك)^(٦).

ويقول أبو إسحق الثعالبي المفسر: (وقيل: إنه لا يموت إلا

(١) أي: الشافعية.

(٢) انظر المجموع (شرح المذهب) ج ٥ ص ٣٠٥.

(٣) الشيخ محي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي الطائفي المالكي. المتوفى سنة ٦٣٨.

(٤) محمد بن علي بن عطية الحارثي. توفي سنة (٣٨٦).

(٥) محمد بن علي بن الحسن بن بشر؛ عالم بالحديث وأصول الدين. توفي نحو (٣٢٠).

(٦) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي ج ٢ ص ٤٩٨. واستدلالة الأخير هو الاستصحاب، وسيرد هذا الدليل والخلاف فيه.

في آخر الزمان، عند رفع القرآن^(١). وقال ابن الصلاح: هو حي اليوم عند جماهير العلماء، والعامّة معهم في ذلك^(٢). قال: وإنما شدُّ بإنكاره بعض المحدثين^(٣). ويظهر أن الجمهور يرى بقاءه - عليه السلام - كما قال ابن الصلاح. ففي البداية والنهاية قال ابن كثير: (أما الخلاف في وجوده إلى زماننا. فالجمهور على أنه باق إلى اليوم)^(٤). وذكر الشيخ أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي: أن المعتمد هو حياته^(٥). ويقول صاحب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: (والأكثرون كما قاله النووي على حياته بين أظهرنا، واتفق عليه سادات الصوفية؛ كابن أدهم، وبشر الحافي^(٦) ومعروف الكرخي^(٧)،

-
- (١) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وفتح الباري ج ٦ ص ٣١٠.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٦ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٦.
(٤) ج ١ ص ٣٢٨. وانظر الدرر النقية في المطالب الفقهية تأليف رشيد الراشد ص ١٤٢.
(٥) انظر الفتاوى الحديثية له ص ١٨٠.
(٦) ستمر معك ترجمتها.
(٧) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، وهو من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع والفتوة. وهو من موالى علي بن موسى الرضا من آل البيت. وكان أبواه نصرانيين. فأسلم هو على يد ابن علي موسى الرضا، ورجع إلى أبيه ففدق الباب، فقيل له: من بالباب؟ فقال: معروف. فقيل له: على أي دين؟ فقال: على الإسلام. فأسلم أبواه. وكان استاذاً لسري السقطي. ومشهوراً عند أهل بغداد بإجابة الدعوة من كلامه - رضي الله عنه -: إذا =

وسري السقطي^(١)، والجنيدي^(٢)، وبه قال عمر بن عبد العزيز^(٣)..

= أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح له باب الجدل.
مرّ بسقاء وهو يقول: رحم الله من يشرب. فتقدم وشرب وكان صالحاً فقيل له: ألم تك صائماً؟ فقال: بلى، ولكن رجوت دعاءه.

قيل له في معرض موته: أوصي. فقال: إذا مكُ فتصدقوا بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً. توفي ببغداد سنة (٢٠٠). انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٢ والرسالة القشيرية ص ٩، ودائرة معارف القرن العشرين ج ٦ ص ٣٧٥.

(١) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة وهو خال ابن القاسم الجنيدي وتلميذ معروف الكرخي. كان أوحد أهل زمانه في الورع والأحوال السنية وعلم التوحيد، وهو أول من تكلم ببغداد (أي: أنه أول من تحدث بعلم الكلام - أي: التوحيد) وإليه ينتمي أكثر المشايخ ببغداد. يقال: إنه كان في دكانه فجاء معروف يوماً ومعه صبي يتيم فقال له: اكسُ هذا اليتيم. قال السري: فكسوته، ففرح به معروف وقال: بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه. فقمتم من الدكان، وليس أبغض إلي من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف.
يحكي أنه قال: منذ ثلاثين سنة وأنا في الاستغفار من قولي مرة: الحمد لله. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني واحد وقال: نجا حانوتك. فقلت؛ الحمد لله. فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً من الناس. كان يقول: من علامة الاستدراج للبعد: عماء عن عييه واطلاعه على عيوب الناس. ومن أقواله: ثلاثة من علامة سخط الله على العبد: اللعب، والاستهزاء، والغيبة. وكان - رضي الله ينشد كثيراً ويقول:

لا في النهار ولا في الليل لي فرح
لاني طويل ليسلي هائم دنف
فما أبالي أطال الليل أم قصر
وبالنهار أقاسي الهم والفكرا =

= مات في بغداد سنة (٢٥١). وقبره بالشونيزية، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته وأقواله في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٤. والرسالة القشيرية ص ١٠ ودائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ١٢٢.

(٢) هو أبو القاسم الجيند بن محمد بن الجيند بن الخزاز القواريري، الزاهد المشهور. أصله من نهاوند، ومولده العراق، وإنما قيل له: الخزاز. لأنه كان يعمل الخبز. وقيل له: القواريري. لأن أباه كان قواريرياً. كان فريد عصره في الزهد والتصوف، تفرقه على أبي ثور؛ صاحب الشافعي، وقيل: بل كان فقيهاً على مذهب سفیان الثوري. وصحب خاله السري السقطي، والحرث المحاسبي، وغيرهما من كبار مشايخ الصوفية.

قعد أول مرة في الجامع ليتحدث للناس، فأناه غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»؟ فأطرق ثم رفع رأسه وقال: أسلم، فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام. يقول الجيند رحمه الله تعالى:

ما أخذنا التصوف عن القليل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا، ومقطع المألوفات والمستحسنتات، ويقول: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة. وكان يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ ويقول: إذا رأيت الفقير فلا تبدأه بالعلم، وابدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه. ويقول: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله. توفي في بغداد سنة (٢٩٧) ورثاه بعضهم بقوله:

وا أسفي من فراق قوم والمدن والمزن والرواسي
لم تتغير لنا الليالي فكل جمر لنا قلوب
هم المصابيح والخصون والخير والأمن والسكون
حتى توفتهم المنون وكل ماء لنا عيون

انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٨٤ والرسالة القشيرية ص ١٨. ودائرة معارف القرن العشرين ج ٢ ص ١٧٧.

(٣) إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

وذهب الإمام اليافعي أيضاً إلى حياته. قال: . . . وما ذكرت من كون الخضر حياً هو الذي قطع به الأولياء، ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين. واشتهر في عامة العوام. وعن ذكر هذا أو نحوه، الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح، ونقله عنه الشيخ الإمام محيي الدين النووي - رضي الله تعالى عنها - وقرره. قال: وقد ذكرت في غير هذا الكتاب أن جماعة من الشيوخ الكبار اجتمعوا به، بل خلّاتق لا يحصون! ولم يزل الصديقون - رضي الله تعالى عنهم - في كل زمان يجربون أنهم اجتمعوا به، وذلك مشهور ومستفيض عنهم، ومروي عنهم في الكتب المشهورات التي رواها العلماء الثقات^(١). ويقول عمرو بن دينار: إن الخضر وإلياس لا يزالان حين ما دام القرآن، فإن رفع ماتا^(٢).

قال اليافعي: وقد سمعت الشيخ الكبير والعارف بالله تعالى؛ نجم الدين الأصفهاني - رضي الله تعالى عنه - خلف مقام إبراهيم الخليل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - يذكر أن الخضر - عليه السلام - يسأل الله - عز وجل - أن يقبضه إليه عند رفع القرآن^(٣).

(١) انظر كتاب (نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية) الملقب (كفاية المعتقد ونكاية المنتقد) تأليف أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (٦٩٨-٧٦٨) - الطبعة الأولى ١٣٨١ ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٢) انظر الدرر النقية في المطالب الفقهية تأليف رشيد الراشد ص ١٤٢.

(٣) نشر المحاسن الغالية ص ٣٩٥.

وعن بقائه أيضاً، روى الحافظ ابن عساكر من طريق الدارقطني: أن ابن عباس قال: الخضر ابن آدم لصلبه، ونسيء له في أجله، حتى يكذب الدجال. يقول ابن كثير: وهذا منقطع غريب^(١).

وقال الشيخ محمد الحجار؛ محقق كتاب بستان العارفين: قال صاحب أسنى المطالب في ص (٢٩٢): حياة الخضر - عليه السلام - اختلف فيها العلماء، وأثبتها الصالحون والأولياء - رضوان الله عليهم - ولم يرد في حياته شيء يعتمد عليه^(٢).

وقد نقل عن أبي إسحق الثعالبي قوله: (إن الخضر نبي معمر على جميع الأقوال، محجوب عن أبصار أكثر الرجال)^(٣).

وربما تساءل المرء عن الحكمة في أن يكون هناك نبي محجوب عن الأبصار، وما مدى درجة الاستدلال الشرعي في هذا الكلام؟! ..

وما أورده الثعالبي المفسر لم أر له دليلاً يوثق به إلا ما أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية، من طريق حماد بن زيد، عن شعيب بن الحبحاب، أنه قال: كان الخضر

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦. والحديث المنقطع: هو ما سقط من سننه راو واحد في موضع أو أكثر، أو ذكر فيه راو مبهم. انظر أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ٣٣٩. والغريب: هو ما تفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند، أصول الحديث ص ٣٦٠.

(٢) بستان العارفين للإمام النووي تحقيق الشيخ محمد الحجار، إمام جامع الزكي بحلب ص ١٤٧. الطبعة الثانية.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢.

عبداً لا تراه إلا عين من أراد الله تعالى أن يريه إياه، فلم يره من القوم إلا موسى - عليه السلام - ولو رآه القوم لخالوا بينه وبين خرق السفينة، وكذا بينه وبين قتل الغلام. أورد العلامة الألوسي هذا الخبر في سياق قصة موسى مع الخضر وقال فيه: (ليس هذا بالمرفوع والله تعالى أعلم بصحته)^(١). بل ورد - كما في صحيح مسلم - : أن أهل السفينة عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول^(٢). ومر في الآيات أنها طلبا الطعام من أهل القرية! فكيف يستقيم ذلك الخبر وقد ورد في الصحيح خلافه؟! ..

سبب استمرار حياة الخضر - عليه السلام - :

أما ما قيل عن سبب بقاء الخضر وحياته إلى الآن، فقد ذكروا له سببين:

- ١ - قيل: لأنه دفن آدم - عليه السلام - بعد خروجهم من الطوفان، فنالتة دعوة أبيه آدم بطول الحياة.
- ٢ - وقيل: لأنه شرب من عين الحياة فحيى^(٣).

أولاً: أما بقاء الخضر إلى زماننا لدعاء آدم بطول الحياة له، فقد ذكر ابن إسحق: أن آدم - عليه السلام - لما حضرته الوفاة، أخبر بنيه أن الطوفان سيقع بالناس، وأوصاهم - إذا كان ذلك - أن يحملوا جسده معهم في

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٧. وانظر هذا الخبر في تفسير القرطبي أيضاً، وفيه: قيل: خرج أهل السفينة إلى جزيرة، وتخلف الخضر فخرق السفينة وقيل غير ذلك. انظر ج ١١ ص ١٩.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٣٩.

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٨ وفتح الباري ج ٦ ص ٣١٠.

السفينة . وأن يدفنوه في مكان عينه لهم^(١) .

فلما كان الطوفان حملوه معهم ، فلما هبطوا إلى الأرض . أمر نوح بنيه أن يذهبوا ببدنه فيدفنوه حيث أوصى . فقالوا : إن الأرض ليس بها أنيس ، وعليها وحشة . فحرضهم وحثهم على ذلك وقال : إن آدم دعا لمن يلي دفنه بطول العمر . فهابوا المسير إلى ذلك الموضع في ذلك الوقت فلم يزل جسده عندهم ، حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه . وأنجز الله ما وعده ، فهو يحيى الى ما شاء الله له أن يحيى^(٢) .

يقول العلامة الألوسي : وفي هذا سبب طول بقائه ، وإلا فالمشهور أنه شرب من عين الحياة . .^(٣) .

ثانياً : وأما لأنه شرب من عين الحياة ، فقد أورد الحافظ ابن حجر العسقلاني ما أخرجه خيثمة بن سليمان ، من طريق جعفر الصادق ، عن أبيه : أن ذا القرنين كان له صديق من الملائكة . فطلب منه أن يدلّه على شيء يطول به عمره ، فدله على عين الحياة . وهي داخل الظلمة ، فسار إليها ، والخضر على مقدمته ، فظفر بها الخضر ولم يظفر بها ذو القرنين^(٤) .

(١) ذكر أن آدم - عليه السلام - أوصى أن يدفن في بيت المقدس . انظر معجم

البلدان ج ٥ ص ١٦٦ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦ وروح البيان ج ٢ ص ٤٩٨ .

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢ .

(٤) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠ .

وأورد الطبري قول أهل الكتاب، وهو أن الخضر عندما كان على مقدمة ذي القرنين أيام سيره في البلاد بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه فخلد، فهو حي عندهم إلى الآن^(١).

وقد اختلفت الروايات بين أن يكون الحوت هو الذي شرب من العين فخلد، أو يوشع، أو الخضر.

(ولعل هذه العين - إن ثبت النقل - فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد، وذلك مذكور عن وهب بن منبه، وغيره ممن كان ينقل من الإسرائيليات. وقد صنف أبو جعفر بن المنادي في ذلك كتاباً، وقرر أن لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائيليات)^(٢).

من هو الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه:

في آخر صحيح مسلم في أحاديث الدجال، قال أبو سعيد الخدري: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: «يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٣١٤. وراجع - إذا أردت - دور الإسرائيليات في تشويه التاريخ والتفسير في كتاب (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير) تأليف الدكتور: رمزي نعاة.

حديثه. فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنتُ فيك قطُّ أشدَّ بصيرةً مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسَلطُ عليه. قال أبو إسحاق: يقال: إن هذا الرجل هو الخضر - عليه السلام - «^(١)».

قال الإمام النووي: (أبو إسحق هذا هو إبراهيم بن سفيان، راوي الكتاب عن مسلم. وكذا قال معمر في جامعه في إثر هذا الحديث كما ذكره ابن سفيان. وهذا تصريح منه بحياة الخضر - عليه السلام - وهو الصحيح)^(٢). وكذا قال معمر في مسنده: أنه يقال: إنه الخضر^(٣). وللدارقطني حديث بهذا الشأن وهو: «مُدٌّ للخضر في أجله حتى يكذب الدجال»^(٤).

وأورد ابن كثير حديث الدجال في تاريخه كما ذكره معمر في مسنده وقال: قال معمر: بلغني أنه الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحييه. يقول ابن كثير: وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري به. إلا أن ابن كثير قال: وقول معمر وغيره: (بلغني)، ليس فيه حجة، وقد ورد في بعض ألفاظ

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٧١-٧٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٧٢.

(٣) انظر قول أبي إسحق ومعمر في تهذيب الأسماء واللغات أيضاً ج ١ ص ١٧٧ وفتح الباري ج ٦ ص ٣١٠، وانظر الإشارة إلى هذا في كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة) ص ٢٢٨.

(٤) فتح الباري ج ٣ ص ٣١٠.

الحديث: «فَيَأْتِي بِشَابٍ مَمْتَلِءٍ شَبَاباً فَيَقْتَلُهُ». وقوله: الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ . لا يقتضي المشافهة، بل يكفي التواتر^(١).

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

الرّدّ على مَنْ قال بحياة الخضر - عليه السلام -

ذهب جمع إلى أن الخضر - عليه السلام - قد مات .

(والأكثر من المحدثين على وفاته)^(١) .

وإذا أردنا البيان الشافي، والرّد بالمعقول، فإننا ننقل ما أورده العلامة الألويسي - نقلاً عن أبي يعلى - من الرّد على من يرى حياة الخضر - عليه السلام - وقد ذكر وجوهاً من الرّد:

أحدها: أن الذي قال بحياته، قال: إنه: ابن آدم - عليه السلام - لصلبه . وهذا فاسد لوجهين .

الأول: أنه يلزم أن يكون عمره اليوم ستة آلاف سنة أو أكثر، ومثل هذا بعيد في العادات في حق البشر .

والثاني: أنه لو كان ولده من صلبه، أو الرابع من أولاده - كما زعموا أنه وزير ذي القرنين - لكان مهول الخلقة، مفرط الطول والعرض . ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلق آدم

(١) روح البيان في تفسير القرآن جـ ٢ ص ٤٩٩ .

وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده»^(١).
وما ذكر أحد ممن يزعم رؤية الخضر أنه رآه على خلقة
عظيمة وهو من أقدم الناس.

الثاني: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ولم
ينقل هذا أحد.

الثالث: أن العلماء اتفقوا على أن نوحاً - عليه السلام - لما
خرج من السفينة مات من معه، ولم يبق غير نسله.
ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿وجعلنا ذريته هم
الباقيين﴾^(٢).

الرابع: أنه لو صح بقاء بشر من لدن آدم الى قرب خراب
الدنيا، لكان ذلك من أعظم الآيات والعجائب، وكان
خبره في القرآن مذكوراً في مواضع، لأنه من آيات
الربوبية. وقد ذكر سبحانه عز وجل من استحياه ألف
سنة إلا خمسين عاماً، وجعله آية، فكيف لا يذكر جل
وغلا من استحياه أضعاف ذلك؟..

الخامس: أن القول بحياة الخضر، قول على الله تعالى بغير
علم، وهو حرام بنص القرآن. أما المقدمة الثانية
فظاهرة، وأما الأولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل
عليها القرآن، أو السنة، أو إجماع الأمة. فهذا
كتاب الله تعالى، فأين فيه حياة الخضر؟ وهذه سنة

(١) انظر الفتح الكبير ج ٢ ص ٨٨ - ٨٩ وأنظر كشف الخفا ج ١ ص ٣٧٩.

(٢) الصافات (٧٧).

رسول الله ﷺ فأين فيها ما يدل على ذلك بوجهه،
وهؤلاء علماء الأمة فمتى أجمعوا على حياته؟ ..

السادس: إن غاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة يخبر
الرجل بها أنه رأى الخضر. فيا لله تعالى العجب!!
هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من
زاعمي رؤيته يغتر بقوله: أنا الخضر! ومعلوم أنه لا
يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى،
فمن أين للرائي أن المخبر له صادق لا يكذب؟.

السابع: أن الخضر فارق موسى بن عمران؛ كلهم الرحمن، ولم
يصاحبه وقال: «هذا فراق بيني وبينك» فكيف يرضى
لنفسه بمفارقة موسى - عليه السلام - ثم يجتمع بجهلة
العباد الخارجين عن الشريعة، الذين لا يحضرون جمعة
ولا جماعة، ولا مجلس علم، وكل منهم يقول: قال لي
الخضر. جاءني الخضر. أوصاني الخضر. فيا عجباً له!
يفارق الكلیم ويدور على صحبة جاهل لا يصحبه إلا
شيطان رجيم! سبحانك هذا بهتان عظيم.

الثامن: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر. لو
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذا وكذا. لم
يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين، ولا مخلص
للقائل بحياته عن ذلك إلا أن يقول: إنه لم يأت إلى
الرسول - عليه الصلاة والسلام - ولا بايعه؛ أو يقول:
إنه لم يرسل إليه. وفي هذا من الكفر ما فيه.

التاسع: أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار، ورباطه في سبيل الله تعالى ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة وارشاده جهلة الأمة، أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات الى غير ذلك^(١).

ورد البعض الآخر على من يرى حياته فقال:

إن الخضر لو كان موجوداً لكان ممن يشاهده الناس كما هو الأمر المعتاد في البشر، وكونه - عليه السلام - خارجاً عن ذلك لا يثبت إلا بدليل، وأنى هو!! فتأمل^(٢). أي: أنه ليس هناك دليل يثبت خروجه من عادة البشر، فيبقى على حاله، فإن لم ير كالعادة فهذا يعني أنه غير موجود.

وذكر ابن كثير في تفسيره: أن النووي حكى هو وغيره في كونه باقياً إلى الآن، ثم إلى القيامة قولين، ومال هو وابن الصلاح إلى بقاءه، وذكروا في ذلك حكايات وآثاراً عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية. وإسناده ضعيف^(٣).

وذكر أيضاً في البداية والنهاية - بعد أن أورد بعض الروايات التي تذكر لقاء الخضر بالناس - أن (هذه الروايات والحكايات

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢١.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩. أي: تعزية الخضر لآل البيت بعد وفاته ﷺ وستمر بك روايات وأحاديث في ذلك، وسترى تخريجها وتحقيقتها بإسهاب.

هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً، لا يقوم بمثلها حجة في الدين. والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم؛ من صحابي أو غيره، لأنه يجوز عليه الخطأ. والله أعلم^(١).

وقال الإمام المحدث، الشيخ محمد ابن السيد درويش: (لم يرد في حياته شيء يعتمد عليه)^(٢).

وقال ابن كثير: (رجح السهيلي بقاءه، وحكاه عن الأكثرين، قال: وأما اجتماعه بالنبي ﷺ وتعزيتة لأهل البيت، فمروي من طرق صحاح. ثم ذكر ما تقدم مما ضعفناه^(٣)، ولم يورد أسانيدها، والله أعلم)^(٤).

وقال أيضاً: (وقد تصدى الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في كتاب: عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر. للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات، فبين أنها موضوعات، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها، وقد أجاد في ذلك، وأحسن الانتقاد)^(٥).

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

(٢) انظر كتاب (أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب) ص ٢٩٦ الطبعة الأولى ١٣٥٥.

(٣) ستم معك هذه الروايات ودرجتها في ذكر لقاءات الخضر عليه السلام.

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

هذا وقد شاع الاستدلال بخبر: «رحم الله أخي الخضر، لو كان حياً لزارني» و«لو كان الخضر حياً لزارني». وعن الأول قال ابن حجر: إنه لا يثبت^(١). وعن الثاني قال الحفاظ: إنه خبر موضوع^(٢)، لا أصل له، ولو صح لأغنى عن القيل والقال، ولانقطع به الخصام والجدال.

ويقول صاحب (أسنى المطالب) أيضاً: (ليس في السنة ما يدل على حياة الخضر ولا على موته، ولم يصح في حياته شيء، ولا اجتماعه بإلياس كل عام، ويلزم عليه أن يكون إلياس حياً. ولم يقل هذا أحد من أهل الإسلام)^(٣).

وبالجملة فكل ما ورد في حياته أو موته غير صحيح^(٤).

رأي آخر:

ذكر البعض أن الخضر وإن لم يدل على أنه حي اليوم، فقد كان حياً في زمنه ﷺ ثم قالوا: إنه لا يلزم من كونه حياً في ذلك الوقت أن يكون باقياً إلى الآن. ورُدُّ بأنه لم يثبت كونه حياً حتى في زمنه ﷺ والروايات التي تذكر بهذا الشأن هي غير صحيحة^(٥).

(١) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ص ١١٤.

(٢) أسنى المطالب ص ٢٩٧.

(٣) أسنى المطالب ص ١١٤.

(٤) أسنى المطالب ص ٢٩٧.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي البغدادي ج ١٥ ص ٣٢٣.

وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتابه (التعريف والإعلام) عن البخاري، وشيخه أبي بكر بن العربي: أنه أدرك حياة النبي ﷺ ولكن مات بعده، لحديث الصحيحين: «... إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد». قال ابن كثير: وفي كون البخاري - رحمه الله - يقول بهذا وأنه إلى زمان النبي ﷺ نظر^(١).

وقد قال ﷺ في حديث صحيح: (رحم الله موسى، لو ددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما)، فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني، ولأحضره بين يديه، وأراه العجائب، وكان أدعى لإيمان الكفرة، لا سيما أهل الكتاب^(٢).

وقد طلب من الإمام السيوطي إبداء رأيه في هذه المسألة المعقدة، فكان السؤال والجواب في أبيات شعرية كالتالي:

مسألة:

ما أشهر القولين يا من علمه أربي على الأقران والنظراء
في موت مشهور الحياة أبي الخضر وحياته يا فائزاً بثناء
قولان مشهوران قالهما الرضا شيخ الزمان وفائق العلماء
بقوام دين الله لقب وهو من بغداد يشهر بين كل ملاء

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٦.

(٢) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠.

وأقام برهاناً على فقدانه فأعجب لذا يا كامل الآراء
لا زلت معدوداً لكل ملمة وجزيت يوم الحشر خير جزاء

الجواب:

من بعد حمدي دائماً وثنائي ثم الصلاة لسيد النجباء
للناس خلف شاع في خضروهل أودى^(١) قديماً أو حبي ببقاء
ولكل قول حجة مشهورة تسمو على الجوزاء^(٢) في العلياء
والمرتضى قول الحياة فكم له حجج تجلّ الدهر عن إحصاء
خضر وإلياس بأرض مثل ما عيسى وإدريس بقوا بساء
هذا جواب ابن السيوطي الذي يرجو من الرحمن خير جزاء^(٣)

أدلة من ذهب إلى موت الخضر - عليه السلام -:

يرى كثير من العلماء أن الخضر قد مات، منهم: البخاري،
وإبراهيم الحربي، وأبو الحسين بن المنادي، والشيخ أبو الفرج ابن
الجوزي^(٤)، وابن حزم الظاهري^(٥)، ومحمد بن أبي الفضل
المرسى^(٦)،

(١) مات.

(٢) برج في السماء.

(٣) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٣١٦ للإمام السيوطي.

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨١ الطبعة الثانية ١٣٩٥.

(٦) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي؛ عالم

بالأدب والتفسير والحديث، ضريير، أصله من مرسية، ومولده بها. . سكن

المدينة ثم انتقل إلى مصر. وتوفي متوجهاً إلى دمشق بين العريش والزعقة =

وعلي بن موسى الرضا^(١)، وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب محمد^(٢). ومن جزم بموته أيضاً أبو بكر بن العربي^(٣)، وأبو يعلى بن الفراء^(٤)، وأبو

= من كتبه: «التفسير الكبير» يزيد على عشرين جزءاً أسماه «زي الظمان». ولد سنة (٥٧٠)، وتوفي سنة (٦٥٥). انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٦ ص ٢٣٣.

(١) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن الملقب بالرضي؛ ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم. ولد في المدينة. وكان أسود اللون، أمه حبشية، وأحبه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته وضرب اسمه على الدينار والدرهم وغير من أجله الزي العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر، وكان هذا شعار البيت. مات في حياة المأمون بـ (طوس) فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة. ولد سنة (١٥٣) وتوفي سنة (٢٠٣). انظر الإعلام ج ٥ ص ٢٦.

(٢) انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، قاض من حفاظ الحديث. ولد في أشبيلية سنة (٤٦٨) ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتباً في الحديث، والفقه، والأصول والتفسير، والأدب والتاريخ، وولي قضاء أشبيلية. توفي قرب فارس سنة (٥٤٣) وهو غير محيي الدين ابن العربي. من كتبه: العواصم من القواصم. عارضة الأحوذني في شرح الترمذي. أحكام القرآن مجلدان، الإنصاف في مسائل الخلافة عشرون مجلداً. انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٣٠.

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء. عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. من أهل بغداد، ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين. وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان. له تصانيف كثيرة منها: (الأحكام السلطانية). (أربع مقدمات في أصول =

طاهر العبادي^(١). وذكر أبو حيان الأندلسي قول الجمهور في ذلك^(٢)، والصحيح غير ما ذكر.

وقد انتصر لهم أبو الفرج ابن الجوزي، وألف كتاباً سماه: (عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر) فيحتج لهم بأشياء كثيرة^(٣):

١- قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾^(٤). فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح^(٥).

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة. ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾^(٦). قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق، ولئن بعث محمد وهم

= (الديانات)، (الأشعرية).. وكان شيخ الحنابلة ولد سنة (٣٨٠) وتوفي سنة

(٤٥٨) انظر الأعلام ج ٦ ص ٩٩ - ١٠٠.

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠. وانظر بعض هذه الأسماء في إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٤.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ١٤٧.

(٣) انظر كتاب البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤ فما بعد.

(٤) الأنبياء (٣٤).

(٥) ستمر معك مناقشة الأدلة.. وتعليقات أخرى.

(٦) آل عمران (٨١).

أحياء ليؤمنن به ولينصرنه. ذكره البخاري^(١). فالخضر إن كان نبياً أو ولياً، فقد دخل في هذا الميثاق. فلو كان حياً في زمن الرسول ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزل عليه وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه، لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه، وإن كان نبياً فموسى أفضل منه. وقد روى الإمام أحمد في مسنده: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»^(٢). وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم، لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له وتحت أوامره، وفي عموم شرعه^(٣). كما أنه ﷺ لما اجتمع بهم ليلة الإسراء رُفِع فوقهم كلهم.. ولما حانت الصلاة، أمر جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم.. فإذا علم هذا، علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد

(١) انظر الحديث في فتح الباري ج-٦ ص ٣١٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى من حديث جابر: أن عمر-رضي الله عنه- أستأذن رسول الله ﷺ في جوامع كتبها من التوراة ليقرأها ويزداد بها علماً إلى علمه، فغضب ولم يأذن له وقال: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي». وفي رواية: «يكفيكم كتاب الله تعالى». انظر روح المعاني ج-٢ ص ٤٢.

(٣) قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي: سئل بعض أصحابنا عن الخضر: هل مات؟ فقال: نعم. قال: وبلغني مثل هذا عن أبي طاهر بن الغباري (هكذا في الأصل. ولعلها العبادي). قال: وكان يحتج بأنه لو كان حياً لجاء إلى رسول الله ﷺ. نقله ابن الجوزي في العجالة، انظر البداية والنهاية لابن كثير ج-١ ص ٣٣٥.

ﷺ ومن يقتدي بشرعه لا يسعه إلا ذلك، وهذا عيسى بن مريم - عليه السلام - إذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة، لا يخرج منها ولا يجيد عنها، وهو أحد أولي العزم الخمسة المرسلين، وخاتم أنبياء بني إسرائيل^(١).
 ٣- والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن، تسكن النفس إليه أنه اجتمع بالرسول ﷺ في يوم واحد، ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد.. وهذا هو ﷺ يقول يوم بدر: ﴿اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض﴾^(٢). وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ، وسادة الملائكة، حتى جبريل - عليه السلام - فلو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته^(٣).

٤- ثم لو كان باقياً بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة، والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية، وقاتاله مع المسلمين في غزواتهم، وشهوده جمعهم وجماعاتهم، ونفعه إياهم، ودفعه الضرر

(١) انظر في هذا أيضاً: روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠ - ٣٢١.

(٢) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد بالفاظ متقاربة.

(٣) وعندما سئل شيخ الإسلام؛ ابن تيمية عن حياة الخضر قال: لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه، وقد قال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً معروفين بأسمائهم وأسماؤهم آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟ روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠.

عنهم عن سواهم، وتسديده العلماء والحكام، وتقريره الأدلة والأحكام أفضل ما يقال عنه من كونه^(١) في الأمصار، وجَوِّهه^(٢) الفيافي والأقطار، واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم. وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٥- ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ صلى ليلة العشاء ثم قال: ﴿أرأيتم ليلتكم هذه فإنه إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد﴾^(٣).

قال ابن الجوزي - بعد أن سرد أحاديث، صحيحة مشابهة لهذا الحديث وبدقة -: فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر. والذي في صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته: ﴿ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية﴾^(٤). يقول العلامة الألوسي: وهذا أبعد عن التأويل^(٥). أي: واضح أنه لا يبقى أحد حياً بعد تلك المدة.

(١) استاره واختفائه. المعجم الوسيط.

(٢) جاب الفيافي: قطعها سيراً، المعجم الوسيط.

(٣) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد في مسنده. انظر الفتح الكبير ج ١ ص ١٦٦.

(٤) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد في مسنده. انظر الفتح الكبير ج ٣ ص ١٢٤.

(٥) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠.

وقد سئل البخاري عنه - أي: عن الخضر وعن إلياس عليها السلام -: هل هما حيان؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ أي: - قبل وفاته بقليل - : «لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»^(١).

وعندما سئل إبراهيم الحربي^(٢) عن بقاء الخضر قال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان^(٣)!.

مُنَاقِشَاتٌ وَتَعْقِيْبَاتٌ

١ - استدل بعض الذاهبين إلى حياته الآن بالاستصحاب، فإنه قد تحققت من قبل بالدليل، فتبقى على ذلك إلى أن يقوم الدليل على خلافها ولم يقم^(٤).

(المناقشة): إن الاستصحاب - الذي يعد من المصادر

(١) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٠.

(٢) هو أبو إسحق إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله الحربي، مروزي الأصل، بغدادى المسكن والوفاة. توفي سنة (٢٨٥) له كتب منها: دلائل النبوة، غريب الحديث، كتاب الأدب، كتاب القضاء والشهود. انظر هدية العارفين جـ ١ ص ٤.

(٣) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٠. وكان أبو الحسين ابن المنادي يقبح قول من يقول: إنه حي. (روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٠) وذكر أن الإمام الجوزي قال في كتابه عجالة المنتظر: إن من قال: إنه موجود قائمًا. قال ذلك لحواجس ووسواس. انظر كشف الظنون جـ ١ ص ١١٢٥.

(٤) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٣.

التشريعية الفرعية - والاختلاف فيه بين المذاهب قد تعدى إلى أمثال هذه الأمور. يقول العلامة الألوسي: وأنت تعلم أنه - أي: الاستصحاب - حجة عند الشافعي، والمزني^(١)، وأبي بكر الصيرفي^(٢)، في كل شيء، نفيًا وإثباتًا، ثبت تحققه بدليل، ثم وقع الشك في بقاءه إن لم يقع ظن بعدمه. وأما عندنا^(٣)، وكذا عند المتكلمين، فهو من الحجج القاصرة التي لا تصلح للإثبات، وإنما تصلح للدفع بمعنى: أن لا يثبت حكم وعدم الحكم مستند إلى عدم دليله. والأصل في العدم الاستمرار حتى يظهر دليل الوجود، فالمفقود يرث عنده لا عندنا، لأن الإرث من باب الإثبات فلا يثبت به، ولا يورث، لأن عدم الإرث من باب الدفع فيثبت به، ويتفرع على هذا الخلاف فروع أخرى. وإذا كان حكم الاستصحاب عندنا ما ذكر،

(١) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني؛ صاحب الإمام الشافعي. من أهل مصر. كان زاهدًا، عالمًا، قوي الحجج. وهو إمام الشافعيين. من كتبه: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» و«المختصر» و«الترغيب في العلم» نسبه إلى مزينة (من مضر) قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. وقال في قوة حجته: لو ناظر الشيطان لغلبه. انظر الاعلام للزركلي ج ١ ص ٣٢٩.

(٢) هناك فقيهان بهذه الكنية، ووفاتها بنفس العام أحدهما محمد بن بدر، والآخر محمد بن عبد الله. وأعتقد أن المقصود به هو الأخير، وهو أحد المتكلمين الفقهاء من الشافعية. قال أبو بكر القفال: كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي. له كتب منها «البيان في دلائل الإعلام على أصول الأحكام» في أصول الفقه. وكتاب الفرائض. توفي سنة (٣٣٠). انظر الاعلام ج ٦ ص ٢٢٤.

(٣) أي: الحنفية.

فاستدلال الحنفي به على إثبات حياة الخضر - عليه السلام - اليوم وأنها متيقنة لا يخلو عن شيء؛ بل استدلال الشافعي به على ذلك أيضاً كذلك، بناء على صحة الاستدلال به مشروط بعدم وقوع ظن بالعدم، فإن العادة قاضية بعدم بقاء الأدمي تلك المدة المديدة والأحقاب العديدة، وقد قيل: إن العادة دليل معتبر^(١)

٢- ويرى بعضهم بأن قوله تعالى: ﴿وَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ ، إشارة إلى طول عمره - عليه السلام - .

(المناقشة): رُدُّ بأن تفسيره بذلك مبني على القول بالتعمير فإن قبل قبل، وإلا فلا^(٢) .

٣- وقد استدل ابن حزم الظاهري على موته بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٣)، ويقول رسول الله ﷺ: «لا نبي بعدي» . قال: فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده - عليه السلام - نبياً في الأرض؟ حاشا ما استثناه رسول الله ﷺ في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان^(٤) .

(المناقشة): قال الشيخ إسماعيل حقي في تفسيره^(٥) - وكأنه

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٨ .

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦ .

(٣) الأحزاب (٤٠) .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٠ .

(٥) لم أر من تناول تفسير (روح البيان في تفسير القرآن) بالبيان والتوضيح .

رغم أنه تفسير جامع وشامل فهو يتناول وجوه التفاسير والإعراب، وبعض =

يرد بهذا على ابن حزم - : وأما من قال من العلماء لا يجوز أن يكون الخضر باقياً، لأنه لا نبي بعد نبينا. فلا عبرة لكلامه، لأنه لم يتنبأ بعده، بل قبله كعيسى، أبقاه الله لمعنى وحكمة إلى أن يرتفع القرآن من وجه الأرض^(١).

٤ - أما من استدل على موته بحديث: ﴿ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ﴾ فقد رد عليهم الإمام القرطبي كالتالي:

(المناقشة): لا حجة لمن استدل به على بطلان قول من يقول: إن الخضر حي لعموم قوله: ﴿ما من نفس منفوسة..﴾ لأن العموم وإن كان مؤكداً الاستغراق فليس نصاً فيه، بل هو قابل للتخصيص، فكما لم يتناول عيسى - عليه السلام - فإنه لم يميت، ولم يقتل، فهو حي بنص القرآن

= القراءات. وأقولاً وأنباء فريدة من نوعها لم أرها في تفاسير أخرى. وقد صنف هذا التفسير منذ أكثر من ثلاثمائة عام، وطبع في استانبول سنة (١٣٠٦) في أربع مجلدات، وضمنه التفسير بالفارسية أيضاً. والمؤلف هو الشيخ إسماعيل حقي ابن الشيخ مصطفى الاستانبولي أصلاً وأيدوسي مولداً، حنفي المذهب، جلوتي الطريقة، العالم الصوفي، ولد سنة (١٠٦٣) وتوفي ببروسة سنة (١١٣٧). له أكثر من خمسين مؤلفاً، بين عربي وتركي وفارسي. منها: أصول الحديث، جامع مهمات الطلاب، شرح الأربعين في الحديث، شرح الأصول، شرح شعب الإيمان، شرح الكبائر، شرح نخبة الفكر لابن حجر سماه: هذا ما أراد الله، كتاب الفروق، مرآة الحقائق، نوادر الصوم. انظر تاريخ مولده وأسماؤه كته في هدية العارفين ج ١ ص ٢١٩.

(١) روح البيان ج ٢ ص ٤٩٩.

ومعناه، ولا يتناول الدجال مع أنه حي للدليل الجساسة^(١)،
فكذلك لم يتناول الخضر - عليه السلام - وليس مشاهداً
للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم
بعضاً، فمثل هذا العموم لا يتناوله^(٢).

وقد سئل الإمام النووي عن معنى هذا الحديث فقال:
(معناه: الإخبار بأن كل نفس منقوسة موجودة تلك الليلة لا
تبقى مائة سنة؛ بل تموت قبل ذلك، فالمقصود انخرام ذلك
القرن، ووجود آخرين، وفيه تقصير الأمل. وليس معناه: أن
لا يعيش أحد بعد ذلك أكثر من مائة سنة. والله أعلم)^(٣).

٥ - أجابه عما ذكره البخاري من الحديث الذي لا يوجب نفى
حياته في زمانه ﷺ وإنما يوجب بظاهره نفياً بعد مائة سنة
من زمان القول، بأنه لم يكن حينئذ على ظهر الأرض، بل
كان على وجه الماء!! وبأن الحديث عام فيما يشاهده الناس
بدليل استثناء الملائكة - عليهم السلام - واخراج
الشیطان^(٤). وقال صاحب روح البيان: إن هذا الحكم

(١) أي: دابة الأرض التي تخرج آخر الزمان، وسميت حساسة لتجسسها
الأخبار للدجال. انظر تفسير القرطبي ج ١١ ص ٤٢، وانظر حديث
الجساسة وقصتها في صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٧٨.

(٢) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٤٢.

(٣) انظر فتاوى الإمام النووي المسماة بالمسائل المثورة ص ٢٩٤. الناشر مكتبة
دار الدعوة بحلب، تحقيق وتعليق فضيلة الشيخ محمد الحجار.

(٤) أي: أن الخضر مخصوص من حديث انخرام القرن الأول كما خص منه
إبليس بالاتفاق. انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠. وقد مر أن ابن كثير =

جارٍ على الأكثر، ولا حكم للنادر الذي يعيش فوق المائة .
فقد عاش سلمان، ومعدي كرب، وأبو طفيل فوق المائة .
وكانوا موجودين في ذلك الزمان، عند إخباره - عليه
السلام - (١) .

(المنافسة): فيه أن الظاهر ممن على ظهر الأرض من هو من
أهل الأرض. ومتوطن فيها عرفاً. ولا شك أن هذا شامل لمن
كان في البحر وعلى ظهر الأرض، ومتى فهم عكس هذا
التأويل، خرج كثير من الناس من عموم الحديث، وضعف
العموم في قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
على ظهرها من دابة﴾ (٢). ولينظر إلى قول من قال: يحتمل أنه
كان وقت القول في الهواء!! ففيه أيضاً ما لا يخفى على
الناظر (٣) .

فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هو
المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع، فلا إشكال. وإن
كان قد أدرك زمانه فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً، لأنه داخل
في هذا العموم. والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل
صحيح يجب قبوله. والله أعلم (٤) .

= استبعد أن يكون البخاري قال ذلك. قال: (وفي كون البخاري - رحمه
الله - يقول بهذا وأنه بقي إلى زمان النبي ﷺ نظن انظر البداية والنهاية
ج ١ ص ٣٣٦ .

(١) روح البيان ج ٢ ص ٤٩٩ .

(٢) فاطر (٤٥) .

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٣ مع بعض الاختصار .

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٦ .

٦- فإن قيل: فهل يقال: إنه كان حاضراً في هذه المواطن^(١) كلها، ولكن لم يكن أحد يراه؟.

(المناقشة): والجواب أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات. ثم ما الحاصل له على هذا الاختفاء، وظهوره أعظم لأجره، وأعلى في مرتبته، وأظهر لمعجزته^(٢)؟؟.

٧- وأجابوا عما قاله الشيخ ابن تيمية بأن وجوب الإتيان ممنوع. فكم من مؤمن به ﷺ في زمانه لم يأت به - عليه الصلاة والسلام - فهذا خير التابعين أويس القرني - رضي الله تعالى عنه - لم يتيسر له الإتيان والمرافقة في الجهاد ولا التعلم من غير واسطة، وكذا النجاشي - رضي الله تعالى عنه - على أنا نقول: إن الخضر - عليه السلام - كان يأتيه ويتعلم منه ﷺ لكن على وجه الخفاء، لعدم كونه مأموراً بإتيان العلانية لحكمة إلهية اقتضت ذلك.

وأما الحضور في الجهاد فقد روى ابن بشكوال في كتاب (المستغِيثين بالله تعالى) عن عبد الله بن المبارك: أنه رأى الخضر عندما كان في إحدى الغزوات^(٣). فهذا صريح أنه قد يحضر بعض المعارك.

وأما قوله ﷺ في بدر ﴿اللهم إن تهلك هذه العصابة لا

(١) أي: غزوات الرسول ﷺ

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٣) انظر القصة في روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٤. وستر معك في فصل لقاءات الخضر.

تعبد في الأرض ﴿١﴾. فمعناه لا تعبد على وجه الظهور والغلبة وقوة الأمة، وإلا فكم من مؤمن كان بالمدينة وغيرها ولم يحضر بدرأ^(١)؟.

(المنافسة): لا يخفى أن نظم الخضر في سلك أويس القرني والنجاشي وأضرابهما ممن لم يمكنه الإتيان إليه ﷺ بعيد عن الإنصاف^(٢). وإن لم نقل بوجود الإتيان إليه - عليه السلام - وكيف يقول منصف بإمامته ﷺ لجميع الأنبياء - عليهم السلام - واقتداء جميعهم به ليلة المعراج، ولا يرى لزوم الإتيان على الخضر - عليه السلام - والاجتماع معه ﷺ مع أنه لا مانع له من ذلك بحسب الظاهر، ومتى زعم أحد أن نسبه إلى نبينا ﷺ كنسبته إلى موسى - عليه السلام - . فليجدد إسلامه^(٣). ودعوى أنه كان يأتي ويتعلم خفية لعدم أمره بذلك علانية لحكمة إلهية مما لم يقم عليها الدليل. على أنه لو كان كذلك لذكره ﷺ ولو مرة، وأين الدليل على الذكر؟.

وأيضاً لا تظهر الحكمة في منعه عن الإتيان مرة أو مرتين على نحو إتيان جبريل - عليه السلام - في صورة دحية الكلبي - رضي الله عنه - . وإن قيل: إن هذه الدعوى مجرد احتمال. قيل: لا يلتفت إلى مثله إلا عند الضرورة، ولا تتحقق إلا بعد تحقق وجوده إذ ذاك بالدليل، ووجوده كوجوده عندنا

(١) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) وذلك لقدرته على المجيء بسهولة.

(٣) أي: من أسند إلى الخضر علوماً أكثر من علم الرسول ﷺ فقد كفر.

وأما ما روي عن ابن المبارك، فلا نسلم ثبوته عنه. وأنت إذا أمعنت النظر في ألفاظ القصة استبعدت صحتها، ومن أنصف يعلم أن حضوره - عليه السلام - يوم قال النبي ﷺ لسعد - رضي الله تعالى عنه -: «ارم فداك أبي وأمي» كان أهم من حضوره مع ابن المبارك، واحتمال أنه حضر ولم يره أحد أشبه شيء بالسفسطة.

وأما ما ذكره في معنى الحديث، فلقائل أن يقول: إنه بعيد فإن الظاهر منه نفي أن يعبد سبحانه إن أهلك تلك العصاة مطلقاً على معنى أنهم إن أهلكوا والإسلام غض، ارتدّ الباكون ولم يكذبوا من أحد بعد. فلا يعبد سبحانه أحد من البشر في الأرض حينئذ، وقد لا يوسط^(١) حديث الارتداد بأن يكون المعنى: اللهم إن تهلك هذه العصاة الذين هم تاج رأس الإسلام، استولى الكفار على سائر المسلمين بعدهم فأهلكوهم، فلا يعبدك أحد من البشر حينئذ، وأياً ما كان فلا استدلال بالحديث على عدم وجود الخضر - عليه السلام - له وجه؛ فإن أجابوا عنه بأن المراد نفي أن يشاهد من يعبده تعالى بعد، والخضر - عليه السلام - لا يشاهد، ورد عليه ما تقدم^(٢).

٨ - وأجابوا عن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾^(٣) بأن المراد من الخلد: الدوام الأبدي.

(١) هكذا في المصدر. والأقرب أن تكون (لا يوصف).

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٤.

(٣) الأنبياء (٣٤).

والقائلون بوجوده اليوم لا يقولون بتأبيده، بل منهم من يقول: إنه يقاتل الدجال ويموت. ومنهم من يقول: إنه يموت زمان رفع القرآن. ومنهم من يقول: إنه يموت في آخر الزمان. ومراده أحد هذين الأمرين أو ما يقاربهما^(١).

(المناقشة): إن الخلد بمعنى الخلود، وهو على ما يقتضيه ظاهر قوله تعالى: ﴿خالدين فيها أبداً﴾^(٢)، حقيقة في طول المكث لا في دوام البقاء. فإن الظاهر التأسيس لا التأكيد. وقد قال الراغب^(٣): كل ما يتباطأ عنه التغير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم للأثافي^(٤): خوالد. وذلك لطول مكثها لا لدوامها وبقائها.

يقول العلامة الألوسي بعد ذلك: وأنت تعلم قوة الجواب، لأن المكث الطويل ثبت لبعض البشر، كنوح - عليه السلام -^(٥).

(الرد على ابن الجوزي):

أجابوا عما نقل عن ابن الجوزي من الوجوه العقلية:

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٤.

(٢) وردت هذه الآية في عدة سور من القرآن الكريم، مثل: النساء

(٥٧) - (١٢٢) الطلاق (١١) البينة (٨).

(٣) الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني)

المعروف بالراغب. أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان). سكن بغداد واشتهر، حتى كان يقرب بالإمام الغزالي. توفي سنة (٥٠٢) انظر

الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٥٥.

(٤) الجبال. (٥) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٤، ٣٢٥.

٩- أما عن الأول- من وجهي فساد القول بأنه ابن آدم - عليه السلام - بعد تسليم صحة الرواية -: فبأن البعد العادي لا يضر القائل بتعميره هذه المدة المديدة، لأن ذلك عنده من خرق العادات. وأما على الثاني: فبأن ما ذكر من عظم خلقة المتقدمين خارج مخرج الغالب، وإلا فيأجوج من صلب يافث بن نوح، وفيهم من طوله قدر شبر كما روي في الآثار^(١). على أنه لا بدع في أن يكون الخضر - عليه السلام - قد أعطي قوة التشكل والتصوير بأي صورة شاء، كجبريل - عليه الصلاة والسلام - . وقد أثبت الصوفية - قدست أسرارهم - هذه القوة للأولياء^(٢). ولهم في ذلك حكايات مشهورة^(٣).

(المناقشة): وأنت تعلم أن ما ذكر عن يأجوج ومأجوج من أن فيهم من طوله قدر شبر، بعد تسليمه، لقائل أن يقول فيه: إن ذلك حين يفتح السد، وهو في آخر الزمان، ولا يتم

(١) رواه ابن أبي حاتم والحاكم من طريق أبي الخوار. ذكره صاحب الإشاعة لأشراط الساعة ص ٢٣٢.

(٢) قال الشيخ يوسف النبهاني في سبب الاحتجاب والتشكل: (وسبب الاحتجاب مانع يقوم بإدراك الرائي.. فيصير كاهيول قابلاً للتشكل والتصوير كالعالم الروحاني، ولذلك صار الخضر- عليه السلام- يتشكل على أي صورة أحب أن يرى فيها. انظر جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج ١ ص ٥٤.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٥.

الاستناد بحالهم إلا إذا ثبت أن فيهم من هو كذلك في الزمن القديم .

وما ذكر من إعطائه قوة التشكل، احتمال بعيد، وفي ثبوته للأولياء خلاف كثير من المحدثين. وقال بعض الناس: لو أعطي أحد من البشر هذه القوة لأعطيها ﷺ يوم الهجرة^(١)، فاستغنى بها عن الغار، وجعلها حجاباً له عن الكفار^(٢).

١٠- وعن الثاني^(٣)، من الوجوه: بأنه لا يلزم من عدم نقل كونه في السفينة، إن قلنا: إنه - عليه السلام - كان قبل نوح - عليه السلام - عدم وجوده، لجواز أنه كان ولم ينقل، مع أنه يحتمل أن يكون قد ركب ولم يشاهد.. وهذا كما ترى^(٤).

(المناقشة): إذا كان احتمال إعطاء قوة التشكل قائماً عند القائلين بالتعمير، فليقولوا: يحتمل أنه - عليه السلام - قد تشكل فصار في غاية من الطول بحيث خاض في الماء ولم يحتاج إلى الركوب في السفينة، على نحو ما يزعمه أهل الخرافات في

(١) حجة غير قوية. إذ أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قدوة كاملة لأمته، على هديه يسرون، وعلى خطاه يبتدون، ولو تشكل على غير صورته (وما ذلك على الله بعزيز حينذاك، لا تنفت الأسوة كما هو الآن في واقعنا المؤسف.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٥.

(٣) أي قول ابن الجوزي: إنه لو كان الخضر قبل نوح لركب السفينة، ولم ينقل هذا أحد. انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢١.

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٥.

عوج بن عوق^(١)... ويوشك أن يقولوا في إعطائه قوة التشكل والكون في الهواء كذلك^(٢)!!!.

١١- وعن الثالث: بأنه لا نسلم الاتفاق على أنه مات كل أهل السفينة ولم يبق بعد الخروج منها غير نسل نوح - عليه السلام - والحصر في الآية إضافي بالنسبة إلى المكذبين بنوح - عليه السلام -.

وأيضاً، المراد أنه مات كل من كان ظاهراً مشاهداً غير نسله - عليه السلام - بدليل أن الشيطان كان أيضاً في السفينة. وأيضاً، المراد من الآية^(٣): بقاء ذريته - عليه السلام - على وجه التناسل. وهو لا ينفي بقاء من عداهم من غير تناسل، ونحن ندعي ذلك في الخضر^(٤).

(المناقشة): إن القول بأنه كان قبل نوح - عليهما السلام - قول ضعيف، والمعتمد كونه بعد ذلك، ولا يخفى ما في بعض ما ذكر من الكلام^(٥).

(١) كما في القاموس المحيط (باب الجيم فصل العين) وعوج بن عوق (بضم العين والواو). رجل ولد في منزل آدم، فعاش إلى زمن موسى وذكر من عظم خلقه شناعة. وورد في الجزء الثالث (باب القاف فصل العين): ومن قال: عوج بن عنق. فقد أخطأ. راجع القاموس المحيط للفيروز أبادي. وللتحقيق في الخرافات التي حيكت حول عوج بن عوق راجع البحث قبل الأخير في الجزء الثاني من كتاب الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي.

(٢) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٥ مع حذف بعض الجمل.

(٣) آية «وجعلنا ذريته هم الباقين» الصافات (٧٧).

(٤) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٥.

(٥) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٥.

١٢- وعن الرابع^(١): بأنه لا يلزم من كون تعميره من أعظم الآيات أن يذكر في القرآن العظيم كرات، وإنما ذكر سبحانه نوحاً - عليه السلام - لبنينا ﷺ بما لاقى من قومه في هذه المدة، مع بقائهم مصرين على الكفر حتى أغرقوا، ولا توجد هذه الفائدة في ذكر عمر الخضر - عليه السلام - لو ذكر. على أنه قد يقال: من ذكر طول عمر نوح - عليه السلام - تصريحاً، يفهم تجويز عمر أطول من ذلك تلويحاً^(٢).

(المناقشة): إن لنا أن نعود فنقول: لا أقل من أن يذكر هذا الأمر العظيم في القرآن العظيم مرة، لأنه من آيات الربوبية في النوع الإنساني، وليس المراد أن يلزم عقلاً من كونه كذلك ذكره. بل ندعي أن ذكر ذلك أمر استحساني، لا سيما وقد ذكر تعمير عدو الله تعالى؛ إبليس - عليه اللعنة - فإذا ذكر يكون القرآن مشتملاً على ذكر معمر من الجن مبعده، وذكر معمر من الإنس مقرب، ولا يخفى حسنه.

وربما يقال: إن فيه أيضاً إدخال السرور على النبي ﷺ وبأن التجويز^(٣) المذكور في حيز العلاوة مما لا كلام فيه، إنما الكلام في الوقوع، ودون اثباته الظفر بماء الحياة^(٤).

(١) أي: قول ابن الجوزي: إنه لو صح بقاء بشر من لدن آدم إلى قرب خراب الدنيا لكان ذلك من أعظم الآيات. . راجع ما سبق.

(٢) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٦.

(٣) أي: جواز أن يكون هناك من عمر أكثر من نوح عليه السلام.

(٤) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٦. والمعنى: أنه إذا أثبتنا حياة الخضر - عليه

١٣ - وعن الخامس^(١): بأننا نختار أنه ثابت بالسنة^(٢) ..

قال الإمام الياضي: وفي حياة الخضر ما يرد على ابن الجوزي - في إنكار حياته - على أنه ناقض نفسه^(٣)، فإنه روى بإسناده المتصل أربع روايات تدل على حياته، منها عن علي - كرم الله وجهه - «أنه رآه متعلقاً بأستار الكعبة» ومنها عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال الراوي: ولا أعلمه إلا مرفوعاً عن النبي ﷺ، قال: «ويلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه». ومنها عن علي - كرم الله وجهه - «أنه يجتمع مع إسرافيل وجبريل وميكائيل بعرفات والحجيج بها»^(٤).

(المنافسة): أقول: لا تسلّم صحة الأحاديث التي ذكرها الإمام الياضي، بل إنها واهية وغير صحيحة.. وسيمر بك التحقيق المسهب في لقاءاته إن شاء الله تعالى..

يقول ابن قيم الجوزية: إن الأحاديث التي يذكر فيها الخضر

السلام - فعلينا إثبات ظفره بماء الحياة.. وهو ما لم يثبت.

(١) قوله: إن القول بحياة الخضر قول على الله تعالى بغير علم، وهو حرام بنص القرآن.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.

(٣) وذكر في ص (٣٩٦) أن مبالغة ابن الجوزي في إنكار حياته غلو منه، إذ هو إنكار الشمس وليس دونها حجاب..

(٤) انظر بشكل أوسع (نشر المحاسن الغالية) للياضي ص (٤٠) وقد نقلت باختصار من كتاب (الفتاوى الحديثية ص ٣٠٧ تأليف الشيخ أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي (٩٠٩-٩٧٤)). دار المعرفة - بيروت.

- عليه السلام - وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد، ومن ادعى الصحة فعليه البيان^(١).

١٤ - وذكر مصنف (كشف الظنون) أن ابن الجوزي استدل في كتابه (عجالة المنتظر في شرح حال الخضر) بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾.

(المناقشة): قال: وأجاب المخالفون بأن الخلد هو بقاء لا موت معه، وليس هو المدعي في الخضر - عليه الصلاة والسلام - إنما المدعي طول إقامته ثم يكون الموت بعدها^(٢).

وقال صاحب روح البيان: لا شك أن حياة الخضر منقطعة عند الصعقة قبل القيامة، فيمتنع الخلود^(٣).

١٥ - وقيل: يكفي في ثبوته إجماع المشايخ العظام، وجماهير العلماء الأعلام. وقد نقل هذا الإجماع ابن الصلاح والنووي وغيرهما من الأجلة الفخام.

(المناقشة): إن إجماع المشايخ غير مسلم، فقد نقل الشيخ صدر الدين إسحاق القونوي في (تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي)^(٤) أن وجود الخضر - عليه السلام - في عالم المثال.

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.

(٢) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ج ٢ ص ١١٢٥.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٩٩.

(٤) رسالة فارسية في أصول المعارف وقواعد طور الولاية للشيخ صدر الدين محمد بن إسحق القونوي المتوفى سنة (٦٧٣). وفي ظهر بعض النسخ أنه للشيخ ناصر الدين المحدث. انظر كشف الظنون ج ١ ص ٣٣٧.

وذهب عبد الرزاق الكاشي^(١) إلى أن الخضر عبارة عن البسط وإلياس عن القبض. وذهب بعضهم إلى أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر كان في زمن موسى - عليهما السلام -^(٢).

ونقل صاحب روح البيان قول القاشاني^(٣): الخضر كناية عن البسط وإلياس عن القبض، وأما كون الخضر شخصاً إنساناً باقياً من زمان موسى إلى هذا العهد، أو روحانياً يتمثل بصورته لمن يرشده فغير متحقق عندي. بل قد يتمثل ويتخيل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص^(٤). . ا هـ .

وأورد الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي قول بعض العارفين: (إن الخضر مقام لا إنسان) وكان الشيخ علي بن محمد وفا يقول: (الخضر مظهر عرفاني). ويقول: (لكل ولي خضر هو تمثل روح ولايته)^(٥). ومع وجود هذه الأقوال لا يتم

(١) هو عبد الرزاق جمال الدين أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم الكاشي الصوفي. توفي سنة (٧٣٠) وقيل: (٧٣٥). له عدة تصانيف. انظر هدية العارفين ج ١ ص ٥٦٧.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحق القاشاني، داودي المذهب. توفي سنة (٢٨٠) له: أصول الفتيا. انظر هدية العارفين ج ٦ ص ٢٠.

(٤) قال المفسر: تمثل الروح بالصفة الغالبة قد وقع لكثير من أهل السلوك، ولكن ليس كل مرثي في اليقظة تمثلاً كما في المنام. فقد يظهر المثال وقد يظهر حقيقته. والله في كل شيء حكمة بالغة. انظر روح البيان ج ٢ ص ٤٩٩.

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ٢٦ و ٣١.

الإجماع، وكونها غير مقبولة عند المحققين منهم لا يتممه أيضاً. وإجماع جماهير العلماء على ما نقل ابن الصلاح والنووي مسلّم، لكنه ليس الإجماع الذي هو أحد الأدلة الشرعية، والخصم لا يقنع إلا به، وهو الذي نفاه، فأنيّ بإثباته. ولعل الخصم لا يعتبر أيضاً إجماع المشايخ - قدست أسرارهم - إجماعاً هو أحد الأدلة^(١).

وعلى هذا فالمعول عليه، الخالص من شوب الكدر، الاستدلال بأحد الأدلة الأربعة، وقد علمت استدلالهم بالكتاب والسنة، وما سموه إجماعاً. وأما الاستدلال بالقياس فمما لا يقدم عليه عاقل، فضلاً عن فاضل^(٢).

١٦ - وأجابوا على من قال: إنه لا يعرف عن الخضر شيء من إشارة أو علامة. بأن له علامات عند أهله؛ ككون الأرض تخضر عند قدمه، وأن طول قدمه ذراع، وربما يظهر منه بعض خوارق العادات بما يشهد بصدقه، على أن المؤمن يصدق بقوله، بناء على حسن الظن به. وقد شاع بين زاعمي رؤيته - عليه السلام - أن من علاماته أن إبهام يده اليمنى لا عظم فيه، وأن بؤبؤ عينيه يتحرك كالزئبق^(٣). وقد ذكر أنه لا تبلى للخضر ثياب، وقيل في السبب: إنه لا يعصي الله تعالى، ولا يأكل حراماً^(٤).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.

(٢) انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٨.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٩.

(المناقشة): بأي دليل ثبت أن هذه علاماته؟ قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. والذي ثبت في الحديث الصحيح أنه إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهرت من خلفه خضراء. وأين فيه ثبوت ذلك دائماً؟. وكون طول قدمه ذراعاً إنما جاء في خبر محمد بن المنكدر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا نسلم صحته.

على أن زاعمي رؤيته يزعمون أنهم يرونه في صور مختلفة، ولا يكاد يستقر له - عليه السلام - قدم على صورة واحدة.

وظهور الخوارق أمر مشترك بينه وبين غيره من الأولياء، فيمكن أن يظهر ولي خارقاً ويقول: أنا الخضر. مجازاً، لأنه على قدمه، أو لاعتبار آخر ويدعوه بذلك داع شرعي.

وقد صحَّ في حديث الهجرة أنه ﷺ لما قيل له: ممن القوم؟ قال: من ما. فظن السائل أن (ما) اسم قبيلة، ولم يعنِ ﷺ إلا أنهم خلقوا من ماء دافق^(١).

أما ما ذكر من أن ثيابه لا تبلى لأنه لا يعصي الله، ولا يأكل حراماً، فللرد عليه نقول:

ربما كانت ثيابه لا تبلى. ولكن ليس سببه ما ذكر.

فهذا سيد الأنبياء والأولياء، محمد ﷺ، كانت ثيابه تخلق فيرفوها، ولم يعص الله قط، وما أكل حراماً.

(١) انظر تكملة المناقشة في روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦-٣٢٧. بتصرف يسير.

١٧- وأجابوا على من قال: كيف فارق موسى كليم الله، وبعدها يجتمع بجهلة العباد الذين يتركون الجمعة والجماعة؟. بأننا لا نسلم اجتماعه بجهلة العباد، الخارجين عن الشريعة، ولا يلتفت إلى قولهم. فالكذابون الدجالون يكذبون على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ فلا يبعد أن يكذبوا على الخضر - عليه السلام - ويقولوا: قال، وجاء... أما القول باجتماعه بأكابر الصوفية، والعباد المحافظين على الحدود الشرعية، فإنه قد شاع اجتماعه بهم. حتى إن منهم من طلب الخضر مرافقته فأبى^(١)...

(١) نرى أن الصوفية أقرب إلى الأخذ بهذه اللقاءات. يقول العلامة الألوسي البغدادي أيضاً: ومما يبني على اجتماعه - عليه السلام - بالكاملين من أهل الله تعالى، بعض طرق اجازتنا بالصلاة البشيشية، فإني أروها من بعض الطرق عن شيخي علاء الدين علي أفندي الموصللي، عن شيخه ووالده صلاح الدين يوسف أفندي الموصللي، عن شيخه خاتمة المرشدين السيد علي البندنجي، عن نبي الله تعالى الخضر - عليه السلام -، عن الولي الكامل الشيخ عبد السلام بن بشيش قدس سره... روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧. فهل يفهم من كلام الألوسي هذا أنه يرى حياة الخضر؟! بعد أن رأينا أقوالاً ومناقشات صريحة تبين أنه يميل إلى موته؟! إن الأمر يكاد أن يكون غامضاً. ولكنني أود أن أتبه إلى أن العلامة الألوسي - رحمه الله تعالى - وافته المنية قبل أن يطبع تفسيره هذا، فقام ابنه (الشيخ نعمان الألوسي) بطبعه. وقد تحدث بعض العلماء في أمانة الشيخ نعمان - الذي لم يكن على طريقة والده الصوفية - عند طبعه للكتاب. فقد قال عنه العلامة الكوثري: (وهو ليس بأمين على طبع تفسير والده، ولو قابله أحدهم بالنسخة المحفوظة اليوم بمكتبة «راغب باشا باسطنبول» وهي النسخة التي كان المؤلف أهداها إلى السلطان عبد المجيد خان، لوجد ما يطمئن إليه). على ما في (تبديد =

(الناقشة): إن اجتماعه بهم واجتماعهم به يحتمل أن يكون من قبيل ما يذكرونه من اجتماعهم بالنبي ﷺ واجتماعه - عليه الصلاة والسلام - بهم. وذلك لأن الأرواح المقدسة قد تظهر متشكلة ويجتمع بها الكاملون من العباد.. وقد صح أنه ﷺ رأى موسى - عليه السلام - قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء، ورآه يطوف بالبيت^(١)..

١٨ - وقيل: إنه لو كان حياً فلا أقلّ من أن يحضر الجمعة والجماعة فيراه الناس، ويرشد جهلة الأمة.. ولو كان موجوداً لكان ممن يشاهده الناس كما هو الأمر المعتاد في البشر. وكونه - عليه السلام - خارجاً من ذلك لا يثبت إلا بدليل فأنّ هو^(٢)!!؟..

(الناقشة): يمكن الرد كالتالي:

أما حضوره الجمعة فلا تكليف لأنه مسافر، وقد يحضر المساجد ولكنه لا يعرف. وأما عدم مشاهدته دوماً فلحكمة تخفى علينا كما خفيت على موسى - عليه الصلاة والسلام - ولم يكن يعلم بوجوده ولا مما أوتي من علم ومعرفة حتى أخبره الله تعالى.

= الظلام المخيم) من نونية ابن القيم للعلامة الكوثري . انظر مقالات الكوثري بقلم العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري المتوفى سنة (١٣٧١) رضي الله عنه . ص ٤٢٥ .

وانظر قول الشيخ يوسف النبهاني على نعمان الالوسي في كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ) ص ١٩٣ - ١٩٤ .
 (١) انظر التعقيب وتكملته في روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧ .
 (٢) روح المعاني بتصرف - ج ١٥ ص ٣٢١ و ٣٢٣ .

١٩ - وقال ابن حزم الظاهري ناقداً الصوفية: (وادعى بعضهم أنه يلقي إلياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض، وأنه متى ذكر حضر على ذاكره!! قال ابن حزم: فإن ذكر في مشرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وفي ألف موضع في دقيقة واحدة، كيف يصنع^(١)؟ ..

(المناقشة): لم أر من العلماء من قال بأن الخضر يحضر عند ذاكره، وربما كانت هذه بعض كلمات العامة التي لا يؤبه لها ولا يناقش مثلها.

٢٠ - وأجابوا على من قال: إن الرسول ﷺ مرسل للخضر، ومن نفى ذلك فقد كفر. بأننا لا نسلم أن القول بعدم إرساله ﷺ إليه - عليه السلام - كفر. وبفرض أنه ليس بكفر هو قول باطل إجماعاً، ونختار أنه أتى وبإيع باطناً حيث لا يشعر به أحد!! وقد عده جماعة من أرباب الأصول في الصحابة. ولعل عدم قبول روايته لعدم القطع في وجوده وشهوده حال رؤيته.

(المناقشة): قال العلامة الألوسي: وهو كما ترى^(٢) ..

٢١ - وأجابوا على من نفى لقاءه بالرسول ﷺ بأنه مجازفة في الكلام، فإنه من أين يعلم نفى ما ذكره من حضور الجهاد وغيره عن الخضر - عليه السلام - مع أن العالم

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٠.

(٢) اكتفى بقوله: (وهو كما ترى). وذلك لأن الجواب غير مقنع، وإنما هذه فرضيات يشك في قوة حجتها قائلها أيضاً. انظر المرجع: روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧.

بالعلم اللدني لا يكون مشتغلاً إلا بما علمه الله تعالى في كل مكان وزمان، بحسب ما يقتضي الأمر والشأن.

(المناقشة): إن النفي مستند إلى عدم الدليل. فنحن نقول به إلى أن يقوم الدليل. ولعله لا يقوم حتى يقوم الناس لرب العالمين^(١)!!

(النتيجة):

يقول العلامة الألووسي بعد أن أورد تلك الردود والتعقيبات:

ثم اعلم بعد كل حساب، أن الأخبار الصحيحة النبوية، والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته - عليه السلام - أيّ مساعدة، وتعاضدهم على دعواهم أي معاضدة ولا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار إلا مراعاة ظواهر الحكايات المروية، والله تعالى أعلم بصحتها عن بعض الصالحين الأخيار. وحسن الظن ببعض السادة الصوفية، فإنهم قالوا بوجوده إلى آخر الزمان على وجه لا يقبل التأويل السابق^(٢).

(١) روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٢) أي: كون مشاهدته في عالم المثال. انظر روح المعاني جـ ١٥ ص ٣٢٨. واعتقد أنه مهما قال السادة الصوفية باستمرار حياته، فإنهم على ما أظن لا يقطعون بهذا القول. ويرون ذلك عن طريق الإمكان لا الحتم.

رَأْيُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ

يورد العلامة الألوسي آراء الصوفية ليعلق عليها أخيراً، ونحن هنا نجتزئ من قول أحد أئمتهم بعض ما قال. ففي الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية^(١): اعلم أن الله تعالى في كل نوع من المخلوقات خصائص وصفوة، وأعلى الخواص فيه من العباد والرسل - عليهم السلام - . بمعنى أن المقام الذي أرسل منه، أعلى منزلة عند الله تعالى من سائر المقامات، وهم الأقطاب، والأئمة، والأوتاد، الذين يحفظ الله تعالى بهم العالم، ويصون بهم بيت الدين القائم بالأركان الأربعة: الرسالة، والنبوة، والولاية، والإيمان . . وأبقى الله تعالى بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام - من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار أربعة: إدريس، وإلياس، وعيسى، والخضر، - عليهم السلام - . . وكلهم الأوتاد، واثنان منهم الإمامان، وواحد منهم القطب. وبالواحد منهم يحفظ الله تعالى الإيمان، وبالثاني الولاية، وبالثالث النبوة، وبالرابع الرسالة، وبالمجموع الدين الحنيفي. والقطب من هؤلاء لا يموت أبداً، أي: لا يصعق. وهذه المعرفة لا يعرفها من أهل طريقتنا إلا

(١) كتاب (الفتوح المكية) لابن العربي الطائي الحاتمي، المتوفى سنة (٦٣٨) انظر الكلام على هذا الكتاب في البحر المحيط ج ٦ ص ١٥٦. وقال البقاعي عنه: يسميها المحقون: (القبوحات الملكية) قال الشعراني في (مختصر الفتوحات): وقد توقفت حال الاختصار في مواضع كثيرة منها، لم يظهر لي موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة فحذفتها من هذا المختصر. انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٢٣٨.

الأفراد الأمناء.. فكونوا لها قابلين، وبها مؤمنين، ولا تحرموا التصديق بها فتحرموا خيرها^(١).

نقد آراء الصوفية:

بعد أن يناقش العلامة الألويسي بعض الكلام الذي ورد في ذلك الباب يعقب بقوله: ثم إنك إن اعتبرت مثل هذه الأقوال، وتلقيتها بالقبول لمجرد جلاله قائلها، وحسن الظن فيه فقل بحياة الخضر - عليه السلام - إلى يوم القيامة وإن لم تعتبر ذلك وجعلت الدليل وجوداً وعدمياً مداراً للقبول والرد، ولم تفرك جلاله القائل، إذ كل أحد يؤخذ من قوله ويرد ما عدا رسول الله ﷺ وعن علي - كرم الله تعالى وجهه - أنه قال: لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال. فاستفت قلبك بعد الوقوف على أدلة الطرفين، وما لها وما عليها ثم اعمل بما يفتيك^(٢).

(وأخيراً): يقول العلامة الألويسي: وأنا أرى كثيراً من الناس اليوم، بل في كثير من الأعصار، يسمون من يخالف الصوفية في أي أمر ذهبوا إليه، منكرًا ويعدونه سيء العقيدة، ويعتقدون بمن يوافقهم، ويؤمن بقولهم الخير، وفي كلام الصوفية أيضاً نحو هذا..^(٣).

يقول الألويسي بعد ذلك: ويفهم منه، أن ما يرده الدليل

(١) باختصار من روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٩.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٩.

(٣) انظر كلام بعض هؤلاء الأئمة في تفسير روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٩.

الشرعي أو العقلي لا يقبل. وهو الذي إليه أذهب، وبه أقول،
وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياك لكل ما هو مرضي لديه
سبحانه ومقبول^(١).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٣٠ للعلامة المحقق، شهاب الدين، السيد محمد
الألوسي البغدادي، مفتي بغداد، ولد في سنة عشرة ومائتين بعد الألف من
الهجرة النبوية، في جانب الكرخ من بغداد. وقد توفي - رحمه الله - في يوم
الجمعة، الخامس والعشرين من ذي القعدة، سنة سبعين ومائتين بعد
الألف من الهجرة، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في
الكرخ.

كان رحمه الله شيخ العلماء في العراق. جمع كثيراً من العلوم، حتى أصبح
علامة في المنقول والمعقول، واشتغل بالتدريس والتأليف، وهو ابن ثلاث
عشرة سنة، وتخرج عليه جماعات من الفضلاء من بلاد مختلفة كثيرة.
وكان - رحمه الله - عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، سلفي
الاعتقاد، شافعي المذهب، إلا أنه في كثير من المسائل يقلد الإمام الأعظم،
أبا حنيفة النعمان - رضي الله عنه - وكان في آخر عمره يميل إلى الاجتهاد
انظر الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ٣٣٩) وكان - رحمه
الله - متصلاً بالنقشبندية، ودرس التصوف على شيخها خالد النقشبندي،
ولذلك فإنه في تفسيره يتطرق في مناسبات كثيرة إلى التصوف، وينقل عن
كبار المتصوفين آراءهم في مختلف نواحي الحياة الروحية وغيرها. كالشيخ
عبد القادر الجيلاني، والشيخ ابن عربي، والشيخ عبد الكريم الجيلي والإمام
الغزالي، والجنيد، والبغدادي، رحمهم الله تعالى أجمعين (انظر الإسرائيليات
وأثرها في كتب التفسير للدكتور رمزي نعاينة ص ٣٤٧). ونحن لم نأل
جهداً في نقل آراء هؤلاء الأئمة الأجلاء للفائدة والعبارة. ملاحظة: رأيت
معي أن مصنف كتاب الإسرائيليات قال: إن الألوسي شافعي المذهب.
والحقيقة أنه حنفي. ففي كتاب (التفسير والمفسرون ص ٣٥٩ الجزء الأول
منه) ذكر مصنفه أنه أخطأ عندما ذكر سابقاً بأن الألوسي كان شافعي
المذهب ويقلد أبا حنيفة في كثير من المسائل... وإنما هو حنفي. قال: =

كَيْفَ نَوْفِقَ بَيْنَ آرَاءِ الْعُلَمَاءِ؟

أين نضع حجج وبراهين العلماء الذين ذكروا موت الخضر - عليه السلام - وهناك من ذكر أنه حي يلتقي بالناس؟ وفيهم من العلماء من لا يشك بأقوالهم؟ أمثال الإمام النووي، وحجة الإسلام الغزالي، وأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وابن الصلاح وغيرهم؟! ..

وماذا نفعل بهذه الأقوال المتكررة بين فترة وأخرى، من رؤية الخضر وأقوال العلماء الذين يرون موته، وهي تشعُّ حجة وبيانا؟! ..

كيف نوفق بين هذه الآراء؟ .. :

إنه لم يسعفني في هذا جواب سوى ما رأيته في كتاب (أسنى المطالب) ولا أدري هل يعجب القارئ ذلك ويطمئن إليه أم لا؟! .. يقول المصنف - رحمه الله تعالى - :

وأما اجتماعه بالأولياء - رضي الله عنهم - فيحمل على روحه، وأنها تتشكل بصورته، فالأرواح لها تصرف بعد الموت كالحياة، ويدل لهذا أن من يراه من الناس يراه هو وحده لا غير. ولو كان جسماً لراه كل حي قربهُ، لأنه آدمي، لا ملك

= ومن نظر إلى تفسيره يرى أنه عندما يستعمل كلمة (عندنا) يعني به الحنفية. وهذا واضح الدلالة. ولعل صاحب كتاب الإسرائيليات نقل ذلك الكلام من كتاب (التفسير والمفسرون) قبل تصحيح صاحبه له في الطبعة التالية. راجع كتاب (التفسير والمفسرون) تأليف محمد حسين الذهبي. الطبعة الثانية عام ١٩٧٦.

ولا جنني، فرؤيته، ورؤية النبي ﷺ جهاراً لبعض الأولياء، رؤية نورانية، وهو من رؤية المثال لا في عالم الشهود^(١)، لأنه لو كان في عالم شهود الشخص، كان من جملة الخيال والهجس أو حديث النفس. وللأولياء أحوال لا يقدرُونَ أن يعبروا عنها، فكيف يعبر عنها غيرهم؟! ولا نظن بهم إلا الخير - رضوان الله عليهم أجمعين^(٢).

وذكر العلامة الألويسي قريباً من ذلك فقال:

إن اجتماعه بهم، واجتماعهم به يحتمل أن يكون من قبيل ما يذكرونه من اجتماعهم بالنبي ﷺ واجتماعه - عليه الصلاة والسلام - بهم. وذلك لأن الأرواح المقدسة قد تظهر متشكلة، ويجتمع بها الكاملون من العباد. وقد صح أنه ﷺ رأى موسى - عليه السلام - قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء، ورآه يطوف بالبيت^(٣). والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) لا شك أن الذي يقول بحياته يذهب إلى أنه حي بجسمه وروحه، ويعيش حياة طبيعية مثلنا. ويلتقي بالناس حقيقة. وإن ما يذكره المصنف هو تأويل وتقريب وتوفيق بين الآراء، ولا يقتنع به كل من يقول بحياته.

(٢) انظر كتاب (أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب) ص ٢٩٧ - ٢٩٨. للمحدث العالم محمد ابن السيد درويش الملقب بالحوث البيروقي.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧. والحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل، عن أنس - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: مررت ليلة أسري بي بموسى - عليه السلام - عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره. انظر كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ٧٤.

الْفَضْلُ السَّادِسُ

هل يلتقي أخضر بالناس؟!

المقدمة :

.. وكان هذا هو المهم بالنسبة لنا..

إننا نريد أن نخرج بنتيجة بعد هذا الفصل.. نطمئن إليها، ونزيل هذا التردد من الفكر والقلب..

هل صحيح أن الخضر يلتقي بالناس، فيتحدث إليهم ويرشدهم إلى الخير، ويسعفهم وقت الحاجة؟.

وهل يستطيع أحدنا أن يلتقي به؟، أم أن اللقاء به شروطاً لا تنهياً لكل إنسان؟! فبمن يلتقي إذن؟ وكيف يعرف أنه الخضر؟ وما درجة صحة ما روي عن لقاءاته بالناس قديماً وحديثاً؟.

سنرى إن شاء الله في هذا الفصل، روايات وتحقيقات متعددة طويلة.. قد تقنع وقد لا تقنع..

وأعتقد بأن هذا الموضوع مرتع خصب لمزيد من الأقوال والحكايات المتنوعة، سواء منها الإسرائيلية أو غيرها.. ذلك

لأنه لم يرد بشأنه نص قاطع يعتمد عليه.. لذلك سيظل مثار
تفاوت واضطراب الأقوال، حتى نحظى بتحقيق سليم بعيد
عن التعصب والعاطفة..

هذا وربما تردد المرء في قبول بعض الروايات، لعدم توفر ما
يوثقها، ولكن ما العمل؟ فمهما يكن من أمر، فإن الموضوع
مختلف فيه منذ القدم.. ذلك لأنه موضوع شائك، لم يقل فيه
أحد شيئاً، إلا أورد آخر فيه قولاً غيره.. حتى إنه لما سئل
إبراهيم الحربي عن بقاء الخضر ولقاءاته قال:

(ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان)^(١)!

وهذا خير ما يمكننا علمه في هذا المضمار، أن نسوق
الروايات كما هي، ثم نتحقق منها، صحت أم لم تصح..

أما أحاديث الناس عن الخضر ولقاءاته وأوصافه.. فتبقى
مترددة بين الصدق وغيره..

ومهما قيل.. فإننا حين نصل إلى العلم بحياته، فإن اجتماعه
حينئذ بالناس ممكن الحصول، وما لم نصل إلى العلم بحياته
فإن أخبار اجتماعه بالناس ليست صحيحة.

لذلك فلن نعجل في الحكم.. بل سنمضي معاً في مخطط
البحث، ومن ثم فللقارئ أن يميز.. ويحكم.

(١) انظر قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٢٩٦.

أولاً: لِقَاؤُهُ قَدِيمًا .

لم ترد عن الخضر أبناء مؤكدة قبل موسى - عليه السلام - .
والحقيقة أن لقاءه بالناس قديماً تبع حياته آنذاك . . فإن
قلنا: إنه كان موجوداً قبل موسى - عليه الصلاة والسلام - .
فالتقاؤه بالناس ممكن، وإلا فلا . .

أما عن حياته قديماً، فقد قيل: إنه ابن آدم لصلبه، ونسيء
له في أجله^(١). وذكر أبو حامد السجستاني أنه ابن قابيل بن
آدم^(٢). وأوصل وهب بن منبه نسبة إلى سام بن نوح - عليه
السلام -^(٣). كما أنه ورد خلاف بين بعضهم في أن يكون ممن
آمن بإبراهيم أو كان قبله^(٤). وورد أيضاً ما يدل على أنه كان
من بني إسرائيل في زمان فرعون أيضاً^(٥). وقيل: إنه كان على
مقدمة ذي القرنين الأكبر^(٦). ففي الكشف: أنه كان في أيام
(أفريدون) قبل موسى - عليه السلام -، وكان على مقدمة ذي

(١) وهو عن عبد الله بن عباس. قال ابن كثير عن هذا الخبر: إنه منقطع
غريب. انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦، وروح المعاني ج ١٥
ص ٣١٩.

(٢) رواه عن أبي عبيدة وغيره. انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩ وإرشاد
الساري ج ٥ ص ٣٨٤.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٠.

(٤) انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦ وفتح الباري ج ٦ ص ٣١٠ وإرشاد
الساري ج ٥ ص ٣٨٣.

(٥) انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦.

(٦) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠. وتفسير البيضاوي.

القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى^(١). وقيل: إنه والاسكندر المقدوني ابنا خالة، وكان وزيره. وردّ هذا الخبر بأنه قولٌ جاهلٍ، لأن الاسكندر كان بعد موسى بأكثر من ألف سنة^(٢).

وقد أوردنا معظم هذه الأقوال قبل هذا الفصل. ولكننا جمعنا هنا أهمها لنقول: إن هذه الأقوال المتعددة والمختلفة التي وردت في ولادة الخضر - عليه السلام - لا يحتج بها، وإنه لم يرد فيها نص، وبذلك تكون الروايات أيضاً غير صالحة للاحتجاج.

فما ورد أنه دفن آدم بعد الخروج من الطوفان، فنالته دعوة أبيه آدم بطول الحياة بعيداً^(٣).

وقد ذكر صاحب (نزهة المجالس)^(٤) أخباراً وقصصاً عن حياته، منها ما ذكره عن مقاتل: أن إبراهيم - عليه السلام - كان بفلسطين، فسمع صوتاً، فقيل: ما هذا؟ قال: ذو القرنين. فقال لرجلٍ: اذهب إليه فأقرئه مني السلام. فلما جاءه

(١) انظر الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٥٧٤ وانظر أيضاً البحر المحيط ج ٦ ص ١٤٤.

(٢) انظر قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٢٩٦. وانظر الرد الشافي على هذه الأقوال في روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢١.

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٦ وروح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢.

(٤) انظر الكلام على كتاب نزهة المجالس، وبيان نكارة بعض الأحاديث التي وردت فيه في كتاب (الحاوي للفتاوي) للإمام السيوطي ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٨.

قال: الخليل ههنا؟ قال: نعم. فنزل عن فرسه. فقيل له: بينك وبينه مسافة بعيدة. فقال: ما كنت لأركب بأرض فيها خليل الله. فقام له إبراهيم، وسلم عليه، وأهدى له بقرًا وغنمًا. وجعل له ضيافة. وكان الخضر صاحب لوائه العظيم^(١). وذكر أنه لما مات ذو القرنين، اجتمع الخضر بموسى - عليهما السلام - وكان من أمرهما ما ذكره الله في كتابه العزيز^(٢).

وهناك رواية اشتهرت بين الناس، تذكر لقاء الخضر برجل مكاتب عندما كان في سوق بني إسرائيل، نوردها كما نقلها ابن كثير في تاريخه:

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي، حدثنا بقية بن الوليد، عن محمد بن زياد، عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ألا أحدثكم عن الخضر؟ قالوا: بلى يا رسول الله!. قال: بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل، أبصره رجل مكاتب فقال: تصدق علي. بارك الله فيك. فقال الخضر: آمنت بالله، ما شاء الله من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيكه. فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت علي. فإني نظرت إلى السماء في وجهك، ورجوت

(١) نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٠٤.

(٢) نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٠٥.

البركة عندك. فقال الخضر: آمنت بالله. ما عندي من شيء أعطيكه، إلا أن تأخذني فتبيعني. فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، الحق أقول لك، لقد سألتني بأمر عظيم. أما إني لا أخيك بوجه ربي. بعني. قال: فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم. فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء. فقال له: انك ابتعتني التماس خير عندي، فأوصني بعمل. قال: أكره أن أشق عليك. إنك شيخ كبير ضعيف. قال: ليس يشق علي. قال: فانقل هذه الحجارة. وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم. فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف، وقد نقل الحجارة في ساعة. فقال: أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطقه. ثم عرض للرجل سفر فقال: إني أحسبك أميناً، فاخلفني في أهلي خلافة حسنة. قال: فأوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشق عليك. قال: ليس تشق علي. قال: فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك. فمضى الرجل لسفره، فرجع وقد شيد بناؤه. فقال: أسألك بوجه الله، ما سبيلك وما أمرك؟!.. فقال: سألتني بوجه الله، والسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية، سأخبرك من أنا. أنا الخضر الذي سمعت به!! سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيته. فسألني بوجه الله فأمكنته من رقبتني، فباعني. وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر، وقف يوم القيامة جلده لا لحم له ولا عظم، يتعقعق. فقال الرجل: آمنت بالله. شققت عليك يا نبي الله! ولم أعلم. فقال: لا بأس، أحسنت وأبقيت. فقال الرجل: بأبي وأمي يا نبي الله!

احكم في أهلي ومالي بما أراك الله . أو أخيرك فأخلي سبيلك ؟
فقال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي . فخلي سبيله . فقال
الخضر: الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني منها^(١) .

ولكن ما درجة هذا الحديث من الصحة؟ .

يقول ابن كثير: هذا حديث رفعه خطأ، والأشبه أن يكون
موقوفاً^(٢) . وفي رجاله من لا يعرف، والله أعلم^(٣) .

وقد رواه ابن الجوزي في كتابه (عجالة المنتظر في شرح حال
الخضر) من طريق عبد الوهاب ابن الضحاك . وهو متروك،
عن بقية بن الوليد^(٤) .

ثانياً: إلقاءه بإلياس - عليها السلام -

وردت أخبار كثيرة، وروايات متعددة، عن حقيقة حياة
إلياس والخضر - عليهما السلام - وكونهما ذوي قرابة أم لا؟
ومدى صحة لقاءهما ببعض...^(٥) .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) الموقوف هو ما أضيف إلى الصحابة - رضوان الله عليهم - ولم يتجاوز إلى
رسول الله ﷺ سمي موقوفاً لأنه وقف به عند الصحابي ولم يرتفع إلى
النبي ﷺ انظر منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر .
ص ٣٠٥ .

(٣) انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٠ .

(٤) انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٠ .

(٥) انظر بعض ما ورد من لقاءات إلياس عليه السلام بالناس في (إنحاف
السادة المتقين في شرح أسرار علوم الدين ج ٥ ص ٧٠ . وفي فتاوى الإمام =

إلا أن الإشكال هنا هو في حياة إلياس - عليه السلام - .
فقد ذكرنا بعض ما ورد في سبب حياة الخضر، والرد عليه،
أما إلياس - عليه السلام -، فما دليل بقائه وخلوده؟ .

وإذا تحققنا من حياته أو موته فإن الإشكال يحل . . وسترى
معي أنه لم يرد أي حديث صحيح يبين حياة إلياس، أو
التقاؤه بالخضر - عليه السلام - .

أما الاختلاف فيحدث لعدم ورود دليل صحيح يقطع
الشك، ويصبح سيد الأقوال . . ونحن نورد هذه الأقوال
والروايات تكملة للبحث وتوضيحاً لما قلنا، وتبياناً لدرجاتها من
الصحة .

لقد اختلف في إلياس من هو؟ ! فقد أخرج ابن مردويه،
عن ابن عباس: أنه هو الخضر^(١)! . وأورد العلامة الألوسي
هذا الخبر وقال: إنه باطل^(٢) . وقيل: إنه والخضر أخوان^(٣) .
وقيل: إنه إدريس^(٤) . وقال الإمام الرملي في فتاويه: إنه إلياس
بن ياسين سبط هارون أخي موسى^(٥) .

= الرملي الذي بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي ص ٢٥٥ .

(١) انظر الفتح الكبير في ضمّ الزيادة إلى الجامع الصغير للجلال السيوطي
ج ٢ ص ١٠٥ والفتاوى الرملية ص ٢٢٣ .

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩ .

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣١ .

(٤) انظر فتاوى العلامة الرملي الذي بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر
ص ٢٢٣ .

(٥) فتاوى الرملي ٢٢٣ . وفتح العلام للجرذاني ج ١ ص ١١٠ .

وقد ذكرنا لك - عند الحديث عن بداية حياة الخضر - ما قيل من أنه أخو إلياس. وكان أبوهما ملكاً، وكيف أنه لم يتزوج رغم إلحاح أبيه^(١). وقلنا: إن ابن كثير لم يعلق عليها. وأورد صاحب روح المعاني ما يشبه هذه الرواية، إلا أنه ليس فيها ذكر إلياس - عليه السلام -^(٢).

وروى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن شوذب قال: الخضر ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل يلتقيان في كل عام بالموسم^(٣).

وذكرنا أن هناك من يقول بخلود إلياس - عليه السلام - كما قيل عن الخضر. فينقل العلامة الألوسي كلام صاحب الفتوحات المكية، قوله: (وأبقى الله تعالى بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام - من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار أربعة: إدريس، وإلياس، وعيسى، والخضر^(٤)). (وفي تفسير البغوي: أربعة من الأنبياء أحياء إلى يوم البعث؛ اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس. أي: وإلياس في البر والخضر في البحر، يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين بحرسانه، واثنان في السماء: إدريس وعيسى - عليهما السلام -)^(٥).

ويقول عمرو بن دينار: إن الخضر وإلياس لا يزالان حين

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣١.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ١٨٨.

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٨.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٩٨.

في الأرض ما دام القرآن، فإذا رفع ماتا^(١).

وقد اشتهر بين العامة والمحدثين خبر لقاء الخضر بإلياس -
عليهما السلام - في موسم الحج كل عام... ويفترقان عن
كلمات يدعوان بها. وسترى معي التحقيق المفصل لهذا
الخبر. والرواية كالتالي:

يقال: إن الخضر وإلياس إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا
إلا عن هذه الكلمات: ﴿بِسْمِ اللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ. مَا شَاءَ اللَّهُ. الْخَيْرُ كُلُّهُ
بِيَدِ اللَّهِ. مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ﴾. فمن قالها
ثلاث مرات إذا أصبح، أَمِنَ من الحرق والغرق والسرق إن
شاء الله^(٢).

وعلق مصنف (إنحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء
علوم الدين) على هذا الخبر فقال: هكذا ساقه في
(القوت)^(٣). وهو في فوائد أبي إسحق المزكي، تخريج الدار
قطني، قال: حدثنا محمد بن إسحق بن خزيمة، حدثنا محمد
ابن أحمد بن ربوة، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا الحسن بن
رزين، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: لا أعلمه

(١) انظر الدرر النقية في المطالب الفقهية ص ١٤٢ وفتاوى الإمام الرملي
ص ٢٢٣.

(٢) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ١ ص ٣١٦. دار
المعرفة - بيروت. وتفسير القرطبي ج ١١ ص ٤٣ ومفرج الكرب ليوسف
النبهاني. القسم الأول ص ١١٥.

(٣) (قوت القلوب) هو كتاب في التصوف من تصنيف أبي طالب المكي.

إلا مرفوعاً^(١) إلى النبي ﷺ .. قال : يلتقي .. فساقه . قال الدارقطني في (الأفراد) : ثم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن بن رزين . وقال العقيلي : لم يتابع عليه ، وهو مجهول ، وحديثه غير محفوظ . وقال أبو الحسين المنادي : وهو واهٍ بـ (الحسن) المذكور . قال الحافظ : وقد جاء من غير طريقه ، لكن من وجه واهٍ جداً . أخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار ، حدثنا محمد بن مهدي بن هلال ، حدثني ابن جريج ، فذكره بلفظ : يجتمع البري والبحري ؛ إلياس والخضر - عليهما السلام - كل عام بمكة . قال ابن عباس : بلغنا أنه يخلق كل منها رأس صاحبه ويقول أحدهما للآخر : قل : بسم الله^(٢) . . . الخ .

وقال العلامة الزبيدي أيضاً : أخرجه أبو ذر الهروي^(٣) في مناسكه ، عن ابن عباس بلفظ : (يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم ، فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه ، ويفترقان عن هذه الكلمات : ﴿بسم الله ، ما شاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله . ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله ،

(١) الحديث المرفوع هو ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة ، من قول أو فعل أو تقرير ، متصلاً كان أو منقطعاً ، بسقوط الصحابي منه أو غيره . انظر أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ٣٥٥ الطبعة الثانية .

(٢) تحاف السادة المتقين للعلامة الزبيدي ج ٥ ص ٦٩ .

(٣) هو أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفیر الأنصاري ، الحافظ الهروي ، ثم المكي المعروف بابن السماك المالكي . توفي بمكة سنة (٤٣١) . من تصانيفه : تفسير القرآن . المستدرک علی صحیح البخاري ومسلم . مناسك الحج . دلائل النبوة . انظر هدية العارفين ج ١ ص ٤٣٧ .

ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله^(١). أما تكملة الخبر: فمن قالها ثلاثاً إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرقة. فقد قال مصنف شرح الإحياء: هكذا لفظ (القوت)^(٢). ولفظ أبي ذر: فمن قالها حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات، عوفي من السرقة والحرق والغرق. قال: وأحسبه من السلطان والشيطان والحية والعقرب^(٣).

وفي كتاب (الفتوحات الوهبية) يقول المصنف إبراهيم بن مرعي بن عطية: أخرج ابن عدي في (الكامل) والدارقطني في (الأفراد) والعقيلي وابن عساكر قال: قال رسول الله ﷺ: «يلتقي الخضر مع إلياس في كل عام في الموسم..» وساق الخبر كما سبق وقال: وفي بعض الروايات زيادة: العلي

(١) اتحاف السادة المتقين ج ٥ ص ٦٩.

(٢) كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تأليف أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي. توفي ببغداد سنة (٣٨٦) ويصرح صاحبه أنه ينقل من الإسرائيليات. انظر مثلاً الجزء الأول من الكتاب ص ١٩٢، ٣٦٩، ٣٨١. شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. قالوا: لم يصنف مثله في دقائق الطريقة. ولمؤلفه كلام في هذه العلوم لم يسبق إلى مثله، اختصره الشيخ الإمام محمد ابن خلف الأموي الأندلسي المتوفى سنة (٤٨٥) وسماه الوصول إلى الغرض المطلوب من جواهر قوت القلوب. انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٦١.

(٣) انظر اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، تصنيف العلامة، السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المشهور بمرتضى ج ٥ ص ٦٩. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

العظيم^(١). قال: وإسناد هذا الحديث ضعيف^(٢)، لأن فيه الحسن بن رزين، وهو ضعيف. وأخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار، عن محمد بن مهدي بن هلال، وزاد قال: قال ابن عباس: (ما من عبد قالها في كل يوم ثلاث مرات إلا أمن من الحرق والغرق والسرق والسلطان والحية والعقرب حتى يمسي، وكذلك حتى يصبح)^(٣). وساق الحافظ ابن كثير هذا الحديث. وأورد النقد على السند، كما ذكره صاحب شرح الإحياء، وذكر أيضاً قول أبي أحمد بن عدي في الحسن بن رزين، وأنه ليس بالمعروف^(٤).

وأورد ابن حجر في فتح الباري هذا الخبر للدارقطني وقال: أخرجه في (الأفراد). وذكر أن في إسناده محمد بن أحمد بن زيد وهو ضعيف^(٥). وقد ورد الدعاء مرة أخرى في الإحياء^(٦) ﴿بسم الله ما شاء الله..﴾ وحقق العلامة العراقي في إسناده، فقال بعد أن أورد الخبر: (عُدَّ في الكامل من حديث ابن

(١) أي: بعد لا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) الحديث الضعيف: هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات القبول. وقال أكثر العلماء: هو ما لم يجمع صفة الصحيح والحسن. انظر أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ٣٣٧.

(٣) انظر الفتوحات الوهية بشرح الأربعين حديثاً النبوية للشيخ إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي المالكي ص ١٣٩ الطبعة الأولى.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٣٣ وانظر الخبر في روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢.

(٥) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

(٦) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٢٧-٣٢٨.

عباس، ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس - عليهما الصلاة والسلام - كل عام بالموسم بمى فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه، فيفترقان عن هذه الكلمات». فذكره ولم يقل: «الخير كله بيد الله» قال: موضعها: «لا يسوق الخير إلا الله». قال ابن عباس: من قاله حين يصبح وحين يمسي آمنه الله من الغرق والحرق. وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب. أورده في ترجمة الحسن بن رزين قال: ليس بالمعروف، وهو بهذا الإسناد منكر^(١).

ونرى أن صاحب (أسنى المطالب) يورد الخبر فيقول: (ورد أنه يجتمع مع إلياس - عليه السلام - كل عام في الموسم، ولكنه سند لم يصح. وقال المناوي: ضعيف. وقال ابن حجر والسخاوي: منكر. وعلى فرض صحته فيدل حياة إلياس وهو باطل أيضاً)^(٢). وقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده، عن أنس مرفوعاً، ولفظه: (إن الخضر في البحر وإلياس في البر، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين). وقد قالوا: إن سنده وإه. وروى مثل هذا عن العلامي في

(١) انظر المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الذي بهامش إحياء علوم الدين للإمام العراقي ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب لمحمد بن سيد درويش ص ٢٩٦. وبالغ المؤلف - رحمه الله - في مكان آخر من كتابه فقال: (ولم يصح في حياته شيء ولا اجتماعه بإلياس كل عام ويلزم عليه أن يكون إلياس حياً ولم يقل هذا أحد من أهل الإسلام) ص ١١٤. وأنت تعلم بأنه قد قيل في ذلك أقوال وأخبار. ولكنها لم تصح.

تفسيره^(١). وتكملة حديث أنس - كما هو في الفتح الكبير -:
(يجتمعان في كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين
الناس، وبين يأجوج ومأجوج ويحجان ويعتمران كل عام،
ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل). أخرجه
الحارث^(٢).

وروى مثل هذا ابن عساكر من طريق هشام بن خالد، عن
الحسن بن يحيى عن ابن أبي رواد نحوه. وزاد: (ويشربان من
ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل). وهذا معضل^(٣). ورواه
أحمد في الزهد بإسناد حسن، عن ابن أبي رواد. وزاد: أنها
يصومان رمضان ببيت المقدس. وروى الطبري من طريق عبد
الله بن شوذب نحوه^(٤).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٥. وتفسير العلامي اسمه: فتح المنان في تفسير
القرآن. وهو كبير (في أربعين مجلداً) للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود
الشيرازي المتوفى سنة (٧١٠). انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٢٣٥ وانظر
ترجمته وتصانيفه في هدية العارفين ج ٢ ص ٤٠٦.

(٢) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ج ٢ ص ١٠٥ وهما
للجلال السيوطي. جمع وترتيب يوسف النهائي نشر دار الكتاب العربي.

(٣) الحديث المعضل: هو ما سقط من إسناده اثنان أو أكثر في موضع واحد،
سواء في أول السند أو وسطه أو منتهاه. سمي بذلك لأن الحديث يسقط
واحد يصير مردوداً. فإذا سقط منه اثنان أو أكثر كان أمره أشد، فكان
المحدث بهذا الإسقاط أعضله أي: أعياه فلم ينتفع به من يرويه عنه. انظر
منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٤) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣١١ وانظر أيضاً الحديث الذي أخرجه ابن
عساكر وقوله فيه: (لا أعلمه مرفوعاً). في تحاف السادة المتقين بشرح
أسرار إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٧٩. وانظر كتاب فتاوى العلامة =

وهناك أقوال وحكايات أكثر غرابة. فقد أخرج أبو ذر الهروي، عن علي - رضي الله عنه - قال: يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر - عليهم السلام - فيقول جبريل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. فيرد عليه ميكائيل فيقول: ما شاء الله، كل نعمة من الله. فيرد عليهما إسرافيل فيقول: ما شاء الله. الخير كله بيد الله. فيرد عليهم الخضر فيقول: ما شاء الله، لا يرفع السوء إلا الله. ثم يفترقون فلا يجتمعون إلى قابل في مثل ذلك اليوم^(١). وأخرج الحديث أيضاً ابن الجوزي في (مثير العزم) عن علي أيضاً^(٢). وقال ابن كثير: وقد روى ابن عساكر نحوه من طريق علي بن الحسن الجهضمي - وهو كذاب - عن ضمرة بن حبيب المقدسي، عن أبيه، عن العلاء بن زياد القشيري، عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً قال: يجتمع كل يوم عرفة بعرفات، جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر. وذكر حديثاً طويلاً موضوعاً^(٣) تركنا إيراده قصداً، والله الحمد^(٤).

= شمس الدين محمد بن العلامة شهاب الدين أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي ص ٢٢٤ - ٢٢٥ الطبعة الميمنية. وانظر كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ٢٣٠ طبعة ١٣٩٨.

(١) انظر اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ج ٥ ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) اتحاف السادة المتقين ج ٤ ص ٣٧٩.

(٣) الحديث الموضوع: هو ما نسب إلى الرسول ﷺ اختلاقاً وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يقره. انظر أصول الحديث للدكتور الخطيب ص ٤١٥.

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٣. وانظر في الجزء الخامس من اتحاف السادة =

ثالثاً: لِقَاؤُهُ بِمُوسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -

.. إنه نبع من كتاب الله الخالد.. فيه صحة الإيمان وبرد اليقين.. وفيه راحة الفكر واطمئنان القلب، الذي لا شك بعده.. وفيه من روعة البيان وجلال المعنى ما يفيض القلب ثقة وابتهاجاً وإجلالاً:

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن..﴾^(١).

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى علينا بهذا القرآن العظيم، ووضع فيه عبراً وعظات كثيرة، من حوادث سالفة، لتتعظ بها، وتستفيد منها: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً. من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾^(٢).

فهل يعتبر الغافلون؟ وهل ينتبه النائمون؟.

ألا ما أكثر العير وما أقل الاعتبار!!.

= المتقين ص ٧٠ لقاء بين رجل من عسقلان وبين إلياس، والحوار الذي دار بينهما... أخرجه أبو ذر الهروي والرواية أقرب ما تكون إلى عدم الصحة، إذ أنه لا يعرف من هو هذا الرجل الذي من عسقلان. وانظر قصة أخرى في (نزهة المجالس). الجزء الثاني ص ٥٠٨ ذكرت فيها رؤية الخضر وإلياس بصورة عجيبة. وانظر تحقيقاً مبسطاً عن اللقاء الخضر بإلياس في كشف الخفاء ج ١ ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) طه (٩٩ - ١٠٠).

(١) يوسف (٣).

.. سيظل هذا القرآن يشعُّ بنور آياته على الناس، وإن صموا وعموا. . سيقى هذا المنهل الطاهر الصافي رمز الأمانة والفترة..

وسيقى ناهلوه أصحاب العقيدة الصحيحة والمبدأ السليم..

﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾^(١).

إن قصة موسى والخضر - عليهما السلام - وهذا الحوار الجميل، والحوادث العجيبة التي جرت بينهما تعطي طبيعة خاصة، وأسلوباً فريداً جذاباً..

وهذه الظواهر الغريبة، تدهش القارئ في البداية، ولكن نتائجها تريحه في النهاية!!

ولن أطيل عليك الحديث.. فقد مرت بك القصة، ومرّ تفسير آياتها بشكل مسهب. ولكن لا بد للمحات بارزة تكون تكملة لهذا الفصل.

إن أصح شيء في هذا الباب هو هذا الموضوع المذكور في القرآن الكريم، والذي وردت فيه أحاديث شريفة وتفسيرات وأقوال العلماء الأجلاء، يمكن استنتاجها والوقوف عليها. وربما ابتدرتنا ملاحظة منذ بداية القصة وهي أننا نلاحظ أن قصص موسى - عليه السلام - تتكرر غالباً في القرآن الكريم إلا هذه القصة.

(١) الأعراف ١٧٦.

ف (هذه الحلقة من سيرة موسى - عليه السلام - لا تذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضوع من هذه السورة)^(١).

وأعتقد أن السبب في عدم تكرار القصة عائد إلى أن هذه الفترة القصيرة والمميزة من حياة موسى - عليه السلام - كانت لسبب طارئ. أخذ فيها موسى درساً وكفى.. وانتهى به الأمر إلى الاعتراف المستين. كما أن هذه الحادثة الغريبة تعد طرفاً شخصياً في حياة الدعوة الحقيقية التي بعث من أجلها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فكانه شيء شخصي لا حاجة لتكراره.. وإن كانت الفائدة واضحة. والعبرة ظاهرة لمن أراد أن يعتبر..

وسبب لقاء موسى بالخضر - عليهما السلام - كما أخرجه الشيخان وغيرهما، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن أبي بن كعب: أن موسى - عليه السلام - قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه سبحانه، فأوحى الله تعالى إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك^(٢). الحديث. وقد مرت بك روايات أخرى فيما سبق.

والصحيح أن العبد الصالح الذي ذكره الله تعالى في سورة الكهف والذي صحبه موسى - عليه السلام - هو الخضر^(٣).

(١) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب ج ٥ ص ٣٩٥ ط ٥.

(٢) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٧ وروح المعاني للآلوسي البغدادي ج ١٥ ص ٣١٣.

(٣) وللتأكيد من ذلك انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ وج ٨ ص ٣١٥ =

ومن ذهب إلى غير ذلك فهو ضعيف أو شاذ أو باطل^(١). ولكن لم يرد ذكر اسمه في القرآن الكريم. يقول صاحب الظلال - رحمه الله تعالى -: (لا يذكر القرآن شيئاً عن العبد الصالح الذي لقيه موسى من هو؟ وما اسمه؟ هل هو نبيٌّ، أو رسول، أو ولي)^(٢). وإذا دار بخلدنا أن نسأل عن سبب عدم إيراد القرآن للأسماء في القصة، فالجواب كما يقول صاحب الظلال: (ونعتقد أن لعرضها على النحو الذي عرضت به دون زيادة ودون تحديد للمكان والزمان حكمة خاصة، فنقف عند النص القرآني نتملاه)^(٣).

وتورد لنا الأحاديث كيفية رؤية موسى - عليه السلام - للخضر، والهيئة التي كان عليها عندها رآه. ففي صحيح البخاري: «حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب - أي: مغطى به - مستلقياً على قفاه في جزيرة، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم»^(٤). وفي رواية أخرى له: «فوجدنا خضراً». قال ابن جريج: قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر. قال سعيد بن

= وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨٠ وج ٧ ص ٢١٨ وانظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٢ و ٩٦.

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣١٥.

(٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٧٧ طبعة دار الشروق.

(٣) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٧٧ دار الشروق.

(٤) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٣١٦ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٣٨١ - ٣٨٢.

وج ٧ ص ٢١٨ وانظر التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٨ - ١٦٩.

جبير: مسجى بثوبه، قد جعل طرفه تحت رجله، وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه^(١).

ويفهم من أحاديث صحيحة أخرى، أن الخضر كان معروفاً في ذلك الوقت وأنه كان يلتقي بالناس، وأنهم كانوا يحترمونه ويجلونه، فقد أخرج الشيخان والترمذي: «فانطلقا يمسيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول»^(٢) أي: أجرة. وفي رواية للبخاري: «فانطلقا يمسيان على الساحل فمرت بهما سفينة فعرف الخضر فحملوهم في سفينتهم بغير نول»^(٣). وفي رواية أخرى له: «حتى إذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغاراً تحمل أهل الساحل إلى أهل الساحل الآخر، عرفوه»^(٤). فقالوا: عبد الله الصالح^(٥). وفي الحديث الذي أخرجه الطبري: (.. فإذا بملاح في سفينة فعرف الخضر فحملة بغير نول)^(٦). قال: فهذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه^(٧).

وقد رأى موسى - عليه السلام - في هذه الرحلة العجائب

(١) انظر إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٣.

(٢) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٩.

(٣) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٨.

(٤) أي: أن أهل السفينة عرفوا الخضر.

(٥) إرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢٤.

(٦) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ج ١ ص ١٨٩.

(٧) تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ١٩٤.

والمصاعب.. لقد اصطدم برجل ذي علم خاص، وشخصية غريبة الأطوار.. فتراه ينكر على الخضر مرة، ليعود وينكر عليه مرة أخرى، رغم تذكير الخضر له بالشرط.. فهو لم يكن ليصبر، بل كانت تأخذه دهشة العجب إلى الإسراع في الإنكار، ويصرح له موسى بأن عمله هذا في غير موضعه.. إلا أن يطمئن أخيراً عندما يبين له الخضر ما مرّ به، ويرد الإشكال، ويسلم موسى الأمر، لأنه سمع الخضر يقول: «وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً».

وقد أظهر موسى أثناء لقائه بالخضر - عليهما السلام - تواضعاً غريباً، ليكون درساً عميقاً لقومه، ولمن أراد أن يتعلم بعدهم.

والقصة مملوءة بالغرائب والمفاجآت.. وكذلك بالعبر والفوائد التي جمعناها لك في غير هذا الموضع.

ولكن من أين أتى الخضر؟ وأين ذهب في ختام القصة؟!.. نحن لا ندري!! إنه (في دهشة السر المكشوف والستر المرفوع يخنفي الرجل من السياق كما بدأ، لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول)^(١).

ولغرابة هذه القصة وظرافتها، فقد تمنى رسول الله ﷺ متابعة موسى للحوادث، وعدم مراجعة الخضر.. ففي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: «وددنا أن موسى كان صبر حتى

(١) في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٢٧٧ طبعة دار الشروق.

يقص الله علينا خبرهما» إذ لو صبر لرأى أعجب الأعاجيب^(١).
 ولكن القصة تنتهي. . ويتعظ منها العقل بأن يرتد خاسئاً
 عن علم الغيب وهو حسير. . وليعلم أن هناك حقائق كثيرة في
 هذا الكون تغيب عن فكره القاصر. . ولكن مع نهاية القصة
 يبدأ شيء جديد عن الخضر. . إنه هذا الخلاف عنه وعن
 حقيقة حياته، ولقاءاته بالناس!

رابعاً: ما ورد عن لقاءه بالرسول ﷺ

اعتقد أن تحقيقي هذا الأمر سهل، وذلك لأن علماءنا -
 جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء - لم يدعوا رواية
 أو خبراً أو حكاية، أو أي كلام أسند إلى رسول الله ﷺ إلا
 أجالوا فيه النظر، ومحصوا فيه الفكر، ونظروا الى الحديث،
 متنه وسنده، فدرسوهما بدقة عجيبة، ووضعوا لذلك ضوابط
 وموازين ساروا عليها، ودونوها في الكتب، حتى لم يبقوا لأي
 باحث أو ناقد مجالاً للشك أو الطعن في كيفية التحقيق،
 جرحاً، أو تعديلاً، أو تدويناً. . الخ.

وفي هذا المجال: التحقيق في الأخبار التي وردت عن لقاء
 الخضر برسول الله ﷺ ومدى صحة ما قيل من تعلمه منه أو
 روايته عنه، والتعليق على كل ذلك ومناقشته.

(١) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٣٢٢-٣٢٣ وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢٢١.
 وج ٥ ص ٣٨٣ والتاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٧٠.

ونحن في هذا المجال، لا نتعرض للأدلة والردود عليها، وإنما مهمتنا هنا أن نورد الروايات التي ذكرت، ونبين درجتها وآراء العلماء فيها، حسب توفر المصادر لدينا. وربما استطعنا أن نخرج من هذا البحث بنتيجة، وهي:

إن صحت الروايات - ولو رواية واحدة - فإننا نطمئن الى حياة الخضر - عليه السلام - على الأقل. أما إذا لم تصح الروايات، فلا دليل صحيح يذكر بعدها.

لكننا سنرى أنه لم يرد أي حديث صحيح يثبت هذا اللقاء، مع أن بعض المحدثين عده في عداد الصحابة.

روى ابن عساكر، عن أبي داود الأعمى نفي - وهو كذاب وضاع - عن أنس بن مالك، ومن طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف - وهو كذاب أيضاً -، عن أبيه، عن جده: أن الخضر جاء ليلة فسمع النبي ﷺ وهو يدعو ويقول: اللهم! أعني على ما ينجيني مما خوفتني، وارزقني شوق الصالحين الى ما شوقتهم إليه. فبعث إليه رسول الله، أنس بن مالك، فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: قل: إن الله فضلك على الأنبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل أمتك على الأمم كما فضل يوم الجمعة على غيره. الحديث. وهو مكذوب لا يصح سنداً ولا متناً^(١).

وقد قال الحافظ أبو الحسين بن المنادي بعد إيراد حديث أنس هذا: وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣١.

الإسناد^(١)، وسقيم المتن، يتبين فيه أثر الصنعة^(٢).

والحديث أخرجه ابن عدي أيضاً، وضعفه ابن حجر العسقلاني، وقال: إن ابن عساكر روى من حديث أنس نحوه بإسناد أوهى من الحديث الذي سبقه^(٣). وفي الجزء الأول من إحياء علوم الدين^(٤): روى^(٥) عن كرز بن وبرة^(٦) - وكان من الأبدال^(٧) - قال: أتاني أخ لي من أهل الشام، فأهدى لي هدية وقال: يا كرز! اقبل مني هذه الهدية، فإنها نعمت الهدية. فقلت: يا أخي! ومن أهدى لك هذه الهدية؟ قال: أعطانيها إبراهيم التيمي. قلت: أفلم تسأل من أعطاه إياها؟ قال: كنت جالساً في فناء الكعبة، وأنا في التهليل والتسبيح

(١) الحديث المنكر هو ما رواه الضعيف مخالفاً للثقات، ومن ثم كان شرط المنكر تفرد الضعيف والمخالفة، انظر أصول الحديث للدكتور الخطيب ص ٣٤٨.

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣١.

(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٠ - ٣١١.

(٤) ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٥) رواه عن كرز سعد بن سعيد عن أبي طيبة الجرجاني واسمه عيسى بن سليمان - عن شرح الإحياء ج ٥ ص ١٣٤.

(٦) الحارثي.

(٧) ترجمه أبو نعيم في الحلية فقال: كان يسكن جرجان. كوفي الأصل. له الصيت البليغ والمكان الرفيع في النسك والتعبد. كان يغلب عليه المؤانسة والمساعدة. روى عن طاووس، وعطاء، والربيع بن خيثم، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم. وعنه: محمد بن عطية، وأبو طيبة الجرجاني، ومحمد بن سوقة، وابن المبارك، وفضيل بن غزوان، وأبو سليمان المكتب وأبو شبرمة وغيرهم. عن شرح الإحياء ج ٥ ص ١٣٤.

والتحميد والتمجيد، فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني، فلم أر في زماني أحسن منه وجهاً، ولا أحسن منه ثياباً، ولا أشد بياضاً، ولا أطيب ريحاً منه. فقلت: يا عبد الله! من أنت، ومن أين جئت؟ فقال: أنا الخضر. فقلت: في أي شيء جئتني؟ فقال: جئتك للسلام عليك. وحباً لك في الله. وعندني هدية أريد أن أهديها لك. فقلت: ما هي؟ قال: أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة ﴿الحمد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وآية الكرسي. كل واحدة سبع مرات، وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، سبعاً، وتصلي على النبي ﷺ سبعاً، وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعاً، وتقول: اللهم! افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل. ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور حلیم، جواد كريم، رؤوف رحيم، سبع مرات. وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية. فقلت: أحب أن تخبرني من أعطاك هذه الهدية العظيمة؟ فقال: أعطانيها محمد ﷺ فأسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك. فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءتة واحتملته حتى أدخلوه الجنة. فرأى ما فيها، ووصف أموراً عظيمة مما رآه في الجنة. قال: فسألت الملائكة فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: للذي يعمل مثل عملك. وذكر أنه أكل من ثمرها، وسقوه من شرابها. قال: فأتاني النبي ﷺ

ومعه سبعون نبياً، وسبعون صفاً من الملائكة، كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب. فسلم علي وأخذ بيدي، فقلت: يا رسول الله! أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث. فقال: صدق الخضر، صدق الخضر، وكل ما يحكيه فهو حق، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله تعالى في الأرض. فقلت: يا رسول الله! فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي، هل يعطى شيئاً مما أعطيت؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبياً، إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة. إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها، ويرفع الله تعالى عنه غضبه، ومقتته، ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة؛ والذي بعثني بالحق نبياً، ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيداً، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيماً.

وبعد أن نقل مصنف شرح الإحياء هذه الرواية قال: ذكره الأعمش عنه هذا بعينه سياق صاحب (القوت) من أوله إلى آخره. ونقله عنه أيضاً صاحب العوارف^(١) مختصراً. . ورواه

(١) كتاب (عوارف المعارف) في التصوف للشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر ابن محمد بن عبد الله السهروردي المتوفى سنة (٦٣٢) وعليه تعليقة للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة (٨١٦) وترجمة (العارفي) بالتركي، وظهر الدين عبد الرحمن بن علي الشيرازي بالفارسي، والشيخ عز الدين محمود بن علي الكاشي النطنزي أيضاً بالفارسي المتوفى سنة (٧٣٥) واختصره محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي المتوفى سنة (٦٩٤) وتخرّيج أحاديثه للشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفى سنة (٨٧٩). انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١١٧٨.

ابن عساكر في التاريخ من طريق عمر بن فروخ، عن عبد الرحمن بن حبيب، وعن سعد بن سعيد، عن كرز بن وبرة، بطوله.

وقال العراقي: حديث كرز بن وبرة، عن رجل من أهل الشام، عن إبراهيم: أن الخضر علمه المسبعات العشر. وقال في آخرها: أعطانيها محمد ﷺ. ليس له أصل^(١). قلت - القول للعلامة الزبيدي -: وهي مسألة شهيرة الاختلاف بين المحدثين والسادة الصوفية؛ والكلام عليها طويل الذيل. وقد أورد الحافظ ابن حجر طرفاً منه في الإصابة في ترجمة الخضر - عليه السلام - وهذا أيضاً على قواعد المحدثين لا يستقيم، فإنها رؤيا منامية. وسعد بن سعيد الجرجاني مجهول، لا يدري من هو^(٢). . . إلا أن الزبيدي قال أخيراً: ولكن مثل هذا يغتفر في فضائل الأعمال، لا سيما وقد تلقته الأمة بالقبول. . والله أعلم^(٣).

ولعمري لو أن أمثال هذه الرؤى المنامية قبلناها ورضينا بها لطفحت كتبنا بالأحلام والخيالات. . . وإذا كان قبول الأمة لأمثال هذه الأخبار فلا يعتد بها إلا من لا يعرف أصول التحقيق والتصحيح. . . لأن العلماء المحدثين منهم والمؤرخين، يرفضون أمثال هذه الروايات، ولا يعتمدونها، بل ينصحون بقبول الصحيح.

(١) انظر الهامش في إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٣٦.

(٢) تحاف السادة المتقين ج ٥ ص ١٣٥.

(٣) تحاف السادة المتقين ج ٥ ص ١٣٥.

أما إذا كان المقصود أن الأمة قد قبلت بقاء الخضر والتقاءه بالناس، فهو صحيح من حيث العامة . .

وقد جاء في الجزء الأول من إحياء علوم الدين أيضاً: قال كرز بن وبرة - وهو من الأبدال - : قلت للخضر - عليه السلام -: علمني شيئاً أعمله في كل ليلة. فقال: إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تكلم أحداً، واقبل على صلاتك التي أنت فيها، وسلم من كل ركعتين، وقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و﴿قل هو الله أحد﴾ سبع مرات في كل ركعة، ثم اسجد بعد تسليمك، واستغفر الله تعالى سبع مرات، وقل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبع مرات، ثم ارفع رأسك من السجود، واستوجالساً، وارفع يديك وقل: يا حي! يا قيوم! يا ذا الجلال والإكرام! يا إله الأولين والآخرين! يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما! يا رب! يا رب! يا الله! يا الله! ثم قم وأنت رافع يديك، وادع بهذا الدعاء، ثم نم حيث شئت، مستقبل القبلة على يمينك، وصل على النبي ﷺ وادم الصلاة عليه، حتى يذهب بك النوم. فقلت له: أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا؟ فقال: إني حضرت محمداً ﷺ حيث علم هذا الدعاء، وأوحى إليه به. فكنت عنده، وكان ذلك بمحضر مني، فتعلمته ممن علمه إياه^(١).

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٥٢.

وقد نقل العلامة الزبيدي في شرحه للإحياء سند هذه الرواية فقال: وقال صاحب (القوت): رويانا عن عبد الرحمن ابن منصور، عن سعد بن سعيد، عن كرز بن وبرة.. وبعد تمام الرواية قال: هكذا أورده صاحب القوت بتمامه. وتقدم أن سعد بن سعيد الجرجاني قال فيه البخاري: إنه لا يصح حديثه.. ولذا قال العراقي في تخريج هذا الحديث: باطل لا أصل له^(١). ونقل هذا الخبر الحافظ ابن حجر العسقلاني عند شرحه لأحاديث البخاري، نقله من رواية ابن عساكر. وفي نهاية الحديث: فعلمه شيئاً إذا فعله رأى النبي ﷺ في المنام. وقال فيه: في إسناده مجهول وضعيف^(٢).

هل يُعدُّ الخضر من الصحابة؟

قال الإمام الباجوري: الصحابي هو من اجتمع مؤمناً بالنبي ﷺ بعد نبوته في حال حياته، اجتماعاً متعارفاً، بأن يكون في الأرض على العادة، بخلاف أن يكون في السماء، أو بين السماء والأرض، والموت على الإسلام شرط لدوام الصحة^(٣).

وأورد الشيخ سليمان البجيرمي - في مبحث معنى الصحابي - قول بعضهم: إن الخضر - عليه السلام - اجتمع به ﷺ في

(١) اتحاف السادة المتقين ج ٥ ص ١٨١ وقول العراقي في إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٥٢. الهامش.

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

(٣) انظر حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي ج ١ ص ١٧.

الأرض على الوجه المعتاد^(١). وفي حاشية الباجوري على ابن قاسم أيضاً: «واعلم أن عيسى - عليه السلام - اجتمع به ﷺ في بيت المقدس بجسده وروحه. فهو صحابي، وكذا الخضر^(٢).. وقال صاحب روح البيان: (.. كذلك الخضر وإلياس - عليهما السلام - اجتماعاً متعارفاً، فهما صحابيان)^(٣).

وقال ابن قاسم في (الآيات)^(٤): (إن صح اجتماع النبي ﷺ بعيسى والخضر، فليس هذا من الاجتماع المعروف، بل من خوارق العادات)^(٥).

قال العلامة الألوسي: وقد عده جماعة من أرباب الأصول في الصحابة^(٦). وقال: وعندما لم يجد من قال بحياته سنداً صحيحاً يبين لقاء الخضر بالرسول ﷺ قال بعضهم: ونختار

-
- (١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب ج ١ ص ٣٧.
 - (٢) حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي للشيخ إبراهيم الباجوري على شرح ابن قاسم الغزي، على متن أبي شجاع في مذهب الإمام الشافعي. ومبحث الصحابي ج ١ ص ١٧.
 - (٣) انظر روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي ج ٢ ص ٥٠٦ طبعة ١٣٠٦.
 - (٤) كتاب (الآيات البيئات) في شرح جمع الجوامع للسبكي. للشيخ أحمد بن القاسم شهاب الدين العبادي، المصري. الأزهرى، الشافعي. توفي سنة (٩٩٤) انظر هدية العارفين ج ١ ص ١٤٩.
 - (٥) انظر تحفة الحبيب على شرح الخطيب المسمى بالافتتاح في حل ألفاظ أبي شجاع للشيخ سليمان البجيرمي ج ١ ص ٣٧.
 - (٦) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧.

أنه أتى وبإيع ولكن باطناً، حيث لا يشعر به أحد^(١)!

وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتابه: (التعريف والإعلام) عن البخاري وشيخه أبي بكر بن العربي، أنه أدرك حياة النبي ﷺ ولكن مات بعده، لحديث الصحيحين^(٢). إلا أن ابن كثير ردَّ قائلاً: وفي كون البخاري - رحمه الله - يقول بهذا، وأنه بقي إلى زمان النبي ﷺ نظر^(٣).

وقد عبّر العراقي عن مذهبه في لقاء الخضر بالنبي ﷺ في أكثر من موضع. ففي الجزء الأول من الإحياء قال: (ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه، ولا حياته، ولا موته)^(٤).

وقال العلامة الزبيدي في ذلك أيضاً: لم يثبت عند المحدثين في لقاء النبي ﷺ شيء، نفيًا، ولا إثباتًا^(٥).

وقال ابن قيم الجوزية: إن الأحاديث التي يذكر فيها الخضر - عليه السلام - وحياته كلها كذب^(٦). أما دعوى أن الخضر كان يأتي ويتعلم خفية لعدم أمره بذلك علانية لحكمه إلهية، فهو مما لم يقم عليها الدليل^(٧).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧.

(٢) حديث: «إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد».

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٤) ج ١ ص ٣٣٦ الهامش.

(٥) اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ج ٥ ص ١٨١.

(٦) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.

(٧) وكان هذا هروب من أسئلة وحجج من يرى عدم اجتماعه =

(على أنه لو كان كذلك لذكره ﷺ ولو مرة، وأين الدليل على الذكر؟) (١).

هل روى الخضر عن الرسول ﷺ؟

بعد هذا كله.. هل يقال: إن الخضر روى عن الرسول ﷺ الأحاديث؟! كل الدلائل تقول: لا..

(ولعل عدم قبول روايته لعدم القطع في وجوده وشهوده في حال رؤيته) (٢). حتى إن المحدثين الذين قالوا بحياته - عليه السلام - أجمعوا على أنه ليس له رواية عن النبي ﷺ، كما صرح به العراقي في تخريج أحاديث الإحياء..

إلا أن هذا خلاف ما عند السادة الصوفية، فقد ادعى الشيخ علاء الدين (٣) استفادة الأحاديث النبوية بلا واسطة (٤). وذكر السهروردي في (السر المكتوم): أن الخضر - عليه السلام -

= بالرسول - ﷺ - وكذلك قول اللقاني: إن الخضر يمكث في النوم مائة سنة فيحتمل. أنه لم يجتمع بنينا ﷺ والصحب!! انظر تحفة الحبيب على شرح الخطيب للشيخ سليمان البجيرمي ج ١ ص ٣٧. فأين الدليل على أنه ينام هذه النوم؟ ومن قال بذلك!؟

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٤.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧.

(٣) هناك كثير من العلماء ممن تسموا بهذا الاسم، ولا أعرف من يعني الكاتب، وأظن أنه يقصد شيخه علاء الدين علي أفندي الموصلي. انظر روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧.

(٤) أقول: إذا كان ذلك كما أسهل الدسّ على رسول الله ﷺ ! وما أوسع باب إدخال الإسرائيليات والحكايات الغربية في التاريخ الإسلامي!.

حدثنا بثلاثمائة حديث سمعها من النبي ﷺ شفاهاً (١). ونقول: إن هذا الكلام ليس بحجة إلا إذا أيدته بالأحاديث وخرجه وفق شروط المحدثين المعروفة. . . وأنى ذلك؟ بل إن حديثاً واحداً بروايته لا يصح (٢) على قواعد المحدثين، لأنه لم ينقل بسند صحيح اجتماعه بالرسول ﷺ، ناهيك عن القطع بحياته. وقد ذهب جمهور المحدثين إلى موته كما تعلم.

نتيجة:

إذا كنا قد انتهينا من الأخبار التي وردت بشأن الخضر - عليه السلام - والتقاءه بالرسول ﷺ فإننا نستطيع أن نقول: إنه لم يرد أي حديث صحيح أو حسن بهذا الشأن، وما عثرت عليه في هذا الصدد لا يعدو أن يكون حديثاً غريباً، أو ضعيفاً، أو منكراً، أو باطلاً، أو لا أصل له.

ولم أر أحسن من قول العراقي في هذا الباب حين يقول: (ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه، ولا حياته ولا موته) (٣).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٣ وفي (روح البيان): قال في فصل الخطاب: قد صحب النبي - عليه الصلاة والسلام - وروى عنه أحاديث. انظر ج ٢ ص ٤٩٨.

(٢) مرت بك بعض الروايات التي نقلت فيها أدعية قيل: إن الخضر استفادها من رسول الله ﷺ كما في رواية كرز بن وبرة. وقد رأيت التحقيق الكامل هناك، وأن لا أصل لها.

(٣) انظر الهامش في إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٣٦.

مَا وَرَدَ عَنْ لِقَاءِ آيَةٍ بِمَنْ بَعَدَ الرَّسُولَ ﷺ

وردت أخبار وروايات عديدة تذكر التقاء الخضر - عليه السلام - بالصحابة والخلفاء والعلماء؛ ولكنها - كغيرها من الروايات - لم تسلم من القدح والعلّة. وإذا كان العلماء يتخرجون كثيراً ليبينوا درجة حديث من الأحاديث الشريفة، ولو كانت مفردة أو غريبة. فإنهم لم يتخرجوا في بيان رأيهم المنطقي، بعد الإدلاء بحججهم إزاء من قال باجتماعه بالناس.

ومهما قيل في اجتماعه بالنبي ﷺ أو عدمه، فذلك لا يتعلق بأصول العقيدة ولا بفروعها، ومن ثم فلا يقدر بعقيدة المرء، إن هو أنكر حياته أم لم ينكرها. . طالما لم يرد في هذا الشأن حديث صحيح، أو كما يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (الحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم، من صحابي أو غيره، لأنه يجوز عليهم الخطأ. والله أعلم) (١).

وقد ذكر أيضاً أن ابن الجوزي ألف كتاباً عن الخضر. تصدى فيه لمن قال بحياة الخضر وذكر الآثار التي وردت بشأنه عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فبين ضعف أسانيدها، ببيان أحوالها وجهالة رجالها (٢). . وكنا نتمنى أن يكون هذا

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

الكتاب موجوداً لننقل ما فيه، وما ذكر من درجة رواياته،
ونزداد اطمئناناً حول ما قيل فيه^(١).

خامساً : اجتمعوا بالصَّحابة - رضوان الله تعالى عليهم .

في رواية لم يعلق عليها، ذكر العلامة الألوسي في تفسيره ما نقله الثعلبي، عن ابن عباس قال: قال علي - كرم الله تعالى وجهه -: إن رسول الله ﷺ لما توفي. وأخذنا في جهازه، خرج الناس، وخلا الموضع، فلما وضعت على المغتسل، إذا بهاتف يهتف من زاوية البيت بأعلى صوته: لا تغسلوا محمداً فإنه طاهر طهر، فوقع في قلبي شيء من ذلك وقلت: ويحك من أنت؟ فإن النبي ﷺ بهذا أمرنا، وهذه سنته. وإذا بهاتف آخر يهتف بي من زاوية البيت بأعلى صوته: غسّلوا محمداً. فإن الهاتف الأول كان إبليس الملعون. حسد محمداً ﷺ أن يدخل قبره مغسولاً. فقلت: جزاك الله تعالى خيراً، قد أخبرني بأن ذلك إبليس، فمن أنت؟ قال: أنا الخضر. حضرت جنازة محمد ﷺ (٢).

روايات التعزية

وهناك الأخبار التي وردت في تعزية أهل البيت، بعد أن توفي رسول الله ﷺ، وهي روايات عديدة من طرق شتى.

(١) لم أعثر على أي كتاب ألف في الخضر عليه السلام.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢.

وتوردها الكتب الفقهية في باب التعزية والبكاء على الميت.
ونحن نورد لك هذه الروايات التي تذكر الخضر - عليه السلام -
ونبين كلام المحدثين فيها.

ونقسمها وتحقيقاتها إلى فقرات، تسهيلاً للفهم والنظر،
وبالله تعالى التوفيق.

روايات التعزية: أ

١ - أخرج الحاكم في المستدرک عن جابر قال:

«لما توفي رسول الله ﷺ واجتمع الصحابة، دخل
رجل أشهب اللحية، جسيم، صبيح، فتخطى
رقابهم، فبكى، ثم التفت إلى الصحابة فقال: إن في
الله تعالى عزاء من كل مصيبة، وعوضاً من كل فائت،
وخلفاً من كل هالك، فإلى الله تعالى فأنبئوا وإليه تعالى
فارغبوا. ونظره سبحانه إليكم في البلاء؛ فانظروا فإنما
المصاب من لم يجبر. فقال أبو بكر وعلي - رضي الله
عنهما - : هذا الخضر - عليه السلام -^(١).

٢ - وروى هذا الخبر، الحافظ أبو بكر البيهقي، وسنده
كالتالي:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن بالويه،
حدثنا محمد بن بشر بن مطر، حدثنا كامل بن طلحة،

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢ وانظر تفسير القرطبي ١١ ص ٤٤.

حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك . . وفيه :
أن الخضر وقف بين الصحابة، فبكى وعزاهم، وغاب بعد
ذلك، وأن علياً - رضي الله عنه - قال: إنه أخو الرسول
ﷺ الخضر - عليه السلام - (١).

٣- ورواه الطبراني في الأوسط عن موسى بن هارون، عن
كامل، وقال: تفرد به عباد عن أنس (٢).

التحقيق:

١- قال الإمام العراقي في رواية الحاكم: رواه في المستدرک من
حديث أنس ولم يصححه ولا يصح (٣) . . وقال الزبيدي:
وجدت بخط الشمس الداودي ما نصه قول الشيخ: إن
الحاكم لم يصححه صحيح، لكنه مشعر بكونه لم يضعفه
وليس كذلك. فإنه ساقه من رواية عباد بن عبد الصمد ثم
قال: وعباد ليس من شرط هذا الكتاب (٤). أي: أن
الحاكم روى هذا الخبر وتركه دون أن يقول: إنه صحيح.

(١) البداية والنهاية ج١ ص ٣٣١-٣٣٢. وانظر فتح الباري ج ٦
ص ٣١١.

(٢) اتحاف السادة المتقين في شرح أسرار إحياء علوم الدين للعلامة الزبيدي
ج ١٠ ص ٣٠٠-٣٠١.

(٣) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٤. الهامش. وقد ذكر مصنف كتاب
(تسليية أهل المصائب) خطأ أن الحاكم قد صحح إسناد هذه الرواية. انظر
الكتاب ص ١١٥ لمؤلفه: أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد الحنبلي
المنبجي المتوفى سنة (٧٨٥) طبعة ١٣٩٩.

(٤) اتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠٠.

وربما كان عمله هذا يشعر أن الحديث غير ضعيف، ولكنه ليس كذلك، ففي سند روايته (عباد بن عبد الصمد) وقال عنه: إنه ليس من شرط هذا الكتاب. أي: لا تقبل روايته لأنه ليس على شرط البخاري ومسلم.

٢- في سند رواية البيهقي (عباد بن عبد الصمد) قال عنه البيهقي: ضعيف^(١). وقال ابن كثير: عباد بن الصمد هو ابن معمر البصري، روى عن أنس نسخة. قال ابن حبان والعقيلي: أكثرها موضوع. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث جداً منكره. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه في فضائل علي. وهو ضعيف مغالٍ في التشيع^(٢). وقال الحافظ ابن حجر: في إسناده عباد بن عبد الصمد، وهو واهٍ.^(٣)

٣- ورواية الطبراني في الأوسط قال فيه العراقي: إسناده ضعيف جداً^(٤).

الروايات : ب

١- قال الإمام الشافعي في مسنده: أخبرنا القاسم بن عبد الله ابن عمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عند جده علي بن الحسين، قال: لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية،

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢.

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢.

(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

(٤) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٥. الهامش.

سمعوا قائلاً يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فتقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب. قال علي بن الحسين: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر^(١)!

٢- قال ابن كثير: وقد روي من وجه آخر ضعيف عن جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن علي، ولا يصح^(٢).

٣- وقد رواه الحافظ البيهقي، عن الحاكم أيضاً^(٣).

٤- ورواه الربيع، عن الشافعي، عن القاسم، عن جعفر، عن أبيه، عن جده^(٤).

٥- ورواه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا، عن كامل بن طلحة به^(٥).

وروايته كما ساقها العراقي من حديث أنس قال: لما قبض رسول الله ﷺ: اجتمع أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكيين، في إزار ورداء، يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعصاتي باب البيت، فبكى على رسول الله ﷺ ثم أقبل على أصحابه فقال: إن في الله عزاء

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢.

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢.

(٣) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧٧.

(٤) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧٧.

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢ وانظر فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

من كل مصيبة.. الخ. ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر: عليّ بالرجل. فنظروا يمينا وشمالاً فلم يروا أحداً، فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر، أخو نبينا - عليه السلام - جاء يعزينا^(١).

وروايته من حديث علي - رضي الله عنه - قال: لما قبض رسول الله ﷺ جاء آت نسمع حسه ولا نرى شخصه، قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إن في الله عوضاً من كل مصيبة.. وفي آخره: والسلام عليكم^(٢).

٦ - وقال ابن أبي حاتم^(٣) في التفسير: حدثنا أبي، أنبأنا عبد العزيز الأوسي، حدثنا علي بن أبي الهاشمي، عن يعفر ابن محمد بن الحسين، عن أبيه، أن علي بن أبي طالب قال: لما توفي النبي ﷺ... ولم يقل في آخره: (السلام عليكم)^(٤).

التحقيق:

١ - عن رواية الإمام الشافعي قال الحافظ ابن كثير: شيخ الشافعي (القاسم العمري) متروك. قال أحمد بن حنبل

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٤.

(٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحافظ، أبو محمد الرازي، المعروف بابن أبي حاتم الحنظلي. ولد سنة (٢٤٠) وتوفي سنة (٣٢٧). انظر هدية العارفين ج ١ ص ٥١٣. وقد انتقى تفسيره الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في مجلد. انظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٣٦.

(٤) انظر تحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١.

ويحیی بن معین: یكذب. زاد أحمد: ویضع الحدیث. ثم هو مرسل ومثله لا یعتمد علیه ههنا. والله أعلم^(١).

قال الإمام النووي فی (المجموع): وأما قصة تعزية الخضر - علیه السلام - فرواها الشافعی فی الأم بإسناد ضعيف، إلا أنه لم یقل: (الخضر) - علیه السلام - بل (سمعوا قائلاً یقول)^(٢). وكذا قال العراقي^(٣).

٢ - أما ما ذكر ابن كثير من أن هذه الرواية ذكرت من وجه آخر ضعيف، فاعتقد أنه یقصد الرواية التي ساقها الحافظ أبو بكر البیهقي بسنده عن الإمام الشافعی. وذكر نفس الرواية السابقة وفي آخرها أن علیاً^(٤) - رضي الله عنه - قال: أتدررون من هذا؟ هذا الخضر - علیه السلام - قال ابن كثير: وهذا الحدیث مرسل. وفي إسناده ضعف بحال القاسم العمري هذا، فإنه قد ضعفه غیر واحد من الأئمة، وتركه بالكلية آخرون^(٥).

٣ - أما الرواية الأخرى للبیهقي، فقد رواها عن الحاكم، عن

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢.

(٢) المجموع (شرح المهذب) للإمام النووي ج ٥ ص ٣٠٥.

(٣) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٥ الهامش. وذكر في كتاب (الرصيف لما

روى عن النبي ﷺ من الفعل والوصف) ج ٢ ص ٣٧٦، أنه في مسند

الإمام الشافعی ج ١ ص ٢١٨، ٢١٩. قال: وهو مرسل.

(٤) وليس علي بن الحسين، كما في تلك الرواية.

(٥) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧٧.

أبي جعفر البغدادي، حدثنا عبد الله بن الحارث أو عبد الرحمن بن المرتعد الصفائي، حدثنا أبو الوليد المخزومي، حدثنا أنس بن عياض، عن جعفر بن محمد، عن جابر بن عبد الله قال: لما توفي رسول الله ﷺ يسمعون الحسّ ولا يرون الشخص فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة.. الخ. ثم قال البيهقي: هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين فأحدهما يتأكد بالآخر، ويدل على أن له أصلاً من حديث جعفر، والله أعلم^(١).

قلت: في الرواية الأولى التي ساقها البيهقي ذكر في سندها (القاسم العمري) وقد جرحه كثير من العلماء بأكثر من الضعف.. فالحديث الأول على حد قول بعض علماء الحديث يكون موضوعاً، أو متروكاً. وأحد هذين القسمين لا يقوي الحديث الضعيف.

٤- أما رواية الربيع فقد قال عنها ابن كثير: في الإسناد (العمري) المذكور وقد نبهنا إلى أمره لثلاث يغتر به^(٢).

٥- وعن رواية ابن أبي الدنيا قال العراقي: فيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده^(٣).

٦- أما الروايات التي في سندها محمد بن جعفر الصادق فلا تصح.. لأن محمد بن جعفر قد تكلم فيه^(٤).

(١) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧٧. (٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧٧.

(٣) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٥. الهامش.

(٤) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٥. الهامش.

الروايات: ج

١- روى محمد بن منصور الحوار، عن محمد بن جعفر بن محمد، وعبد الله بن ميمون القداح جميعاً، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، سمعت أبي يقول: لما قبض رسول الله ﷺ جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه: السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت.. فساقه سياق ابن أبي الدنيا^(١).

٢- ورواه الواقدي أيضاً^(٢).

٣- ورواه محمد بن أبي عمر، عن محمد بن جعفر.. قال: كان أبي - هو جعفر محمد الصادق - يذكر عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب: أنه دخل عليه نفر من قريش فقال: ألا أحدثكم عن أبي القاسم؟ قالوا: بلى. فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي ﷺ وفي آخره فقال جبريل: يا أحمد! عليك السلام. هذا آخر وطئي الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا. فلما قبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية، جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه^(٣)..

التحقيق:

١- قال ابن الجوزي في رواية محمد بن منصور الحوار: تابعه

(١) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١.

(٢) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١.

(٣) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١.

محمد بن صالح، عن محمد بن جعفر، ومحمد بن صالح
ضعيف^(١).

وفيه محمد بن جعفر أيضاً، الذي تكلم فيه.

٢- وفي رواية الواقدي قال ابن الجوزي: (الواقدي
كذاب)^(٢).

٣- وقال ابن الجوزي عن رواية محمد بن أبي عمر: إن هذا
مجهول. وردَّ الحافظ ابن حجر عليه فقال في (الإصابة): وهذا
الإطلاق ضعيف، فإن ابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه،
هذا شيخ مسلم وغيره من الأئمة، وهو ثقة حافظ، صاحب
مسند مشهور مروى^(٣).

إلا أن في سند هذه الرواية أيضاً محمد بن جعفر.. وقد مرَّ
الحديث عنه قريباً.. وقال عنه البخاري أيضاً: أخوه أوثق
منه^(٤).

(١) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١.

(٢) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١.

(٣) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١.

(٤) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠١. قال الزبيدي: محمد بن جعفر
هذا، هو أخو موسى الكاظم، حدث عن أبيه وغيره، وروى عنه إبراهيم
ابن المنذر وغيره، وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة، وحج بالناس سنة
(٢٠٠) وبابعه بالخلافة. فحج المعتصم، فظفر به، فحمله إلى أخيه
المأمون بخراسان، فمات بجرجان سنة (٢٠٣) وعاش سبعين سنة. انظر
إتحاف السادة المتقين في شرح أسرار إحياء علوم الدين ج ١٠ ص ٣٠١.

الروايات : د

١ - في رواية عن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت، وصلى، وأثنى، عَجَّ أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى. كلما ذكر شيئاً ازدادوا، فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب، صَيَّتْ جلد. قال: السلام عليكم يا أهل البيت! ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾، إن في الله خلفاً من كل أحد ودركاً لكل رغبة، ونجاة من كل مخافة، فالله تعالى فارجوا، وبه فتقوا.

فاستمعوا له وأنكروه، وقطعوا البكاء. فلما انقطع البكاء فقد صوته، فاطلع أحدهم فلم ير أحداً، ثم عادوا فبكوا. فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته: يا أهل البيت! اذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين. إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعضاً من كل رغبة، فالله فأطيعوا، وبأمره فاعملوا. فقال أبو بكر:

هذا الخضر واليسع - عليهما السلام - حضرا النبي

ﷺ (١).

٢ - وروى نحوه (سيف) في (الردة) (٢)، عن سعيد بن عبد

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٤.

(٢) هو سيف بن عمر الأسدي التميمي البغدادي، كوفي الأصل، من أصحاب السير. توفي ببغداد في خلافة الرشيد سنة (٢٠٠) له كتاب: الجمل، ومسير عائشة وعلي، وكتاب الفتوح، والردة. وانظر كتاب هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ج ١ ص ٤١٣.

الله، عن ابن عمر، وفيه: لما توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر حتى دخل عليه، فلما رآه مسجياً قال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. ثم صلى عليه فرفع أهل البيت عجباً سمعه أهل المصلى.. وفي آخره أن أبا بكر قال: هذا الخضر وإلياس^(١).

التحقيق:

١- قال العراقي في رواية التعزية عن ابن عمر: لم أجد فيه ذكر «اليسع». وأما ذكر «الخضر» في التعزية، فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث قال: إنما ذكره الأصحاب. قلت - الكلام للعراقي -: بل قد رواه الحاكم في المستدرک من حديث أنس، ولم يصححه ولا يصح^(٢).

٢- أما رواية سيف بن عمر التميمي، فقال عنه الحافظ ابن حجر: في إسناده مجهول^(٣). وقال عن سيف في الإصابة: فيه مقال، وشيخه لا يعرف^(٤). وقال العلامة الزبيدي عن شيخه: هو سعيد بن عبد الله بن ضرار بن الأزور، روى عن أبيه وعن غيره وفيه وفي أبيه مقال^(٥).

(١) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠٠.

(٢) انظر إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٤ الهامش.

(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

(٤) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠٠.

(٥) إتحاف السادة المتقين ج ١٠ ص ٣٠٠. وتورد الكتب الفقهية بعض هذه الأدعية التي وردت في تعزية أهل الميت. ففي كتاب (مغني المحتاج): ويسن أن يبدأ قبله - أي الدعاء - بما ورد من تعزية الخضر أهل بيت رسول =

النتيجة :

لم يرد أي حديث صحيح في تعزية الخضر لأهل البيت أو الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وما روي من أن عمر عرفه عندما صلى على جنازة أيضاً لم يصح .

فقد أخرج ابن عساكر بسنده، عن محمد بن المنكدر قال: بينما عمر بن الخطاب يصلي على جنازة، إذا بهاتف يهتف من خلفه: لا تسبقنا بالصلاة - يرحمك الله تعالى - . فانتظره حتى لحق بالصف الأول. فكبر عمر، وكبر الناس معه. فقال الهاتف: إن تعذبه فكثيراً عصاك، وإن تغفر له ففقير إلى

= الله ﷺ بموته: إن في الله عزاء من كل مصيبة.. الخ (انظر مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج للإمام النووي ج ١ ص ٣٥٥ طبعة ١٣٧٧ . وانظر أيضاً: المجموع (شرح المهذب) للإمام النووي. باب التعزية والبكاء على الميت ج ٥ ص ٣٠٥ مطبعة التضامن الأخوي بمصر، وانظر أيضاً كتاب: فتح العلام بشرح مرشد الأنام للعلامة السيد محمد عبد الله الجرداني في الفقه على مذهب السادة الشافعية ج ٢ ص ٨٨٢. الهامش. الناشر مكتبة الشباب المسلم - حلب.

وسبب إيراد الكتب الفقهية لهذه الآثار هو لمناسبة تعزية الميت.. فيذكرون تعزية الخضر- عليه السلام- لأهل بيت رسول الله ﷺ وأنه يسن للناس التعزية بذلك. وأعتقد أن القول باستحباب هذه التعزية تابع لشبوت الخبر. وإلا فإنه يبقى كلاماً عادياً.. وقد رأيت معي كلام المحدثين فيه.

رحمتك. فنظر عمر وأصحابه إلى الرجل، فلما دفن الميت وسوى التراب قال: طوبى لك يا صاحب القبر! إن لم تكن عريفاً^(١)، أو جابياً، أو خازناً، أو كاتباً، أو شرطياً. فقال عمر: خذوا إلى الرجل نسأله عن صلاته وكلامه عمن هو. فتواري عنهم، فنظروا، فإذا أثر قدمه ذراع! فقال عمر: هذا والله الذي حدثنا عنه النبي ﷺ أي: الخضر^(٢).

وأثناء مناقشة الدلائل التي وردت في حياته عقب العلامة الألوسي على هذا الحديث بقوله: لا نسلم بصحته^(٣). وقال ابن وهب في إسناد الحديث: إنه مجهول، مع انقطاعه^(٤). وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه: هذا الأثر مبهم، وفيه انقطاع، ولا يصح مثله^(٥).

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن علي - رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه - قال: بينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلق بأستار الكعبة يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا تغلظه المسائل. ويا من لا يتبرم بإلحاح الملحّين، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك. قلت: يا عبد الله! أعد الكلام. قال: أسمعته؟ قلت: نعم. قال: والذي نفس

(١) عامل يستخدمه معلّم لقاء أجر ولا يكون له حق في ترك الخدمة، فإذا تركها حرم العمل لدى معلم آخر. انظر المعجم الوسيط.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٣.

(٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.

(٤) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢.

الخضر بيده - وكان هو الخضر - لا يقولهن عبد دبر الصلاة المكتوبة إلا غفرت ذنوبه وإن كانت مثل رمل عالج^(١)، وعدد المطر، وورق الشجر^(٢).

قال العلامة الزبيدي: هكذا نسب هذا الدعاء إلى الخضر - عليه السلام - صاحبُ (القوت) وغيره من العارفين^(٣).

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: أخرجه ابن عساكر من وجهين، في كل منهما الضعف^(٤).

وقد فصل ابن كثير ذلك، وذكر أن الحديث الذي رواه الحافظ ابن عساكر، عن الثوري، عن عبد الله بن محرز، عن يزيد بن الأصم، عن علي بن أبي طالب: ضعيف من جهة عبد الله ابن المحرز، فإنه متروك الحديث، ويزيد بن الأصم لم يدرك علياً. ومثل هذا لا يصح والله أعلم. وقد رواه أبو إسماعيل الترمذي: حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا صالح بن أبي الأسود، عن محفوظ بن عبد الله الحضرمي، عن محمد ابن يحيى قال: بينا علي بن أبي طالب يطوف بالكعبة، إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يشغله سمع

(١) عوالج الرمال هي: جمع عالج، وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن أثير ج ٣ ص ١٢٢.

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢ وتفسير القرطبي ج ١١ ص ٤٣ وانظر بعضه في روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٩٨.

(٣) انظر هذا الدعاء مع بعض الزيادة في إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٥٥. وانظر التعليق عليه في إتخاف السادة المتقين ج ٤ ص ٣٧٩.

(٤) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

عن سمع! ويا من لا يغلظه السائلون! ويا من لا يتبرم بالحاح الملحين! ارزقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك. قال: فقال له علي: يا عبد الله! أعد دعاءك هذا. قال: وقد سمعته؟ قال: نعم. قال: فادعُ به في دبر كل صلاة فوالذي نفس الخضر بيده، لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها، وحصباء الأرض وترابها، لغفر لك أسرع من طرفة عين. وهذا أيضاً منقطع، وفي إسناده من لا يعرف. والله أعلم^(١).

وذكر ابن عطية أن النقاش ذكر في كتابه أشياء كثيرة عن علي بن أبي طالب وغيره، وكلها لا تقوم على ساق^(٢).

وقال ابن حجر العسقلاني: جاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار، أكثرها واهي الإسناد^(٣). وذكر دعاء آخر قيل: إنه للخضر - عليه السلام - وهو:

(اللهم! إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه. وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوفٍ لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليّ فاستعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة! من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل، في ملأ أو خلاء، وسر

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٤١.

(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١، وفي نزهة المجالس أن أنس بن مالك - رضي

الله عنه - قال: رأيت شيخاً يقول: اللهم! اجعلني من أمة محمد ﷺ.

فقلت له: من أنت؟ قال: الخضر. انظر ج ٢ ص ٥٠٢.

وعلانية ، يا حلیم!)^(١).

قال العلامة الزبيدي: نقله صاحب (القوت). وقيل: هو استغفار آدم - عليه السلام - كما وجد في بعض نسخ الكتاب^(٢)، وقد رتبته بعض العلماء ترتيباً حسناً، وجعله على الأيام السبعة، وزاد فيه زيادات حسنة، وعزاه إلى الحسن البصري، وقد وقع إلينا مسنداً^(٣).

سادساً: اجتماعه - عليه السلام - بالخلفاء والأمراء

وردت أخبار أخرى تذكر اجتماعه ببعض الخلفاء، منها ما رواه يعقوب بن سفيان في تاريخه^(٤)، وأبو عروبة من طريق رباح بن عبيدة قال:

رأيت رجلاً يماشي عمر عبد العزيز^(٥) معتمداً على يديه،

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣١٣.

(٢) يعني إحياء علوم الدين.

(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ج ٥ ص ٦٢.

(٤) يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي: من كبار حفاظ الحديث، من أهل (فسا) بإيران. عاش بعيداً عن وطنه في طلب الحديث نحو ثلاثين سنة، وروى عن أكثر من ألف شيخ. توفي بالبصرة سنة (٢٧٧). له: التاريخ الكبير. انظر الأعلام للزركلي ج ٨ ص ١٩٨.

(٥) هو الخليفة العادل: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم؛ من خلفاء بني أمية. ولد بحلول مصر سنة (٦٠) أمه أم عاصم بن عمر بن الخطاب. روى العلم عن أنس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويوسف ابن عبد الله بن سلام، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والربيع بن سبرة، وغيرهم. قال أنس بن مالك: ما صليت خلف إمام أشبه برسول =

فلما انصرف قلت له: من الرجل؟ قال: رأيت؟ قلت: نعم. قال: أحسبك رجلاً صالحاً. ذاك أخي الخضر، بشرني أي سأولى وأعدل. قال ابن حجر بعد أن نقل هذا الخبر: لا بأس برجاله، ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره^(١).

قال الحافظ ابن كثير: إلا أن في سند هذه الحكاية رباح، والسري، وقد قدحَ فيها أبو الحسين بن المنادي^(٢). ثم روي من طرق أخرى، عن عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع بالخضر. وضعفها كلها^(٣).

وقد ورد خبر اجتماع الخضر بالخليفة المنصور^(٤) أيضاً،

= الله ﷺ من هذا الفتى عمر بن عبد العزيز، وقد عمل له ابن الجوزي سيرة مجلداً ضخماً.. توفي بدير سمعان سنة (١٠١). انظر باختصار دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ج ٦ ص ٧٣٨. الطبعة الثالثة.

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١. وانظر الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ٣٣ فقد ذكر أثناء ترجمته أنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام.

(٢) هو أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين بن المنادي (٢٥٦-٣٣٦) عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد. دفن في مقبرة الخيزران. قيل: صنف في علوم القرآن (٤٠٠) كتاب. وقال ابن النديم: له مائة ونيف وعشرون كتاباً. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه، ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه. آخر من روى عنه: محمد بن فارس الفوري. من كتبه: (اختلاف العدد) و«دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات» انظر الأعلام ج ١ ص ١٠٧.

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

(٤) هو من أوائل الخلفاء العباسيين الذين وطدوا حكمهم. كان يخشى من أبي مسلم =

وسأورد لك هذا الخبر كما ورد في الإحياء، مع ذكر بعض ما يلزم الشرح والتعليق من شرح الإحياء^(١).

عن ابن المهاجر^(٢) قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكة - شرفها الله - حاجاً، فكان يخرج من دار الندوة^(٣) إلى الطواف في آخر الليل، يطوف ويصلي، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه، وأقيمت الصلاة، فيصلي بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر^(٤)، فبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم وهو يقول: اللهم! إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من

= الخراساني منافسته على الملك والخلافة.. ولذلك فإنه استعمل كل حيلة للقضاء عليه، مما أدى أخيراً إلى قتله. وطد المنصور حكمه وبنى عاصمة له هي دار السلام (بغداد) ووضع أسس نظامه على رأيه وفكره. ونظامه يتسم بالحكم الفردي المقيد بشريعة القرآن الكريم، واتسمت فترة خلافته بقضية هامة هي ملاحقة الزنادقة ومحاربتهم ومحاولة إبادةهم. ولد سنة (٩٥) وتوفي سنة (١٥٨) انظر للتومص كتاب: تاريخ الخلافة العباسية للدكتور يوسف العث اعتبار من ص (١٩) مطبعة فتي العرب ١٣٩٦.

(١) انظر الجزء السابع من شرح الاحياء (تحاف السادة المتقين) اعتبارا من ص ٧٩.

(٢) هو محمد بن مهاجر بن أبي مسلم الأنصاري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد الأشهلية. قال أحمد، وابن معين، وأبو داود: ثقة وله أحاديث كبار حسان. وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان متقناً، روى عن نافع، وربيعة بن يزيد، وعنه: أبو مسهر، والوحاظي، مات سنة (١٧٠) روى له الجماعة الا البخاري.

(٣) أي: محل نزول الخلفاء، وهو الموضع الذي كانت قریش تتشاور فيه.

(٤) أي: صار في السحر. المعجم الوسيط.

الظلم والطمع . فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إليه، فدعاه، فأتاه الرسول وقال له: أجب أمير المؤمنين . فصلى ركعتين واستلم الركن، وأقبل مع الرسول فسلم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأفلقني . فقال: يا أمير المؤمنين! إن أمنتني على نفسي أنباتك بالأمر من أصولها، وإلا اقتصرت على نفسي، ففيها لي شغل شاغل . فقال له: أنت آمن على نفسك . فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق، وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت! فقال: ويحك؟ أيدخلني الطمع والصفراء والبيضاء^(١) في يدي؟ والحلو والحامض في قبضتي؟ قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟! إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والأجر، وأبواباً من الحديد، وحجة معهم السلاح، ثم سجنت نفسك منهم، وبعثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها، واتخذت وزراء وأعواناً وظلمة، إن نسيت لم يذكروك، وإن ذكرت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكرام والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان - نفر سميتهم - ولم تأمر بإيصال المظلوم . ولا

(١) أي: الذهب والفضة .

الملهوف، ولا الجائع ولا العاري، ولا الضعيف ولا الفقير،
 ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين
 استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك، وأمرت أن لا
 يججوا عنك، تجبي الأموال ولا تقسمها، قالوا: هذا قد خان
 الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا؟ فائتمروا على أن لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا. وأن لا يخرج
 لك عامل فيخالف لهم أمراً إلا أقصوه حتى تسقط منزلته
 ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس
 وهابوهم، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال
 ليتقوا بهم على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية، فامتلأت بلاد
 الله بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في
 سلطانك، وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين
 الدخول إليك، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند
 ظهورك، وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر
 في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب
 المظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة
 لم يمكنه مما يريد خوفاً منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ
 به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه، فإذا جهد
 وأخرج، وظهرت، صرخ بين يديك. فيضرب ضرباً مبرحاً
 ليكون نكالاً لغيره، وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغني، فما بقاء
 الإسلام وأهله على هذا؟! .

ولقد كان بنو أمية، وكانت العرب، لا ينتهي إليهم المظلوم

إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف، ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي: يا أهل الإسلام! فيتدرونه: مالك مالك؟ فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينصف. ولقد كنت - يا أمير المؤمنين -! أسافر إلى أرض الصين، وبها ملك. فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم، فجعل يبكي فقال له وزراؤه: مالك تبكي لا بكت عينك؟ فقال: أما إني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي، ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته. ثم قال: أما إن كان قد ذهب سمعي، فإن بصري لم يذهب. نادوا في الناس: ألا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم. فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوماً فينصفه؟.

هذا - يا مير المؤمنين -! مشرك بالله، قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه، وأنت مؤمن بالله، وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورتك على شح نفسك؟ فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة: إن قلت: أجمعها لولدي. فقد أراك الله عبراً في الطفل الصغير؛ يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه. فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست الذي تعطي، بل الله يعطي من يشاء. وإن قلت: أجمع المال لأشيد سلطاني. فقد أراك الله عبراً فيمن كان قبلك، ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوه من الرجال والسلاح والكراع. وما ضرك وولد أبئك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله

بكم ما أراد. وإن قلت: أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح، يا أمير المؤمنين! هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا، وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم؟ وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك؟ فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك، ودعاك إلى الحساب؟ وهل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا؟.

فبكى المنصور بكاء شديداً حتى نحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئاً. ثم قال: كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس إلا خائناً؟ قال: يا أمير المؤمنين! عليك بالأئمة الأعلام المرشدين. قال: ومن هم؟ قال: العلماء. قال: قد فروا مني. قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك، ولكن افتح الأبواب، وسهل الحجاب، وانتصر للمظلوم من الظالم، وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب، وأقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل. وجاء المؤذنون فسلموا عليه، وأقيمت الصلاة، فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسى: عليك بالرجل،

إن لم تأتني به لأضربن عنقك. واغتاظ عليه غيظاً شديداً
 فخرج الحرسى يطلب الرجل. فبينما هو يطوف، فإذا هو
 بالرجل يصلي في بعض الشعاب، فقعده حتى صلى ثم قال: يا
 ذا الرجل! أما تتقي الله؟ قال: بلى. قال: أما تعرفه؟ قال:
 بلى. قال: فانطلق معي إلى الأمير، فقد آلى أن يقتلني. قال:
 لا. قال: كيف؟ قال: تحسن تقرأ؟ قال: لا. فأخرج من
 مزود^(١) كان معه رقاً مكتوباً فيه شيء فقال: خذه فاجعله في
 جيبك، فإن فيه دعاء الفرج. قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا
 يرزقه إلا الشهداء. قلت: رحمك الله، قد أحسنت إلي، فإن
 رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء؟ وما فضله؟! قال: من دعا به
 مساءً وصباحاً هدمت ذنوبه، ودام سروره، ومحيت خطاياها
 واستجيب دعاؤه، وبسط له رزقه، وأعطى أمله، وأعين على
 عدوه، وكتب عند الله صديقاً، ولا يموت إلا شهيداً. تقول:
 اللهم! كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك
 على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك
 وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر
 في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي
 سلطان لسطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل
 لي من كل هم أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً، اللهم! إن عفوك عن
 ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي، أطمعني
 أن أسألك ما لا أستوجهه مما قصرت فيه، أدعوك آمناً وأسألك
 مستأنساً، وإنك المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني

(١) بالكسر مثل الجراب، يوضع فيه الزاد.

وبينك، تتودد إليّ بنعمتك، وأتبغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك، فعد بفضلك وإحسانك علي، إنك أنت التواب الرحيم.

قال^(١): فأخذته فصيرته في جيبي، ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين. فدخلت فسلمت عليه، فرفع رأسه، فنظر إلي وتبسم ثم قال: ويلك! وتحسن السحر؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين! ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ، فقال: هات الرق الذي أعطاك. ثم جعل يبكي وقال: قد نجوت. وأمر بنسخه، وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك الخضر - عليه السلام -^(٢).

ولم يعلق على هذه الحكاية. إلا أن صاحب شرح الإحياء قال: أورد الحافظ ابن حجر في الإصابة هذه القصة في ترجمة الخضر - عليه السلام - مختصرة جداً^(٣). قال: وقد أورد الدعاء الشهاب البوني في كتابه (شمس المعارف) في ذكر خواص اسمه اللطيف.

سابعاً: اجتماعه بالعلماء والأولياء والعارفين.

ويذكر عن الخضر أيضاً أنه يجتمع ببعض الناس في وقت

(١) أي: الحرسي.

(٢) انظر القصة كاملة في إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) وفيه أن أبا جعفر المنصور سمع رجلاً يقول في الطواف: أشكو إليك ظهور البغي والفساد. فدعاه ووعظه وبالغ. ثم خرج فقال: اطلبوه. فلم يجده فاقول: ذلك الخضر. انظر تحاف السادة المتقين ج ٧ ص ٨٢.

الحاجة القصوى، ويسعفهم في المواقف الحرجة. ومنها حضوره في الجهاد. فقد روى ابن بشكوال في كتاب (المستغيثين بالله تعالى)^(١)، عن عبد الله بن المبارك^(٢)، أنه قال: كنت في غزوة، فوقع فرسي ميتاً، فرأيت رجلاً حسن الوجه، طيب الرائحة، قال: أتحب أن تركب فرسك؟ قلت: نعم. فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره وقال: أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله، وبعظمة عظمة الله، وبجلال

(١) هو كتاب (المستغيثون بالله تعالى عند الحاجات والمهمات، والمتضرعين إليه - سبحانه وتعالى - بالرغبات والدعوات) لمؤلفه: خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكول الخزرجي، الإمام أبو القاسم، القرطبي، الأندلسي، المالكي، الفقيه. ولد سنة (٤٩٤) وتوفي سنة (٥٧٨) صنف كتباً كثيرة.. انظر هدية العارفين ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، كان من كبار العلماء وأجلاء الزهاد. جمع بين العلم والزهد جمعاً يتعذر على غيره، أخذ الفقه عن سفیان الثوري؛ ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ. وكان كثير الانقطاع محباً للخلوة، شديد التورع، وكان كذلك أبوه؛ كان إذا قرأ شيئاً من كتب الوعظ كأنه بقرة منحورة من البكاء، لا يجترىء أحد يدنو منه ولا يسأله عن شيء. رجع - رضي الله عنه - من (مرو) إلى الشام في رد قلم كان استعاره ونسيه في رحله. كان يقول: كيف يدعي رجل أنه أكثر علماً وهو أقل خوفاً وزهداً. ويقول: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية. ومن أقواله: لا يقل أحدكم: ما أجراً فلانا بالله تعالى!. فإن الله تعالى أكرم أن يجترأ عليه، ولكن ليقول: ما أغر فلانا بالله. وقيل له: من سفلة الناس؟ قال: الذين يتعيشون بدينهم. ولد في (مرو) سنة (١١٨) وتوفي سنة (١٨١) في (هيت) وهي: مدينة معروفة على الفرات، لما رجع من الغزوة، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٥٩ ودائرة معارف القرن العشرين ج ٦ ص

جلال الله، وبقدرة قدرة الله، وبسلطان سلطان الله، وبإله
 إلا الله، وبما جرى به القلم من عند الله، وبإله حول ولا قوة
 إلا بالله، إلا انصرفت. فوثب الفرس قائماً بإذن الله تعالى،
 وأخذ الرجل بركابي وقال: اركب. فركبت ولحقت بأصحابي.
 فلما كان من غداة غد وظهر على العدو فإذا هو بين أيدينا،
 فقلت: سألتك بالله تعالى من أنت؟ فوثب قائماً، فاهتزت
 الأرض تحته خضراء. فقال: أنا الخضر.

فهذا صريح في أنه قد يحضر بعض المعارك^(١).

وفي كتاب (مفرج الكروب ومفرح القلوب): أن الإمام
 السيوطي أيضاً نقل هذه القصة في كتاب (الأرج)^(٢). وفي
 آخرها أن ابن المبارك قال: فما قلت هذه الكلمات على عليل
 إلا شفي^(٣). إلا أن العلامة الألوسي ناقش هذا الخبر وقال:

(ما روي عن ابن المبارك فلا نسلم ثبوته عنه، وأنت إذا
 أمعنت النظر في ألفاظ القصة استبعدت صحتها، ومن أنصف
 يعلم أن حضوره - عليه السلام - يوم قال النبي ﷺ لسعد -
 رضي الله عنه -: «أرم فداك أبي وأمي»، كان أهم من
 حضوره مع ابن المبارك)^(٤).

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٤.

(٢) هو كتاب (الأرج في الفرج) لخص فيه الشيخ جلال الدين السيوطي كتاب

(الفرج بعد الشدة) لابن أبي الدنيا وزاد عليه انظر كشف الظنون ج ١

ص ٦٢.

(٣) انظر القسم الأول من الكتاب ص ١٤٤.

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٤.

وفي البحر المحيط: أن قاضي القضاة، أبا الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد: كان يخبر عن شيخ له: أنه رأى الخضر وحدثه، ف قيل له: من أعلمه أنه الخضر؟ ومن أين عرف ذلك؟ فسكت^(١).

ويقول أبو حيان الأندلسي: سمعنا الحديث عن شيخ يقال له: عبد الواحد العباسي الحنبلي. وكان أصحابه الحنابلة يعتقدون فيه أنه يجتمع بالخضر^(٢). ولم يعلق على ما ذكر شيئاً.

وفي معرض عدم التصديق ذكر ابن حزم الظاهري أن (محمد بن عبد الله الكاتب) أخبره: أنه جالس الخضر وكلمه مراراً^(٣).

وقد ذكرنا فيما سبق قصة كرز بن وبرة، وكيف أن أخاً له زاره، وأهدى له الدعاء الذي أعطاه الخضر لإبراهيم التيمي عندما اجتمع به^(٤). . . ورأيت مقالة العراقي فيها^(٥).

قال ابن كثير: وروى ابن عساكر أيضاً أنه اجتمع بإبراهيم

(١) انظر تفسير البحر المحيط لابي حيان الأندلسي ج ٦ ص ١٤٧.

(٢) البحر المحيط ج ٦ ص ١٤٨.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٠.

(٤) انظر القصة في إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٥) توفي سنة (٩٢) في حبس الحجاج. وكان سبب حبسه أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي، فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم. فقال: أنا إبراهيم. فأخذوه وهو لا يعلم أنه إبراهيم التيمي، فأمر الحجاج بحبسه في الدبجاس. ولم يكن له ظل من الشمس ولا كَن من البرد. وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم حتى مات فرأى الحجاج في منامه قائلاً يقول: =

التمي، وبسفيان بن عيينة^(١)، وجماعة يطول ذكرهم. ثم قال: وهذه الروايات والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد^(٢).

= مات الليلة في حبسك رجل من أهل الجنة. فقال: انظروا من مات. فوجدوه إبراهيم فقال: حلم من نزغات الشيطان. فأمر به فألقي على المذبة. من أقواله - رحمه الله تعالى -: كفى من العلم الخشية، وكفى من الجهل أن يعجب الرجل بعمله. وكان يقول: حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع. ويقول: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبير الأولى فاغسل يديك منه - رضي الله عنه - راجع ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٤١.

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران؛ ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال بن عامر، رهط ميمونة زوج النبي ﷺ وقيل: مولى الضحاك ابن مزاحم، وقيل غير ذلك. حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين وكتب الحديث وهو ابن سبع سنين. كان إماماً عالماً، ثقة، زاهداً، ورعاً. أجمع الناس على صحة حديثه وروايته. حج سبعين حجة. روى عن خلق كثير من العلماء الأجلاء، والأئمة الكبار. قال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو ابن دينار. قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة. كان يقول: بحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فساداً لا يصلحه. ويقول: خصلتان يعسر علاجهما: ترك الطمع فيما بأيدي الناس، وإخلاص العمل لله. ويقول أيضاً: ما أنعم الله عز وجل على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدنيا. ويقول: ما عليك أضر من علم لا تعمل به.

ولد رضي الله عنه في الكوفة سنة (١٠٧) وسكن مكة وتوفي فيها سنة (١٩٨) ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة. انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٥٦ ودائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ١٧٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

وفي (الفتوحات الوهية): أن رجلاً قام إلى بعض العلماء وهو على كرسية للوعظ، يقرر تفسير: «كل يوم هو في شأن»^(١) فقال: يا هذا! فما يفعل ربك الآن؟ فأفحم، وبات مهموماً، فرأى المصطفى ﷺ وذكر له ذلك فقال له: إنه الخضر، وإنه سيعود فقل له: شؤون يديها ولا يبتديها، يخفض أقواماً ويرفع آخرين. فأصبح مسروراً، فأتاه فأعاد السؤال، فأجابه بذلك، فقال له الخضر: صلّ على من علمك. وانصرف مسرعاً^(٢)!..

وذكر صاحب (نزهة المجالس) أن هذا العالم هو ابن الجوزي!!..

وفيه: أنه أعجب بنفسه أثناء تفسيره للآية، فوثب إليه رجل^(٣)!..

ونحن نستبعد هذا الكلام.. فابن الجوزي عالم من علماء هذه الأمة، وله أيادٍ بيضاء في تنقيح الأحاديث النبوية، وبيان الباطل منها.. فإن كان ممن يرى إنكار حياة الخضر - عليه السلام - ومن ثم اجتماعه بالناس، فلا يعني هذا أن يكتب عنه مخالفوه - في أمثال هذه الأمور - ما هو بريء منه، حتى وإن كان ألف كتاباً في ذلك وردّ حجج من يرى حياة الخضر بالنقل والعقل.. فلو كان صحيحاً ما قيل، لذكر لقاءه به،

(١) الرحمن (٢٩).

(٢) الفتوحات الوهية ص ١٨٧.

(٣) نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٠٨.

ولقطع دابر الخلاف في نفسه على الأقل، ولا يجزئ بذلك شيئاً على نفسه إن أثبت أو أنكر، ولكنها الأمانة في العلم والاجتهاد. فلو قبلنا تخريجه للأحاديث، وبيان درجتها، لكان قبولنا في هذا أولى وأقرب^(١)..

وقد روي: أن الخضر اجتمع بأبي حنيفة. وتعلم منه علوماً شرعية!!..

فقد أورد صاحب (الإشاعة لأشراط الساعة) كلام أبي علي القاري الهروي^(٢)، في كتابه المسمى (المشرب الوردي في مذهب المهدي)، ردّ على بعض الجهلاء الذين نقلوا قصصاً وحكايات من مصادر مجهولة. فذكر أولاً حكاية أشاعها وروجها بعض الجهال من المتعصبين لأبي حنيفة النعمان - رحمه الله تعالى - ثم رد عليها بالحجة والمنطق. ونقل القصة كالتالي:

اعلم أن الله قد خص أبا حنيفة بالسريرة والكرامة، ومن كراماته أن الخضر - عليه السلام - كان يجيء إليه كل يوم وقت الصبح، ويتعلم منه أحكام الشريعة إلى خمس سنين، فلما

(١) ولا يخفى أنه يوجد في كتاب ابن الجوزي (الموضوعات) أحاديث غير موضوعة، ولكن لا يعني هذا أن لا نهم بكل ما يقول.. وما ذكر من الأحاديث الموضوعة معظمها كما يقول شيخ الإسلام ابن حجر: (غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع، والذي ينتقد عليه بالنسبة إلى ما لا ينتقد قليل جداً). انظر هذا القول في (منهج النقد في علوم الحديث) للدكتور نور الدين عتر ص ٢٩٨.

(٢) هو علي بن سلطان محمد القاري الهروي نور الدين الفقيه الحنفي، نزيل مكة المتوفى بها سنة (١٠١٤) انظر هدية العارفين ج ١ ص ٧٥١.

توفي أبو حنيفة ناجي الخضر ربّه قال: إلهي! إن كان لي عندك منزلة فأذن لأبي حنيفة حتى يعلمني من القبر على حسب عادته حتى أعلم شرع محمد ﷺ على الكمال، ليحصل لي الطريقة والحقيقة. فنودي: أن اذهب إلى قبره وتعلم منه ما شئت. فجاء الخضر وتعلم منه ماشاء، كذلك إلى خمس وعشرين سنة أخرى، حتى أتم الدلائل والأقويل، ثم ناجى الخضر ربه وقال: إلهي! ماذا أصنع؟ فنودي: أن اذهب إلى صعانك^(١) واشتغل بالعبادة إلى أن يأتيك أمري. إلى أن قال له: اذهب إلى البقعة الفلانية، وعلم فلاناً علم الشريعة. ففعل الخضر - عليه السلام - ما أمره، ثم بعد مدة ظهر في مدينة ما وراء النهر شاب، وكان اسمه (أبا القاسم القشيري)، وكان يخدم أمه ويحترمها. ثم إنه قال وقتاً من الأوقات لأمه: يا أماه! قد حصل لي الحرص على طلب العلم. وقد قال علي - كرم الله وجهه -: من كان في طلب العلم كانت الجنة في طلبه. فأذني لي بالسفر إلى بخارى^(٢) لأتلقى العلم. فقدرت والدته أنها إن لم تأذن له فستكون مانعة للخير، وإن أذنت له لم تصبر على فراقه. فلم يكن لها بد حتى أذنت له. فودع القشيري أمه، وعزم على السفر مع شاب صاحب له، يطلبان العلم. فقعدت

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هي: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، وهي مدينة قديمة فتحها القائد قتيبة بن مسلم سنة (٨٧). ينسب إليها خلق كثير من أئمة المسلمين في فنون شتى منهم: إمام أهل الحديث؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦) وهي الآن تحت الحكم الشيوعي الكافر. انظر للزيادة: معجم البلدان ج ١ ص ٣٥٣ - ٣٥٦.

أمه على الباب باكية حزينة وقالت: إلهي! اشهد أني حرمت على نفسي الطعام والمنزل، ولا أقوم من مقامي حتى أرى ولدي. فمضى القشيري ليقضي حاجته فتلوث ثيابه ببوله، وقال لصاحبه: اذهب أنت فإني أريد أن أرجع إلى المنزل، وأخاف أن تصيب النجاسة جسمي في المنزل الثاني، ويصيب روحي في الثالث! ففعودي عند والدتي أولى. ورجع إلى أمه فوجدتها في مكانها الذي ودعها منه. فقامت وصافحت ولدها وقالت: الحمد لله. فأمر الله تعالى الخضر: أن اذهب إلى القشيري وعلمه ما تعلمت من أبي حنيفة - رضي الله عنه - لأنه أرضى أمه. فجاء الخضر إلى أبي القاسم وقال: أنت أردت السفر لأجل طلب العلم وقد تركته لرضا أمك، وقد أمرني الله تعالى أن أجيء إليك كل يوم على الدوام وأعلمك. فكل يوم يجيء إليه الخضر حتى ثلاث سنين، وعلمه العلوم التي تعلم من أبي حنيفة في ثلاثين سنة، حتى علمه علم الحقائق والدقائق، ودلائل العلم، وصار مشهور دهره، وفريد عصره، حتى صنف ألف كتاب!! وصار صاحب كرامة، وكثر مريدوه وتلاميذه^(١). . . الخ.

قال الشيخ علي القاري بعد أن نقل هذه الحكاية مختصرة جداً:

ولا يخفى أن هذا مع ركاكته ولحنه، كلام بعض الملحدين

(١) انظر الحكاية كاملة في كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة) للشيخ محمد بن رسول الحسيني البرزنجي؛ الصفحات: ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥ كما نقلت من كتاب (أنيس الجلساء)، بتصرف يسير.

الساعين في إفساد هذا الدين، إذ حاصله:

١- أن الخضر الذي قال تعالى في حقه: ﴿عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ - وقد تعلم منه موسى - عليه السلام - أصبح من جملة تلاميذ أبي حنيفة!..

٢- وما أسرع فهم التلميذ حيث أخذ عن الخضر في ثلاث سنين ما تعلمه الخضر من أبي حنيفة حياً وميتاً في ثلاثين سنة!.

٣- وأعجب منه أن أبا القاسم القشيري^(١)، ليس معدوداً في طبقات الحنيفة!.

(١) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري؛ الفقيه الشافعي. كان من كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول، والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف. جمع بين الشريعة والحقيقة، أصله من ناحية (استو) من العرب الذين قدموا (خراسان). توفي أبوه وهو صغير، وقرأ الأدب في صغره، على يد مشايخ أجلاء منهم: أبو علي الدقاق، ومحمد بن أبي بكر الطوسي، وأبو بكر بن فورك، وأبو إسحق الأسفرايني. صنف التفسير الكبير وسماه (التيسير في علم التفسير) وهو من أجود التفاسير، وصنف الرسالة في رجال الطريقة، وخرج إلى الحج بصحبة الشيخ أبي محمد الجويني؛ والد إمام الحرمين، وأحمد بن الحسين البيهقي، وجماعة من المشهورين، فسمع منهم الحديث ببغداد والحجاز، وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء. وأما مجالس الوعظ والتذكير فكان إمامها، وعقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة (٤٣٧) قال فيه أبو الحسن الباخري: (لو وقع الصخر بصوت تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لثاب. وقال عنه الخطيب في تاريخه: كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي. ولد =

٤ - ثم العجب من الخضر أنه أدرك النبي ﷺ ولم يتعلم منه الإسلام، ولا من الصحابة الكرام، كعلي باب مدينة العلم^(١) وأقصى الصحابة، وزيد أفرضهم، وأبي أقرئهم، ومعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحرام، ولا من عطاء التابعين كالفقهاء السبعة، وسعيد بن المسيب بالمدينة، وعطاء بمكة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام. . وقد رضي بغيرهم؟ قال: فهذا لا يخفى بطلانه حتى على العقول السخيفة^(٢).

ثم قال العلامة المحقق الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، صاحب كتاب الإشاعة: إن كلام القائل المذكور باطل من وجوه كثيرة، منها ما أشار إليه الشيخ على القاري، ومنها:

٥ - أن أبا القاسم القشيري من الفقهاء الشافعية، ومشايخه في الفقه والكلام والتصوف معروفون، كما تنطق به رسالته

= سنة (٣٧٦) وتوفي سنة (٤٦٦) بمدينة (نيسابور)، ودفن بالمدرسة تحت شيخه أبي علي الدقاق. راجع ترجمته باختصار في دائرة معارف القرن العشرين ج ٧ ص ٧٩٩.

(١) قال الترمذي عن حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»: إنه منكر. وكذا قال البخاري. وقال: إنه ليس له وجه صحيح. وقال ابن معين: إنه كذب لا أصل له. وأورده ابن الجوزي في الموضوع ووافقه الذهبي وغيره. . . انظر كتاب أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ص ٧٢-٧٣ وانظر التحقيق المسهب عنه في كتاب (كشف الخفاء) ج ١ ص ٢٣٥-٢٣٧.

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة ص ٢٢٥ الطبعة الأولى ١٣٢٥. مطبعة السعادة بمصر. بتصريف يسير.

المتداولة بين أيدي المسلمين شرقاً وغرباً.

٦- ومنها أنه لا يعرف له من التأليف غير كتاب: الرسالة والتفسير . وكتب آخر معدودة، لا تبلغ ألف ورقة، فضلاً عن ألف كتاب!! .

٧- ومنها أن الخضر الذي يخاطب ربه ويناجيه، ويحييه ربه ويناديه، لم لا يسأل ربه أن يعلمه الإسلام من غير واسطة أحد حتى يتعلم من قبر أبي حنيفة - رضي الله عنه -؟ .

٨- ومنها أن الخضر إما أن يكون مأموراً بتعلم شرع النبي ﷺ . أو لا فإن كان مأموراً به فتركه التعلم إلى زمن أبي حنيفة - رضي الله عنه - بل إلى بعد موته - وهو وإنما مات سنة مائة وخمسين - ترك للواجب . وكيف يجوز للمعصوم أن يترك الواجب مائة وخمسين سنة - إذا الأصح أنه نبي - وإن لم يكن مأموراً بذلك وإنما هو زيادة تحصيل للكمال، فلم لم يأخذه من النبي ﷺ غصاً طرياً؟ وإن لم يعلم أنه كمال إلا بعد موت أبي حنيفة - رضي الله عنه - فقد جوز الجهل بالكمال .

٩- ومنها أن الإمام أبا حنيفة مجتهد . والمجتهد قد يصيب وقد يخطيء، ولذا خالفه أصحابه في أكثر من ثلث أقواله . فكيف يقلد من لا يخطيء قط من يخطيء ويصيب؟! . . .

١٠- ومنها أن جميع فقه أبي حنيفة يمكن أن تجمع أصوله وفروعه في كتاب واحد أو في كتابين، فما الذي في ألف كتاب؟! . . .

١١- ومنها أن فيها مفاصد كثيرة لا تنحصر. . لأنها افتراءات وأكاذيب، لا يرضاها الله ورسوله. . ولا أبو حنيفة نفسه^(١).

وفي (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) ذكر مصنفه الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي سنداً طويلاً، عن محمد بن عبد الله الرازي قال: سمعت بلالاً الخواص يقول: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني فعجبت منه، ثم ألهمت أنه الخضر. فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك الخضر. قلت: أريد أن أسألك مسألة. قال: سل. قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: من الأوتاد. قلت: فأحمد بن حنبل؟ قال: صديق^(٢).

وفي رواية أخرى ساق سنداً آخر، عن إسحاق بن إبراهيم البستي قال: سمعت أبي يقول: قال رجل من أهل بغداد: ركبت سفينة في البحر، فخرجنا إلى جزيرة، فرأيت شيخاً قاعداً، أبيض الرأس واللحية. فسلمت عليه، فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من أهل بغداد. فقال: إذا أتيت بغداد فاقرأ أحمد بن حنبل السلام وقل له: «فاصبر إن وعد الله حق، ولا

(١) انظر كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة) للعلامة محمد بن رسول الحسيني البرزنجي ص ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠. باختصار كثير.

(٢) انظر كتاب (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ص ١٤٤. طبعة ثانية. الناشر: خانجي وحمدان، بيروت. وانظر القصة أيضاً في كتاب (جامع كرامات الأولياء) للشيخ يوسف النبهاني ج ١ ص ٦١١.

يستخفك الذين لا يوقنون»^(١). قال: ثم غاب الشيخ،
فعلمنا أنه الخضر^(٢).

وقد ورد أن الشيخ عبد القادر الكيلاني - أيضاً - قد التقى
بالخضر - عليه السلام -.

قال الشيخ الإمام تقي الدين محمد الواعظ البناي - عفا
الله عنه - في كتابه الموسوم بروضه الأبرار ومحاسن الأخيار: فلما
دخل^(٣) إلى بغداد، وقف له الخضر - عليه السلام - ومنعه
الدخول وقال له: ما معي أمر بأن تدخل إلى سبع سنين.
فأقام على الشط سبع سنين يلتقط من البقالة من المباح.. ثم
قام ذات ليلة فسمع الخطاب: يا عبد القادر! ادخل بغداد.
فدخل. وكانت ليلة مطيرة باردة^(٤).

وذكر عن الشيخ عبد القادر أنه قال: «... ورافقني الخضر
- عليه السلام - في أول دخولي العراق، وما كنت عرفته،
وشرط أن لا أخالفه، وقال لي: أقعد هنا. فجلست في المكان
الذي أقعدني فيه ثلاث سنين، يأتيني في كل سنة مرة ويقول

(١) الروم (٦٠).

(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) أي: الشيخ عبد القادر. عندما أراد دخول بغداد سنة ٤٨٨ وعمره ثمان
عشرة سنة أيام (المستظهر بالله).

(٤) انظر كتاب (قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء، ومعدن الأصفياء
وسلطان الأولياء، القطب الرباني الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني)
تأليف العلامة المرحوم الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي ص ٣ ملترم
الطبع والنشر: عبد الحميد أحمد حنفي - مصر.

لي : مكانك حتى آتيك»^(١) . . .

وقال الشيخ (أبو سعيد القيلوي)^(٢) : ورأيت أبا العباس الخضر - عليه السلام - يكثر من حضوره^(٣) فسألته فقال : من أراد الفلاح فعليه بملازمة هذا المجلس^(٤) .

وقال الشيخ أبو مدين بن شعيب المغربي^(٥) - رضي الله عنه - لقيت الخضر - عليه السلام - فسألته عن مشايخ المشرق والمغرب الآن، وسألته عن الشيخ عبد القادر الجيلي - رضي الله عنه - فقال : إمام الصديقين وحجة العارفين، وهو روح في المعرفة. وشأنه القربة بين الأولياء كلها - رضي الله عنهم -^(٦) .

وذكرت له قصص أخرى كثيرة مع الخضر - عليه السلام - غير ما ذكرنا^(٧) .

(١) قلائد الجواهر ص ١٠ وانظر هذه القصة أيضاً في كتاب جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٢) نسبة إلى (قيلوية) : من قرى نهر الملك في بلاد العراق. كان من أكابر العارفين والأئمة المحققين توفي سنة (٥٥٧) انظر كرامات الأولياء ج ١ ص ٤٥٨ .

(٣) أي : مجلس الشيخ عبد القادر .

(٤) قلائد الجواهر ص ٧٤ .

(٥) هو : شعيب أبو مدين، أحد أعظم أئمة الطرق المجمع على جلالتهم وولايتهم الكبرى. سكن (بجاية) وكانت وفاته سنة (٥٨٠) . انظر جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ١١٧ . و (بجاية) مدينة على ساحل البحرين بين أفريقية والمغرب . انظر معجم البلدان ج ١ ص ٣٣٩ .

(٦) قلائد الجواهر ص ٧٥ .

(٧) انظر قصصاً أخرى للشيخ عبد القادر الجيلي في (قلائد الجواهر) ص ١٣ =

وللتأكيد من وجوده والتفائه بالناس حلف بعضهم على ذلك. فقد قال الإمام الياضي - رحمه الله تعالى - : (ووالله لقد أخبرني غير واحد من الأولياء أنهم اجتمعوا به، بل والله لقد أخبروني أنه اجتمع بي وسألني عن شيء فأجبتة ولم أعرفه، لأنه لا يعرفه إلا صاحب نور)^(١).

ويقول الشيخ أحمد بن عمر الأنصاري؛ أبو العباس المرسي^(٢): وأما الخضر - عليه السلام - فهو حي، وقد صافحته بكفي هذه.. وعرفني بنفسه. وقال بعد كلام: فلو جاءني الآن ألف فقيه، يجادلونني في ذلك ويقولون بموت الخضر ما رجعت إليهم^(٣).

وذكر عن الإمام مفتي الأنام؛ عز الدين بن عبد السلام^(٤)

= ١٨-١٩ و ٣١. وكتاب (نشر المحاسن الغالية) للإمام الياضي ص ٥٢-٥٣ و ٢٧٨-٢٧٩. وكتاب الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي ج ٢ ص ٤٦٩-٤٧٠. والطبقات الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ١٢٩..

(١) نشر المحاسن الغالية ص ٣٩٦.

(٢) أصله من المغرب ونزل بالإسكندرية، مات فيها سنة (٦٨٦) انظر كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٢١.

(٣) انظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٢١.

(٤) هو: عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين (٥٧٧-٦٦٠) الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق، وزار بغداد سنة (٥٩٩) فأقام شهراً وعاد إلى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزواية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. توفي بالقاهرة. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢١.

- رضي الله تعالى عنه - أنه إذا سئل عن الخضر - رضوان الله وسلامه عليه - أحي هو؟ فقال: ما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد^(١) أنه رآه بعينه . أكنتم تصدقونه؟ قالوا: إي والله نصدقه. قال: فوالله لقد أخبر عنه سبعون صديقاً أنهم رأوه؛ كل واحد منهم خير من ابن دقيق العيد^(٢).

وروي؛ أن بشراً الحافي^(٣) التقى به أيضاً، قال: دخلت

(١) هو محمد بن علي بن وهب أبو الفتح تقي الدين بن دقيق العيد المصري، القوصي، المالكي، الشافعي، الحافظ، الزاهد، المجتهد، شيخ الإسلام، إمام العلماء والصوفية، ولاه الشيخ عز الدين بن عبد السلام القضاء بالوجه القبلي من مصر. مات سنة (٧٠٢)، ودفن بسفح المقطم، وأغلقت حوانيت مصر للصلاة عليه. انظر أخباره في جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج ١ ص ٤٨٧.

(٢) انظر نشر المحاسن الغالية لليافعي ص ٤٠ وانظر قول ابن عبد السلام كذلك في ص ٣٩٦.

(٣) هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن، أحد رجال الصوفية. كان عالماً ورعاً كبير الشأن، أوحده وقته علماً وحالاً، وكان من كبار الصالحين وأعيان المتقين، أصله من (مرو) من قرية من قرأها يقال لها: (ماترسام) وسكن بغداد، وكان من أولاد الرؤساء والكتاب، لقب بالحافي لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لإحدى نعليه، وكان قد انقطع فقال له الإسكاف: ما أكثر كلفتكم على الناس!. فألقى النعل من يده والأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلًا بعدها. قيل لبشر: بأي شيء تأكل الخبز؟ قال: أذكر العافية فأجعلها إداماً. ومن دعائه: اللهم! إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني. ومن كلامه: عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه. وقال: من طلب الدنيا فليتها للذل. وقال: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، وصحبة الأخيار تورث حسن الظن بالأشرار. كان لبشر ثلاث أخوات، (مضغة ونخة وزبدة) وهن زاهدات =

داري يوماً فإذا رجل جالس في الدار، فقلت له: كيف دخلت داري بغير إذني؟ فقال: أنا أخوك الخضر. فقلت: ادع الله تعالى لي. فقال - عليه السلام -: هون الله عليك طاعته. فقلت: زدني. فقال: وسترها عليك^(١).

وكان - رضي الله عنه - يقول: دخلت داري مرة فرأيت رجلاً طويلاً قائماً يصلي، فراعني ذلك لأن المفتاح كان معي. فسلم من صلاته ثم قال لي: لا تفزع، أنا أخوك الخضر. فقلت له: علمني شيئاً ينفعني الله به. فقال: قل: أستغفر الله عز وجل، وأسأله التوبة من كل ذنب تبت منه ثم رجعت إليه، وأستغفر الله عز وجل وأسأله التوبة من كل عقد عقده لله على نفسي ففسخته ولم أوف به، وأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه من كل نعمة أنعم بها علي طول عمري واستعنت بها على معصيته، وأسأله الحفظ والحماية من ذلك كله^(٢).

= عابدات ورعات، وأكبرهن مضغة، ماتت قبل موت أخيها، فحزن عليها حزناً شديداً، وبكى بكاءً كثيراً، فقليل له في ذلك فقال: قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه أخي (مضغة) كانت أنيسي. مات في بغداد سنة (٢٢٧) رضي الله عنه. انظر ترجمته وأخباره في الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار لعبد الوهاب أحمد بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني ج ١ ص ٧٢ الطبعة الأولى. وانظر الرسالة القشيرية ص ١١ ودائرة معارف القرن العشرين ج ٢ ص ٢٠٢.

(١) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٢ وإحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٥٧ والرسالة القشيرية ص ١٧٣ وجامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٦٠٨.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٣-٧٤.

وذكر الإمام الياضي أنه قد ثبت بالروايات الصحيحة الإسناد في سيرة الشيخ الكبير العارف بالله تعالى؛ اليميني الصياد - رضي الله تعالى عنه - التقاؤه بالخضر عليه السلام^(١).

وذكر أن الخضر اجتمع بالإمام النووي - رحمه الله تعالى - ففي مقدمة كتاب (الفتوحات الوهية بشرح الأربعين حديثاً النووية) وأثناء ترجمة المؤلف حياة الإمام النووي قال: واشتهر أن الخضر - عليه السلام - كان يجتمع به^(٢).

ومعروف أن الإمام النووي ممن يرى حياة الخضر، وأنه يجتمع بأهل الصلاح، وحكاياتهم.. أكثر من أن تحصى.

وممن ذكر أنه كان يلتقي بالخضر - عليه السلام - :
الجنيد^(٣)، والشيخ أبو سعيد القلوري^(٤)، والشيخ عبد الله القرشي^(٥)، والشيخ إبراهيم المتبولي^(٦)، والشيخ علي

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبي الخير المعروف بالصياد اليميني الحنفي الكبير الشهير. مات سنة (٧٥٩). انظر أخباره في جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٤٨٧. انظر قصة له مع الخضر في نشر المحاسن الغالية للياضي ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) الفتوحات الوهية لإبراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي المالكي ص ٤.
(٣) انظر قصة له مع الخضر - عليه السلام - في جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ١٢.

(٤) سكن قريباً من بغداد سنة (٥٥٧) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ١٤٧.

(٥) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٠.
(٦) مات سنة (٨٨٠) ونيقياً. انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ٨٣ - ٨٧.

النبتي^(١)، والشيخ أبو عبد الله التستري^(٢)، والشيخ شمس الدين الديروطي الدمياطي^(٣)، والشيخ عبد الرزاق^(٤)، والشيخين: المظفر الجصاص ونصر الخراط^(٥)، والشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الأشخر^(٦)، والشيخ أحمد القصيري^(٧)، والشيخ أحمد اليمني المغربي المجذوب^(٨)، والشيخ أحمد بن

(١) انظر قصة له مع الخضر - عليه السلام - في الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ١٢٣.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ١٨٣. فقد ذكر أنه مرض فأخبر والدته: أنه يموت في هذه المرضة، فقالت له: يا ولدي! من أين لك علم ذلك؟ فقال: أخبرني بذلك الخضر - عليه السلام -. انظر جامع كرامات الأولياء. ج ١ ص ٢٩، وج ٢ ص ١٢٣. وهو كما ترجم له صاحب الأعلام: واعظ زاهد مصري. كان بالجامع الأزهر أيام السلطان قانصوه الغوري، وكان جريئاً على السلطان، عنيفاً في وعظه، متعافياً عن عطائه، يعيش من تجارة في خيار الشنبر وغيره. أصله من (دروط) بمصر ونسبته إليها. توفي بدمياط سنة (٩٢١) له: (القاموس) في الفقه، و(شرح منهاج النووي). انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٧٦.

(٤) الذي بالإسكندرية. وكان من أجل أصحاب الشيخ أبي مدين المغربي. انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ١٥٤.

(٥) جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٥٠٥. وانظر قصتها مع الخضر - عليه السلام - في الرسالة القشيرية ص ١٧٢.

(٦) كان فقيهاً عالماً عاملاً اشتغل في بدايته بالعبادة وصحبة الصالحين، وكان كثير الاجتهاد والعبادة، مات سنة (٨١٨). انظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٢٥٥.

(٧) هو شيخ أبي الوفا بن معروف الحموي الخلوقي. توفي سنة (٩٦٨) انظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٤٧.

(٨) المقيم في مصر، مات سنة (١٠٠٧) ودفن في مصر بقبته بسوقة الصاحب =

محمد بن كسبة^(١)، والشيخ أبو الفداء، وإسماعيل بن عبد الملك بن مسعود البغدادي^(٢)، والشيخ أبو الحسن البكري^(٣)، والشيخ عبد الخالق ابن الشيخ عبد الحميد الغجدواني^(٤)، والشيخ عبد الله بن مشهور بن علي بن أبي بكر العلوي^(٥)، والشيخ علي بن أحمد بن خضر المطوعي^(٦)، والشيخ أبو محمد

= تجاه المدرسة الخاصة. انظر جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج ١ ص ٥٥٢.
(١) الحلبي البغدادي. حضر إلى الشام سنة (١١٢٢). انظر كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٦٣.

(٢) قدم من العراق إلى اليمن واستوطن مدينة (عدن) فأخذ عنه أهلها. كان فقيهاً مباركاً مشهوراً بالعلم والصلاح. انظر كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٨٨.

(٣) انظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٤٧. وهو - كما ترجم له صاحب الأعلام -: محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق؛ أبو الحسن البكري الصديقي: مفسر، متصوف مصري، من علماء الشافعية. مولده ووفاته بالقاهرة كان يقيم عاماً. بمصر وعاماً بمكة. ويقال: إنه أول من حج من علماء مصر في حجة ثم تبعه الناس، وشاع ذكره في أقطار الأرض مع صغر سنه. من كتبه «تسهيل السبيل» في تفسير القرآن ويسمى تفسير البكري و«شرح منهاج النووي» و«إرشاد الزائرين لحبيب رب العالمين» ولد سنة (٨٩٩) وتوفي سنة (٩٥٢) انظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٥٧.

(٤) أحد أكابر أئمة النقشبندية. أخذ عن الشيخ يوسف الهمداني. وغجدوان: قرية عظيمة على ستة فراسخ من بخارى ونسبه يتصل بالإمام مالك. انظر جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ١٤٣.

(٥) توفي سنة ١١٢٤، ولم يذكر محل وفاته. انظر جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٢٦٣.

(٦) المشهور بين الناس بحشيش الحمصاني، أصله من (هلبا سويد) من أعمال (بلييس) انظر جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٣٧٨. و(بلييس) بكسر الباءين وسكون اللام: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ص ٤٧٩.

القاسم بن عبد الله البصري^(١)، والشيخ محمود الكردي الكوراني^(٢)، والشيخ مصطفى الشيباني^(٣).

وقد نقل الإمام الغزالي عن بعض الأولياء أنه قال: أفلقتني الشوق إلى الخضر - عليه السلام - فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء علي. قال: فرأيتَه فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس! علمني شيئاً إذا قلتَه حجبت عن قلوب الخليفة، فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة. فقال: قل: اللهم! اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك، واجعلني في مكنون غيبك، واحجبني عن قلوب خلقك. قال:

(١) من أعيان مشايخ العراق. مالكي المذهب، وكان يفتي على مذهب الإمام أحمد. مات في البصرة سنة (٥٨٠) انظر جامع كرامات الأولياء للشيخ النهائي ج ٢ ص ٤٤٠.

(٢) هو من بلدة (ساقس) من بلاد (كوران)، قدم مصر ليأخذ عن الشيخ محمد الحفناوي الطريقة الخلوتية، توفي في مصر سنة (١١٩٥) وصلي عليه في الأزهر، ودفن بالصحراء بجوار الشيخ مصطفى البكري. انظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ١٧٧. وفي معجم البلدان ج ٤ ص ٤٨٩ أن (كوران) من قرى (أسفرايين) وفي ج ١ ص ١٧٧ أن (أسفرايين) بليدة حصينة من نواحي (نيسابور) على منتصف الطريق من (جرجان).

(٣) هو الشيخ مصطفى البكري بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديق الحنفي، الدمشقي، شيخ الطريقة الخلوتية. ولد بدمشق سنة (١٠٩٩) ونشأ يتيمًا، واشتغل بطلب العلم، وقرأ على مشاهير العلماء، وأخذ الطريق عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي توفي في ١٢ ربيع الثاني سنة (١١٦٢) ودفن بالقرافة الكبرى خارج القاهرة. انظر كرامات الأولياء ج ٢ ص ٤٧١.

ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك. فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم. فحكى أنه صار بحيث كان يستدل ويمتحن^(١)..

وروى ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة بسند صحيح: أنه رأى - وهو شاب - رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء، ثم رآه بعد أن صار شيخاً كبيراً على حالته الأولى، فنهاه عن ذلك أيضاً، قال: فالتفت لأكلمه فلم أره. فوقع في نفسي أنه الخضر^(٢)!..

وذكر الإمام الشعرائي في ترجمة الشيخ شمس الدين الحنفي^(٣): أن الخضر كان يحضر مجلسه مراراً فيجلس على يمينه، فإن قام الشيخ قام معه، وإن دخل الخلوة شيعه إلى باب الخلوة^(٤).

وقال الشيخ خسرو - من أجلاء أصحاب الشيخ بهاء الدين

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ ٤ ص ٣٥٧.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني جـ ٦ ص ٣١١.

(٣) هو من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين. توفي سنة (٨٤٧) وقد أفرد الناس ترجمته بالتأليف، منهم: الشيخ نور الدين علي بن عمر البتوني، وهو مجلدان. قال الإمام الشعرائي: والحق أنه لم يحط علماً بمقام الشيخ - رضي الله عنه - حتى يتكلم عليه، إنما ذكر بعض أمور على طريقة أرباب التواريخ وأهل الطبقات. انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعرائي جـ ٢ ص ٨٨ - ١٠١.

(٤) جامع كرامات الأولياء جـ ١ ص ٢٦٩ والطبقات الكبرى للشعرائي جـ ٢ ص ١٠٠.

شاه نقشبندا^(١) - : قصدت يوماً زيارة الشيخ، فوجدته واقفاً في البستان على حافة الحوض يتكلم معه شخص لم أعرفه، فلما سلمت عليه انصرف ذلك الشخص الى ناحية من نواحي البستان، فقال لي - قدس الله سره - : هذا الخضر. مرتين. فلم أتكلم، بل سكت، وبعون الله تعالى لم أجد في نفسي ميلاً إليه لا ظاهراً ولا باطناً. ثم بعد يومين أو ثلاثة، رأيته في بستان (الخانقاه)^(٢) يتحدث مع الشيخ - قدس الله سره - وبعد مضي شهرين لقيته أيضاً في سوق البخاري فتبسم لي، فسلمت عليه، فعانقني وباسطني وسألني عن أحوالي، فلما رجعت إلى (قصر العارفان) وتمثلت في أعتاب الشيخ - قدس الله سره - قال لي: إنك اجتمعت بالخضر في سوق البخاري^(٣).

وذكر عن الشيخ أحمد بن حسن المعلم^(٤): أنه لما سمع بالخضر - عليه السلام - وأحواله العظام، سأل الله تعالى أن يجمعه به ليستنشق من عرف طيبه فانفق له في بعض الأحيان

(١) هو الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبندا البخاري، شيخ الطريقة العلية النقشبندية الأعظم، وأحد أكابر أئمة الصوفية. أخذ الطريق عن الشيخ محمد بابا السماسي ثم عند السيد أمير كلال. ولد سنة (٧١٧) في قرية (قصر العارفان) على فرسخ من بخارى وتوفي سنة (٧٩١). انظر أخباره في جامع كرامات الأولياء ج ١ من ص ٢٤٠.

(٢) رباط الصوفية. انظر المعجم الوسيط.

(٣) انظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٤) هو: أخو السيد محمد جمل الليل؛ أحد السادة المشهورين والأولياء العارفين والعلماء العاملين.

أنه أتى وقت الهجرة إلى غار من الغيران، فجاءه بدوي وجلس عنده طويلاً ولم يتكلم إلا كلاماً قليلاً، وتأنس به غاية الاستئناس، وعلم أنه من أعيان الناس، ولما غاب عنه وطار، وعبقت الرائحة في ذلك الغار. فعرف أنه الخضر العظيم المقدر - عليه السلام - ثم سأل عنه أهل ذلك الوادي فقالوا: ما أتى غيرك. ولما اجتمع بشيخه عبد الرحمن السقاف^(١)، وأخبره بتلك الأوصاف قال له: هو الخضر - عليه السلام - ولا بد أن تنالك بركة الاجتماع به^(٢).

وذكر عن الشيخ أحمد بن علوي باحجدب^(٣): أنه كثير الاجتماع بالخضر - عليه السلام - وطلب منه تلميذه (عوض باختر) أن يجمع بينه وبين الخضر فقال: ستجتمع به ولا تقدر عليه، فاجتمع به في الجبل المشهور بـ (المعجاز) - وهو في صورة بدوي - فلم يعرفه، فلما بعد عنه ناداه وقال له: السلام عليك يا عوض باختر! ستقضى حاجتك، وسلم على شيخك الشيخ أحمد. فقال له عوض: قف لي حتى أسألك. فقال له: أما قال لك الشيخ أحمد ما تقدر عليه؟ ثم غاب عنه فلم يره^(٤).

(١) توفي سنة (٨١٩) بـ (تريم) بمقبرة (زنبيل) في حضرموت.

(٢) انظر جامع كرامات الأولياء جـ ١ ص ٥٤٤ - ٥٤٥. وقد وردت قصة مشابهة لهذه القصة في جـ ٢ ص ١٥١ من نفس المصدر واعتقد أنها نفس هذه القصة.

(٣) مات سنة (٩٧٣) بمدينة (تريم) ودفن بمقبرة (زنبيل). وتريم مدينة في حضرموت كما في معجم البلدان.

(٤) جامع كرامات الأولياء جـ ١ ص ٥٤٩.

وفي معرض الحديث عن كرامات الشيخ عبد الفتاح ابن الشيخ محمد أبي علي الزعبي^(١)، قال الشيخ يوسف النبهاني: منها ما أخبرني به أحد سلالاته الطاهرة سيدي العالم الفاضل، الحسيب النسيب الشيخ عبد الفتاح أفندي، نقيب الأشراف في طرابلس، عمن روى له ذلك من الثقات أن بعض تلامذته، واسمه الشيخ مصطفى، قال له: قد سألتك يا سيدي مراراً أن تسأل الله تعالى أن يمن علي باجتماعي بالخضر ولم تفعل. فقال له: يا شيخ مصطفى! أما مر الخضر عليك في اليوم الفلاني بالصفة الفلانية، وكلمك بكذا وكذا ولم تلتفت إليه؟ فماذا أصنع لك أنا؟ فتذكر الشيخ مصطفى القضية وتأسف جداً^(٢)..

وقال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني أيضاً: أخبرني صديق لي اسمه محيي الدين بن الحاج علي حشيشو من علماء صيدا، وما عهدت عليه كذباً قط مع كثرة معاشرتي له أيام مجاورتي في الأزهر، وبعد ذلك قال لي: كنت جالساً عند شيخنا العارف بالله الشيخ علي نور الدين الشرطي الشاذلي، فجاءه الشيخ أحمد النوباني^(٣) وقال له: كنت في جهة بلاد

(١) الطرابلسي القادري نسباً وطريقة؛ أحد الأولياء العارفين والعلماء العاملين. توفي سنة (١٢٢٢).

(٢) انظر جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) هو الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله النوباني من أهل قرية (المزارع) من أعمال القدس، وهو من بيت الصلاح والولاية والشرف من سلالة الشيخ عبد القادر الجليلاني. قال الشيخ النبهاني: وقد اجتمعت به مراراً في بيروت. توفي سنة (١٣٢٢) في قريته.

حوران، فاجتمعت بالخضر - عليه السلام - فحملني السلام إليك . فاجتمعت بالخضر - عليه السلام - فحملني السلام إليك . وها أنا جئت لأبلغك سلامه . قال الشيخ محيي الدين : وكنت أرى شيخنا المذكور (نور الدين) يكرم ويحترم الشيخ أحمد هذا كثيراً . ولا يخفي أن الاجتماع بالخضر - عليه السلام - هو من أعظم الكرامات، ولا يجتمع به إلا القليل من أكابر أولياء الله تعالى^(١).

وروى البطائحي قال : رأيت الشيخ أبا البيان^(٢)، والشيخ رسلان^(٣)، مجتمعين بجامع دمشق، فسألت الله أن يحجبني حتى لا يشتغلا بي، وتبعتهما حتى صعدا إلى أعلى مغارة الدم، وقعدا يتحدثان، وإذا بشخص قد أتى وكأنه طائر في الهواء، فجلسا بين يديه كالمرئيين، وسألاه عن أشياء من جملتها : أعلى وجه الأرض بلد ما رأيت؟ فقال : لا . فقال له : هل رأيت مثل دمشق؟ فقال : ما رأيت مثلها . فكانا يخاطبانه : يا أبا العباس ! فعلمت أنه الخضر^(٤).

ونقل عن الشيخ أبي تراب عسكر بن الحسين النخشي^(٥)

(١) جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

(٢) هو الشيخ أبو البيان بناء بن محمد بن محفوظ القرشي الدمشقي، شيخ الطائفة البيانية المنسوبة إليه بدمشق، وكان إماماً، عالماً، زاهداً، عابداً، ورعاً . يعرف اللغة والنحو والفقهاء . توفي سنة (٥٥١) .

(٣) الشيخ رسلان الدمشقي، سكن دمشق ومات بها سنة (٥٦٠) .

(٤) جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٦١١ .

(٥) هو من أجلة مشايخ خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم والفتوة والزهد =

- رحمه الله تعالى - أنه كان يقول: رأيت رجلاً بالبادية فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الخضر الموكل بالأولياء، أرد قلوبهم إذا شردت عن الله عز وجل. يا أبا تراب! التلغ في أول قدم، والنجاة في آخر قدم^(١).

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي^(٢) يقول: لقيت الخضر - عليه السلام - في صحراء عيذاب فقال لي: يا أبا الحسن! أصبحك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل^(٣).

وعن الإمام أبي القاسم القشيري قال: سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا بكر النابلسي يقول: سمعت أبا بكر الهمداني يقول: بقيت في جربة الحجاز أياما لم آكل شيئاً، فاشتيت (باقلا)^(٤) حارا وخبزا من (باب الطاق) فقلت: أنا

= والورع، صحب حاتم الأصم، وأبا حاتم العطار. مات سنة (٢٤٥) رحمه الله تعالى. انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٨٣.

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٨٣.

(٢) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي. و(شاذلة): قرية من أفريقية.

نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، صحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني وغيره. مات بصحراء (عيذاب) قاصداً الحج، ودفن هناك في ذي القعدة سنة (٦٥٦). أفرد بالترجمة من قبل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله وتلميذه أبي العباس. انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ٤-١٢.

(٣) جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٣٤٣-٣٤٤. والطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ٥.

(٤) نبات عشبي سنوي زراعي من فصيلة القطنيات الفراشية. انظر المعجم الوسيط.

في البرية وبينني وبين العراق مسافة بعيدة. فلم أتم خاطري إلا واعرابي من بعيد ينادي: (باقلا حار وخبز). فتقدمت إليه فقلت: عندك باقلا حار وخبز؟ فقال: نعم. وبسط مئزراً كان عليه، وأخرج خبزاً وباقلاً وقال لي: كل. فأكلت. ثم قال لي: كل. فأكلت. ثم قال لي: كل. فأكلت. فلما قال لي في الرابعة: قلت: بحق الذي بعثك إليّ الا ما قلت لي من أنت؟ فقال: الخضر. وغاب عني فلم أراه^(١).

وروى الإمام القشيري في رسالته عن أحمد بن علي السائح قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال: حدثنا محمد بن الحسن العسقلاني قال: حدثنا أحمد بن الحواري قال: اشتكى محمد بن السماك^(٢)، فأخذنا ماءه وانطلقنا به إلى الطبيب، وكان نصرانياً. فبينما نحن بين الحيرة والكوفة، استقبلنا رجل حسن الوجه، طيب الرائحة، نقي الثوب. فقال لنا: إلى أين تريدون؟ فقلنا: نريد فلانا الطبيب، نريه ماء ابن السماك، فقال: سبحان الله! تستعينون على ولي الله بعدو الله؟ اضربوا به الأرض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له: ضع يدك على موضع الوجع وقل: «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل»^(٣). ثم غاب

(١) الرسالة القشيرية ص ١٧٤ - ١٧٥. وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ج ١ ص ٤٢٣.

(٢) هو أبو العباس محمد بن السماك، توفي بالكوفة سنة (١٨٣). من أقواله: من شرط الزاهد أن يفرح بتحويل الدنيا عنه. وقال: هب الدنيا كلها في يديك، فانظر ما في يديك منها عند الموت. انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٦١.

(٣) الإسراء (١٠٥).

عنا فلم نره. فرجعنا إلى ابن السماك. فأخبرناه بذلك، فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل، فعوفي في الوقت فقال: ذلك الخضر - عليه السلام - (١).

وكان الشيخ أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري (٢) - رحمه الله تعالى - يقول: علمني الخضر - عليه السلام - رقية للوجع فقال: إذا أصابك وجع فضع يدك على الموضع وقل: «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل». فلم أزل أقولها على الوجع فيذهب لساعته (٣).

وحكي عن الشيخ رستم خليفة البرسوي (٤) أن بعض محبيه اشتكى عينيه في بعض الأيام وامتد ذلك مدة، فقال الشيخ: كانت رمدت عينا في بعض الأيام، وامتد ذلك مدة، ولم ينجع الدواء. فلقيت يوماً رجلاً شاباً فقال لي: يا والدي! اقرأ المعوذتين في الركعتين الأخيرتين من السنن المؤكدة. قال: فداومت على ذلك، فشفي الله تعالى بصري. قال ذلك البعض: قلت من هذا الشاب؟ قال: هو رجل مشهور،

(١) انظر تفسير النسفي الآية (١٠٥) من سورة الإسراء. وانظر الرسالة القشيرية ص ١٧٣. الناشر دار الكتاب العربي - بيروت. وانظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢.

(٢) اسمه ميمون، من أهل دمشق، صحب أبا سليمان الداراني، وسفيان بن عيينة وغيرهما. مات سنة (٢٣٠). كان الجنيد يقول عنه: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام. انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٨٢.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٨٢.

(٤) أصله من قصبه قونيك من ولاية أناضول، مات بمدينة بروسيا سنة (٩١٧).

فعلت أنه الخضر - عليه السلام - ففعلت كما قال، فبرئت
عيني^(١).

وفي إحياء علوم الدين، حكى عن بعض الشيوخ أنه قال:
رأيت أبا العباس الخضر - عليه السلام - فقلت له: ما تقول
في هذا السماع^(٢) الذي اختلف فيه أصحابنا؟ فقال: هو
الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء^(٣).

وبعدها بصفحات ذكر الإمام الغزالي أن الخضر أجابه في
المنام^(٤).

وقال العلامة الزبيدي بعد ذكر الخبر: (كذا نقله صاحب
القوت.. ونقله أيضاً عن الشهاب السهروردي في العوارف،
والأدفوي^(٥) في الإمتاع^(٦))، ولفظ العوارف: رأى بعض

(١) جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٧٢-٧٣.

(٢) أي: الذكر المسموع الحسن الجميل. انظر المعجم الوسيط.

(٣) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٧٠ وكذا نقله الإمام الياضي عن الإمام
السهروردي. انظر نشر المحاسن الغالية ص ٣١٢.

(٤) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٨٩.

(٥) هو جعفر بن تغلب بن جعفر بن تغلب كمال الدين؛ أبو الفضل
الشافعي، المؤرخ، الأدفوي (بضم الهمزة وسكون الدال. بلد بصعيد
مصر). ولد سنة (٦٧٥) وتوفي سنة (٧٤٩). انظر هدية العارفين ج ١
ص ٢٥٤.

(٦) كتاب الإمتاع في أحكام السماع؛ كتاب نفيس لم يصنف مثله كما شهد له
التاج السبكي في التوشيح وقد لخصه الشيخ أبو حامد المقدسي واقتصر على
المقصود منه... وسماه تشنيف الأسماع. انظر كشف الظنون ج ١
ص ١٦٧.

الصالحين أبا العباس الخضر. قال: قلت: ما تقول؟. فذكره.

وأورده القشيري هكذا في الرسالة^(١).

وقال الإمام الغزالي أيضاً: ما حكى عنهم - أي: المشايخ - من مشاهدة الخضر - عليه السلام - والسؤال له، ومن سماع صوت الهاتف، ومن فنون الكرامات، خارج عن الحصر. والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه. ومن أنكر الأصل^(٢)، أنكر التفصيل^(٣).

وقيل لبعض العارفين: بلغنا أنك ترى الخضر - عليه السلام - فتبسم وقال: ليس العجب ممن يرى الخضر، ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه^(٤)!!.

قال العلامة الزبيدي: هذا كما نقله القشيري عن بعضهم أنه أراد منه الخضر أن يصحبه فأبى، فسئل عن ذلك فقال: خفت أن يفسد علي توكلي^(٥).

قلت: هو الشيخ إبراهيم الخواص^(٦)، كما ذكر في عدة

(١) إتحاف السادة المتقين ج ٦ ص ٤٦٨ و ٥٣٤.

(٢) يقصد الإيمان بالكرامات.

(٣) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٥٥.

(٤) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٥٥.

(٥) إتحاف السادة المتقين ج ٩ ص ٦٧٣.

(٦) هو أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل الخواص - رحمه الله تعالى - كان أوحده المشايخ في وقته. وكان من أقران الجتيد والثوري. مات بجامع الري سنة =

وروى الإمام القشيري قصة له مع الخضر - عليه السلام - قال: سمعت عبد الله الشيرازي يقول: سمعت محمد بن فارس الفارسي يقول: سمعت أبا الحسن خير النساج يقول: سمعت الخواص يقول: عطشت في بعض أسفاري، وسقطت من العطش، فاذا أنا بماء رش على وجهي، ففتحت عيني، فاذا برجل حسن الوجه، راكب دابة شهباء، فسقاني الماء وقال: كن رديفي. وكنت بالحجاز، فما لبثت إلا يسيراً فقال لي: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينة. فقال: انزل واقرء رسول الله ﷺ مني السلام وقل: أخوك الخضر يقربك السلام (٢).

= (٢٩١)؛ مات بعلة البطن، وكان كلما قام توضأ وصلى ركعتين.. كان يقول: إنما العلم لمن اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم. وكان يقول: التاجر برأس مال غيره مفلس. ويقول: أربع خصال عزيزة: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة فعله، ورجل قائم لله بلا سبب، ومريد ذهب عنه الطمع. ويقول: المفخرة والمكاثرة يمنع من معرفة قدر النفس، والتكبر يمنع من معرفة الصواب، والبخل يمنع من الورع. ويقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. انظر أخباره في الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٩٧-٩٨ والرسالة ص ٢٤.

(١) انظر الرسالة القشيرية ص ٧٧ وإحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٦٩ والطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٩٧. أما سبب فساد توكله فقال: خيفة أن تسكن نفسي إليه.

(٢) انظر الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري ص ١٧١-١٧٢ =

وذكر عنه أنه لما رآه مرة قال له: بماذا رأيتك؟ قال: ببرك
لأمك^(١).

وقد حكى عن الخضر - عليه السلام - أنه قال: ما حدثت
نفسي يوماً قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته، وإلا ورأيت
في ذلك اليوم ولياً لم أعرفه^(٢).

وأورد العلامة الألوسي. بعضاً من هذا، وكأنه آيد القول
باجتماعه بأكابر الصوفية والعباد المحافظين على الحدود
الشرعية، ولكن بكيفية معينة، ونقل ذلك عن بعض شيوخ
طريقته^(٣). قال: إنه قد شاع اجتماعهم، حتى إن منهم من
طلب الخضر مرافقته فأبى. وروي ذلك عن علي الخواص^(٤) -
رحمه الله تعالى - في سفر حجه، وسئل عن سبب إباته فقال:

= والطبقات الكبرى للإمام الشعрани ج ١ ص ٩٨ وجامع كرامات الأولياء
للشيخ النبهاني ج ١ ص ٣٩٠ مع اختلاف بسيط.
(١) جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٣.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٤ ص ٣٥٥-٣٥٦. وانظر قصصاً
أخرى غريبة للعلماء والأولياء مع الخضر - عليه السلام - في جامع كرامات
الأولياء ج ١ ص ٥١٣ و ٥٥٢ و ٥٦٣ و ج ٢ ص ١٤٣ و ٥٨١-٥٨٢
وقلائد الجواهر ص ٦٦-٦٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٤٦٩-٤٧٠.
والرسالة القشيرية ص ١٦٦.

(٣) هي: النقشبندية، فقد كان تلميذاً للشيخ خالد النقشبندي رحمه الله تعالى.
(٤) رأينا قبل قليل أنه إبراهيم الخواص، إلا إذا كان مثل هذه الحادثة جرت
مع الشيخ علي الخواص، وهو من مشايخ القرن العاشر الهجري. انظر
ترجمته في الطبقات الكبرى للشعрани ج ٢ ص ١٥٠-١٦٩.

خفت من النقص في توكلي، حيث اعتمد على وجوده معي^(١).
قال: واجتماعهم به يحتمل أن يكون من قبيل ما يذكرونه من
اجتماعهم بالنبي ﷺ واجتماعه - عليه الصلاة والسلام - بهم،
وذلك أن الأرواح المقدسة تظهر متشكلة، ويجمع بها الكاملون
من العباد^(٢).

وقد ذكر أن من المشايخ من يقول: إن الخضر في عالم
المثال^(٣). إلا أن الإمام الغزالي يقول: يشاهد بالبصر صورة
الخضر - عليه السلام - فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور
مختلفة^(٤).

ويعلق العلامة الألوسي البغدادي على (ظواهر الحكايات
المروية) ويقول: (والله تعالى أعلم بصحتها عن بعض
الصالحين الأخيار)^(٥).

ثامناً: لقاءه بالعامّة

أما لقاءه بالعامّة من الناس فمشهور..
وبعضهم يسمي أولاده باسمه تيمناً به وتفاؤلاً..

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٧.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ١٥ ص ٣٢٧.

(٣) روح المعاني للألوسي ج ١٥ ص ٣٢٦. أي: الاجتماع السوري. وانظر
مثالاً له في جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٥٧٢.

(٤) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٥) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٨.

وربما لن نجد مسلماً لم يسمع بالخضر - عليه السلام - وسماعهم به مقترن ببقائه بالناس.. كما أن مجرد ذكر اسمه يبعث إلى الذاكرة تصوراً غريباً وفريداً من نوعه.. وذلك لأنه شخصية غريبة عجيبة، ليس لها مثيل في التاريخ..

وأخباره الفائضة التي يذكرها العامة في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي تكون أكثر ما تكون في جو بعيد عن المجال الاجتماعي كجو المدن، وربما كان هذا لثلاثة أسباب:

١- لأن أهل المدن ليس لديهم هذا الاستعداد العقلي والنفسي لتقبل هذه الأخبار الغريبة البعيدة عن الواقع. فهم على جانب من الالتصاق بالواقع والمادة أكثر من أهل القرى والبوادي الذين يتصفون بصفاء النفس ونقاها، فيأخذون الأقوال على سجيتها.

٢- إن المعروف عن الخضر أنه - كما قيل - يلتقي ببعضهم أثناء الحاجة الماسة والانقطاع عن آمال الحياة. والمدينة تتوفر فيها أسباب المعيشة بارتياح أكثر.. ولذلك فإن ذكر لقاءاته أو الحديث عنه أقل بكثير منها هناك.

٣- إن انتقال الخبر في جو صغير، وبعدد قليل من السكان، ينتشر أكثر من جو المدينة الذي لا يسمع به إلا الخاصة من الأهل والأصدقاء.

٣ - وربما استنتجنا من أخباره الفائضة والغريبة ملاحظتين، تكاد أن تكونا متناقضتين:

آ- إن الحديث عن الخضر وحده دون غيره من الناس، وأنه باق إلى الآن، ويلتقي بالناس، ربما كان له أساس من الصحة، فإن لم يكن حقيقة ففي عالم المثال.

ب- إن الشخصية الغربية والمجهولة، دائماً يحاك حولها الكثير من الحكايات المبالغ فيها.

ويحار المرء عندما يسمع أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء.. فلا يدري أيهما يصدق.. أو قل: إلى أي قول يطمئن..

ونحن مهمتنا أن نأتي بآراء الطرفين وأدلتها، وما ورد من بعض الحكايات، ودرجة صحتها - إن توفر ذلك - وبعدها للقارئ أن يستنتج ويطمئن ويرتاح إلى الرأي القوي.

وقد اقتصرنا هنا على إيراد لقاءات الخضر بالعامية على ما ورد في الكتب، دون ذكر ما يقال عنه في زمننا. لأن الجديد يكاد أن يكون أخباراً فردية محلية، تؤثر فيها الادعاءات، ولا يدون أمثالها للتاريخ.. ونستطيع أن نقول عن الأخبار القديمة كذلك. ولم أكن لأكتبها لولا أن تكملة جوانب البحث، والأمانة في إعطاء كل طرف حقه تقتضيان هذا.

ونعود إلى إيراد أقوال العلماء.. وسرد بعض ما روي من اجتماع الخضر بالناس.

يقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: الأكترون من العلماء على أنه موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به

والأخذ عنه، وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تحصى^(١)..

ويقول القسطلاني: الأكثرون - كما قاله النووي - على حياته بين أظهرنا. واتفق عليه سادات الصوفية. كابن أدهم، وبشر الحافي، ومعروف الكرخي، وسري السقطي، والجنيد. وبه قال عمر بن عبد العزيز^(٢). وذكر ابن الصلاح أن العامة معهم في ذلك^(٣). وما قيل من لقاءاته بالعامه ما رواه أحمد في الزهد من طريق مسعر، عن معن بن عبد الرحمن، عن عوف بن عبد الله قال: بينا رجل بمصر في فتنة الزبير مهموماً، إذ لقيه رجل فسأله، فأخبره باهتمامه بما فيه الناس من الفتن فقال: قل: اللهم! سلمني، وسلم مني. قال: فقلها فسلم. قال مسعر: يرون أنه الخضر^(٤).

وروى البيهقي من طريق الحجاج بن قرافصة، أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر فقام عليه رجل، فنهاهما عن الحلف بالله، ووعظهم بموعظة فقال ابن عمر لأحدهما: اكتبها منه. فاستعادها حتى حفظها. ثم تطلبه فلم يره. قال: وكانوا يرون أنه الخضر^(٥).

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ ص ١٧٧.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٨٣-٣٨٤.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ والدرر النقية في المطالب الفقهية ص ١٤٢ تأليف رشيد الراشد.

(٤) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

(٥) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٢.

وروى عمر الجمحي في فرائده، والفاكهي^(١) في كتاب
(مكة) بسند فيه مجهول، عن جعفر بن محمد: أنه رأى شيخاً
كبيراً يحدث ثم ذهب فقال له أبوه: رده علي. قال: فتطلبته
فلم أقدر عليه. فقال لي أبي: ذاك الخضر^(٢).

وروى ابن عساكر: أن الوليد بن عبد الملك بن مروان^(٣)؛
بأبي جامع دمشق، أحب أن يتعبد ليلة في المسجد، فأمر
القومة^(٤) أن يخلوه له، ففعلوا، فلما كان من الليل، جاء من
باب الساعات، فدخل الجامع، فإذا رجل قائم يصلي فيما بينه
وبين باب الخضراء فقال للقومة: ألم أمركم أن تخلوه؟ فقالوا:
يا أمير المؤمنين! هذا الخضر يحيي كل ليلة يصلي ههنا^(٥).

والذاهب إلى الجامع الأموي بدمشق يرى في قسمه الشرقي
مكتوباً على الحائط الجنوبي: (مقام الخضر - عليه السلام -).

(١) هو: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي؛ مؤرخ من أهل مكة. كان
معاصراً للأزرق، متأخراً عنه في الوفاة. له: (تاريخ مكة). انظر الأعلام
للزركلي ج ٦ ص ٢٨.

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٣١٢.

(٣) الخليفة الأموي. بويح له يوم مات والده سنة (٨٦). وفي أيامه كثرت
فتوحات المسلمين في إسبانيا، وولى الحجاج خراسان مع العراق، فتغلغل
في بلاد الترك، ودخل قائده مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم، وفتح محمد
ابن القاسم بلاد الهند. توفي سنة (٩٦). انظر دائرة معارف القرن العشرين
لمحمد فريد وجدي ج ١٠ ص ٨١١.

(٤) أي: القائم بأمر المسجد.

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٣.

وربما كانت هذه الكتابة منذ اشتهار هذه القصة بين الناس^(١).

وفي كتاب (الدعاء) للطبراني قصة أخرى من طريق محمد ابن المهاجر البصري: حدثني أبو عبد الله بن التوأم الرقاشي: أن سليمان بن عبد الملك^(٢) أخاف رجلاً، وطلبه ليقتله، فهرب الرجل، فجعلت رسله تختلف إلى منزل ذلك الرجل يطلبونه، فلم يظفر به. فجعل الرجل لا يأتي بلدة إلا قيل له:

(١) وفي فصل آثار الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- في بيت المقدس، ذكر صاحب العقد الفريد أسماء أبوابه، وسمي أحدها بباب الخضر، كذلك هناك (مصل الخضر عليه السلام). انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج ٧ ص ٣٥٦ وقال ياقوت الحموي: إن من المشاهد في المسجد الأقصى من المشاهد: محراب مريم، وزكرياء، ويعقوب، والخضر، ومقام النبي. انظر معجم البلدان ج ٥ ص ١٧٠. وربما كانت هذه التسمية عند اجتماع الرسول ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام. أو أنه كذلك رُئي الخضر يصلي هناك. وذكر عن علي- كرم الله وجهه- أن مسكنه ببيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب الأسباط. انظر روح البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٩٩.

(٢) خليفة أموي. يعتبر عصره مقدمة لعصر عمر بن عبد العزيز في التدين وتطبيق الشرع. كانت له صفة الفتوة، من شجاعة وكرم وجرأة وعنف وطيبة معاً. وكان في الوقت نفسه متديناً في قرارة قلبه. كان يكره الحجاج وسياسته، فبعد أن مات، ساعده عمر بن عبد العزيز في خلع عماله وقواده، بل تقصد سليمان أن يقتص منهم. حصل في عصره اتجاه جديد في التحضر. حاول فتح القسطنطينية، ولكن النار الإغريقية التي عملت في سفن الجيش جعلته يخفق في فتحها. ولد سنة (٥٤) وتوفي سنة (٩٩). انظر التفصيل في حياته وحكمه الكتاب القيم (الدولة الأموية) من ص ٢٤١ إلى آخر البحث للدكتور يوسف العث. مطبعة جامعة دمشق. ١٣٨٥.

كنت تطلب ههنا. فلما طال عليه الأمر، عزم أن يأتي بلدة لا حكم لسليمان فيها. فذكر قصة طويلة. فبينما هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء، إذ هو برجل يصلي. قال: فخفته، ثم رجعت إلى نفسي، فقلت: والله ما هي راحلة ولا دابة. قال: فقصدت نحوه، فركع وسجد، ثم التفت إلي فقال: لعل هذا الطاغى أخافك؟ قلت: أجل. قال: فما منعك من السبع؟ قلت: يرحمك الله وما السبع؟ قال: سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان القديم الذي لا بادية له، سبحان الدائم الذي لا نفاذ له. سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم. ثم قال: قلها. فقلتها، وحفظتها، والتفت فلم أر الرجل. قال: وألقى الله في قلبي الأمن، ورجعت راجعاً من طريقي، أريد أهلي. فقلت: لأتينا باب سليمان بن عبد الملك. فأتي بي إليه، فاذا هو يوم إذنه وهو يأذن للناس، فدخلته وإنه لعل فرشه، فما عدا أن رأيت، فاستوى على فراشه ثم أوماً إلي، فما زال يدنيني حتى قعدت معه على الفراش ثم قال: سحرتني؟ وساحر أيضاً مع ما بلغني عنك. فقلت: يا أمير المؤمنين! ما أنا بساحر ولا أعرف السحر، ولا سحرتك. قال: فكيف فما ظننت أنه يتم ملكي إلا بقتلك فلما رأيتك لم أستقر حتى دعوتك فأقعدتك معي على فراشي؟! ثم قال: أصدقني أمرك. فأخبرته. قال: تقول أبو سليمان الخضر^(١)؟

(١) هكذا وجدت في كتاب إتحاف السادة المتقين. وإلا فالشهور في كنيته (أبو العباس). وربما كان هذا خطأ مطبعياً. فقد ساق مؤلف كتاب (مفرج الكروب ومفرح القلوب) القصة نفسها من كتاب (إتحاف السادة) إلا أنه =

والله الذي لا إله إلا هو علمكها. اكتبوا له أمانة، وأحسنوا
جائزته، واحملوه إلى أهله^(١).

وأخرج الطبراني أيضاً أن رجلاً دخل على الإمام أحمد بن
حنبل وعنده جمع فقال: من منكم أحمد بن حنبل؟ فقال: ها
أنا. ما حاجتك؟ فقال: جئت من أربعمئة فرسخ برا وبحرا،
أتاني آت فقال: تعرف أحمد بن حنبل؟. قلت: لا. قال:
فأت بغداد وسل عنه، فإذا رأيته فقل: الخضر يقرؤك السلام
ويقول: إن ساكن السماء الذي على عرشه راض عنك،
والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله^(٢).

وروي عن الشيخ أبي بكر اليعقوبي^(٣): أنه جاء قبل موته
إلى أرض قرية (نمرا) وعين مكاناً يدفن فيه، صفته موافقة
لقبره، ثم بعد مدة جاء إلى (الثلجيات) على ثلاث ساعات من
(نمرا) ومات بها. وقال لمن معه: اصرفوا الجماعة وقولوا:
الشيخ تعبان وأنا أموت، فاحملوني سرا على فرسي إلى (نمرا)
لثلا يعلموا فلا يمكنوا مني أحدا، فالكل محبون. ووقد مستقبل
الكعبة، وصار أحدهم يتفقده ساعة بعد ساعة فيكلمه إلى آخر
مرة أشار بيده: اصبر قليلا. فصبر ودخل فوجدوه قد أسند

= قال: (أبو العباس) بدل (أبو سليمان). انظر هذا الكتاب للشيخ يوسف
النبهاني القسم الأول منه ص ٧٨.

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي ج ٧ ص ٨٢.

(٢) جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٤٨٢.

(٣) هو من أكابر الأولياء وأجلاء المشايخ ورؤساء الطريق... وهو من (يعفور)؛
قرية قريبة من دمشق، وكان وفاته سنة (٦٩٣).

ظهره الى الجدار ولم يكن يفعل ذلك . فعلم أنه قد فارق .
فحملوه إلى (نمرا) وكان قال لهم : يجيء شخص من البرية
يغسلني ويلحدني، فلما وصلوا جاء المحبون من الأماكن
المجاورة، وجاء الرجل يقدمهم، يقدمه نور عظيم يسطع،
يشاهده كل أحد، فقال: من يتولاه؟ فقالوا: أنت. ففعل .
فلما أخلده لم يروه. وقال الخبيرون من الحاضرين : هو أبو
العباس الخضر - عليه السلام - (١).

وذكر الشيخ عبد الرحمن الصفوري في نزهة مجالسه حكاية -
وما أكثر الحكايات في هذا الكتاب! :- أن الشيخ عثمان
الصرفيني في بداية أمره - وبعد أن نزع الله من قلبه حب الدنيا
- قال - أي: الشيخ عثمان :- فعاهدت الله أن أسلم نفسي إلى
شيخ يدلني على الله تعالى. ثم سافرت، لا أدري أين أتوجه .
فرايت شيخاً كثير الهيبة، فقال الشيخ: السلام عليك يا
عثمان!. فقلت: وعليك السلام من أنت؟! قال: الخضر!
كنت الساعة عند الشيخ عبد القادر - رضي الله عنه - فقال:
يا أبا العباس! قد جذب البارحة رجل من أهل (صرفين) (٢)،
اسمه عثمان، نودي من فوق سبع سماوات: مرحباً بك يا
عثمان! يا عبدي!. وقد عاهد ربه أن يسلم نفسه لشيخ يدل
على ربه فاذهب إليه فإنك تجده في الطريق فائتني به. قال
الخضر: يا عثمان! الشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه -
يد العارفين في عصره، فعليك بملازمته . فما شعرت بنفسي

(١) جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٤٣٠ .

(٢) موضع بالعراق .

إلا وأنا عند الشيخ عبد القادر! فقال: مرحباً بمن جنبه مولاه
بالسنة الطير، وجمع له كثيراً من الخير. ثم البسني طاقية
وأجلسني في الخلوة شهراً، وأصبت من صحبته خيراً^(١).

وذكر أنه سئل الخضر - عليه السلام - عن أعجب شيء رآه
في الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والقلوات فقال:

أعجب شيء رأيته؛ أي مررت بمدينة لم أر على وجه
الأرض أحسن منها، فسألت بعض أهلها: متى بنيت هذه
المدينة؟ فقالوا: سبحان الله! لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى
بنيت، وما زالت كذلك من عهد الطوفان. ثم غبت عنها
خمسائة سنة، ومررت بها فإذا هي خاوية على عروشها. ولم أر
أحداً أسأله، وإذا رعاة غنم، فدنوت منهم فقلت: أين المدينة
التي ههنا؟ فقالوا: سبحان الله! لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا أنه
كان ههنا مدينة. ثم غبت عنها خمسائة سنة ومررت بها، وإذا
موضع تلك المدينة بحر، وإذا غواصون يخرجون منه شبه
الحلية. فقلت للغواصين: منذ كم هذا البحر هنا؟ فقالوا:

(١) انظر الحكاية من بدايتها في (نزهة المجالس ومنتخب النفائس) ج-٢
ص ٥٠٣-٥٠٤ للشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي المتوفى سنة
(١٨٩٤). مكتبة الحاج عبد السلام بن محمد شقرون. وانظر حكاية أغرب
في كتاب (مفرج الكروب ومفرح القلوب ومبلغ الخائف من حصول الأمن
وحصونه غاية المغلوب) تأليف الشيخ يوسف بن إسماعيل النهائي. القسم
الأول ص ٨٣-٨٤. طبع في بيروت - المطبعة الأدبية ١٣٢٣. وانظر قصصاً
أخرى للعامية مع الخضر - عليه السلام - في جامع كرامات الأولياء ج-١
ص ٤٥٨ و ج-٢ ص ١٦-١٧.

سبحان الله! لم يذكر آبؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذا البحر من عهد الطوفان. فغبت خمسمائة سنة، وجئت فإذا البحر قد غاض ماؤه وإذا مكانه غيضة^(١)، وصيادون يصيدون فيها السمك في زوارق صغار، فقلت لبعضهم: أين البحر الذي كان ههنا؟ فقالوا: سبحان الله! لم يذكر آبؤنا ولا أجدادنا أنه كان ههنا بحر. فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو بمدينة على الحالة الأولى، والحصون والقصور والأسواق قائمة، فقلت لبعضهم: أين الغيضة التي كانت ههنا؟ ومتى بنيت هذه المدينة؟ فقالوا: سبحان الله! لم يذكر آبؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان. فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت إليها، فإذا عاليها سافلها، وهي تدخن بدخان شديد، فلم أر أحداً أسأله، ثم أتيت راعياً فسألته: أين المدينة؟ قال: سبحان الله! لم يذكر آبؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذا المكان هكذا منذ كان!! فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي، فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد، ووارث الأرض ومن عليها، وباعث من خلق منها بعد رده إليها^(٢).

شروط الاجتماع بالخضر

يبدو أن الخضر - عليه السلام - لا يظهر إلا للخواص. فقد أورد الإمام الشعراني في ظهوره للناس قصة طريفة، فقال

(١) الغيضة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف. المعجم الوسيط.
 (٢) انظر كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) للشيخ محمد بن أحمد الخطيب الأبهسي. ج ٢ ص ٣١٥.

ذاكراً كلام شيخه علي النبتي الضرير: إن الخضر لا يجتمع إلا
بمن جمعت فيه ثلاث خصال، فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به
قط، ولو كان على عبادة الملائكة:

الخصلة الأولى: أن يكون العبد على سننه في سائر أحواله،
ليس مرتكباً شيئاً من البدع.

الخصلة الثانية: أن لا يكون له حرص على الدنيا.

الخصلة الثالثة: أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام، لا
غل ولا غش ولا حسد^(١).

وذكر الشيخ علي بن محمد وفا (٧٦١-٨٠١): أنه لا يظهر
هو وإلياس - عليهما السلام - معاً إلا لمن له روح كمال، ذات
جلال وجمال^(٢).

وحكي عن الشيخ أبي عبد الله التستري - أحد رجال رسالة
القشيري -: أنه كان يجتمع بالخضر - عليه السلام - ويقول:
إن الخضر لا يجتمع بأحد إلا على وجه التعليم له، فإنه غني
عن علم العلماء لما معه من العلم اللدني^(٣).

-
- (١) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراي ج ٢ ص ١٢٤ الطبعة الأولى
١٣٧٣ مع قليل من التصرف. وانظر مثله في (لوائح الأنوار القدسية في
بيان العهود المحمدية) الذي بهامش المتن، والأخلاق للشعراي ج ٢ ص ٩٩
وجامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النهاني ج ٢ ص ٣٦٣.
(٢) الطبقات الكبرى للشعراي ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥.
(٣) الطبقات الكبرى للشعراي ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥.

من أوصاف الخضر - عليه السلام .

وقد اختلف في وصف الخضر عند زاعمي رؤيته .

فقد شاع بينهم أن من علاماته أن إبهام يده اليمنى لا عظم فيها، وأن بؤبؤ عينيه يتحرك كالزئبق^(١)!! ..

وقد مرَّ في قصة أنه طويل القامة^(٢)، حسن الوجه، طيب الرائحة، نقي الثوب^(٣)، وفي حديث التعزية الذي لم يثبت أنه كان أشهب اللحية، جسيماً صبيحاً^(٤)، وقيل: إنه أبيض الرأس واللحية^(٥)، طويل شعر المنكبين^(٦). وذكر أن ثيابه خضراء، وعمامته صفراء^(٧).

وذكر أن الأرض تخضر عند قدمه^(٨)، وأن طول قدمه ذراع^(٩)، وأن ثيابه لا تبلى^(١٠)، وقيل بأن أكل الخضر وإلياس

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦ .

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٣ .

(٣) تفسير النسفي الآية (١٠٥) من سورة الإسراء والرسالة القشيرية ص ١٧٣ .

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٢ .

(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٤٤ .

(٦) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٤ .

(٧) انظر جامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٣٩٠ .

(٨) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦ .

(٩) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦ .

(١٠) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٩ .

هو الكرفس^(١) والكمأة^(٢). على أن زاعمي رؤيته يزعمون أنهم يرونه في صور مختلفة. ولا يكاد يستقر له - عليه السلام - قدم على صورة واحدة^(٣).

ووصف في الموسوعة العربية بأنه: (مضرب المثل في العلم الزاخر والحكمة والأناة والصبر، هادي السفن في أعالي البحار، شيخ الزهاد والمتعبدين، أو «نقيب الأولياء» عند المتصوفة، يقدر على التشكل بأشكال مختلفة وإن كان بشراً، معمر وخالد، يؤدي الفرائض والواجبات)^(٤).

ويضرب به المثل في السياحة الكثيرة والطويلة، (فقد مدح الشعراء الخلفاء والملوك والأمراء بالسير في البلاد، وركوب الحزون)^(٥) والوهاد فقال بعضهم يمدح المعتصم:

تناولت أطراف البلاد بقدره
كأنك فيها تبتغي أثر الخضر^(٦).

-
- (١) الكرفس: عشب ثنائي الحول.. يكون في الموسم الأول من نموه حزمة من أوراق جذرية ذات أعناق طويلة غليظة تؤكل، وثمرته جافة منشقة تنقسم إلى ثميرتين. انظر المعجم الوسيط.
- (٢) انظر تفسير روح البيان ج ٢ ص ٤٩٨.
- (٣) روح المعاني ج ١٥ ص ٣٢٦.
- (٤) انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٥٨ صورة من طبعة ١٩٦٥ م.
- (٥) ما خشن وغلظ من الأرض. المعجم الوسيط.
- (٦) أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ص ٨.

آراء في اللقاءات

أوردنا لك طرفاً من القصص والحكايات التي تذكر لقاء الخضر ببعض الناس، وأحلناك إلى قصص أخرى لم نذكرها ضمن ما أوردنا من الأقوال لغرابتها وبعدها عن الواقع.. وقد ذكرنا لك درجة بعضها من الصحة أو البطلان.. ولم نذكر درجة البعض الآخر لعدم توفرها..

وقد أورد الحافظ ابن كثير في تاريخه بعض الروايات التي تذكر لقاء الخضر ببعض الناس ثم قال: (والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره. لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم) (١).

وذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه (عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر) بعضاً من الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فبين ضعف أسانيدها؛ ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد كما قال ابن كثير (٢).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٣٤.

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٣٤.

وذكر العلامة الألوسي: أنه غاية ما يتمسك به في حياته
- أي: الخضر - حكايا منقولة يجبر الرجل بها أنه رأى الخضر.
فيالله تعالى للعجب! هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟
وكثير من زاعمي رؤيته يغتر بقوله: أنا الخضر!! ومعلوم أنه لا
يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى. فمن أين
للرائي أن المخبر له صادق لا يكذب^(١)؟.

والله تعالى أعلم بالحق.

(١) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي
البغدادي ج ١٥ ص ٣٢١.

الضائفة

لقد رأيت معي ما قيل عن الخضر وحياته وموته، واجتماعه بالناس، وقرأت معي الردود والمناقشات والتعقيبات الكثيرة المتعددة، فهل نستطيع بعد كل هذا أن نصل إلى نتيجة أخيرة نستقر عليها، ونضع بعد هذا العناء عصا الترحال ونستريح؟.

إذن فلنستعرض هذه الأقوال:

- ١ - فالذين قالوا بموته لم يصح لديهم دليل يعتمد عليه في إثبات حياته، وبديهي أنه لا يقبل رأي ما لم يؤيده دليل صحيح.
- ٢ - والذين ذهبوا الى حياته قالوا: طالما لم يرد حديث في حياته الأبدية ولا مماته، فما المانع من أن يكون حياً؟ لا سيما وقد قال به علماء أعلام؟!.

ويسلم معنا الجميع أنه قد عُظِمَ وهوّل في أمر الخضر - عليه السلام - وحيكت حوله أساطير وأقوال متفاوته الأسانيد، كما ذكرت له لقاءات لم تثبت أمام التمهيص.

وبالمقابل فعلى الذي يرجح موته أن لا يتشبث بالتعنت، بل

عليه أن يجتهد في القرائن والأقوال والأحوال بنظر الفاحص
المجرد، وحينئذ سيغدو أمره رشداً، ومذهبه وسطاً.

وتشعب الحديث عن الخضر وحياته، وعن لقاءاته بالناس
في عصر التابعين بالأخص.. فهل لنا أن نعرف لم كان هذا
العصر دون غيره الظرف الذي تشعب الحديث فيه عن الخضر
- عليه السلام - وليس في عهد الرسول ﷺ وعهد أصحابه
- رضي الله تعالى عنهم -؟.

إن ذكره وإن كان قد ورد عن بعض الصحابة، لكن ذلك
لم يصلنا بسند صحيح يثبت أن ينفي موته أو حياته. فكل
الذي نقل عنهم لا يعدو نبذاً عن سيرته وأحواله قديماً. أو
مع موسى - عليه السلام - كما نقلت عنهم تفاسير للآيات
الواردة فيه، في سورة الكهف.

أما السادة الصوفية - قدس الله تعالى أسرارهم - فقد
رجحوا استمرار حياته بالأدلة الإجمالية، مشفوعة بأذواقهم
وأحوالهم. والذي حدا بهم إلى هذا الاسترسال هو ملاءمة
وانسجام واقعه لمفهوم الولاية والصلاح والزهد والعلم. وهذا
هو شأن التصوف والمتصوفة.

ولعلنا اذا قرأنا هذه الملاحظات، نستطيع أن نستشف منها

سبب انتشار ذكر الخضر - عليه السلام - على الألسنة وبين العوام:

١ - فمن الأسباب الهامة في ذبوع اسمه - عليه السلام - وضع الأحاديث على الرسول ﷺ للتضليل والإساءة. وقد مرت بنا الأحاديث التي ذكرته، لكن علماء الأمة - أثابهم الله - تصدوا لهذه الأحاديث ورجالها، فبينوها، ونصوا عليها، وأزاحوا عن رجالها حجب الغموض، فباتوا بتوفيق الله معروفين^(١).

٢ - دخلت قصص إسرائيلية كثيرة إلى كتبنا التاريخية وتفاسيرنا، وكثر الوعظ والإرشاد بها، وتسهل في أمرها، حتى روجت أخبار كثيرة لا أساس لها في ديننا. وغدت هذه الأخبار منبعاً ثراً لكتب كثيرة، للترغيب والترهيب. . وحجتهم في هذا قوله عليه - الصلاة والسلام -: «حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج»^(٢). لكن صيغة الأمر هذه قد خرجت عن مقتضى الظاهر إلى إباحة رواية لا إباحة اعتقاد.

وقد ذكر العلماء شروطاً للحديث عنهم، فيجب أن تراعى^(٣).

(١) راجع بحث أسباب الوضع في كتاب أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب ابتداء من ص ٤١٧.

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة. قال في المقاصد: وأصله صحيح. انظر التفصيل في هذا الحديث ورواياته في كشف الخفاء ج ١ ص ٤٢١.

(٣) انظر حكم رواية الإسرائيليات في كتاب (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير) للدكتور رمزي نعناع ابتداء من ص ٨٦.

لكن العامة حينما يسرهم أمر، لا يأخذونه بالطريقة العلمية، بل يقعون صرعى عواطفهم وتهاويل أهوائهم، وحينما يتلقفون أمثال هذه القصص تأخذهم النشوة وتمايل رؤوسهم إعجاباً، وتستشعرها قلوبهم، فيتلقونها بقبول حسن، فتنتشر في أجوائهم، وتسمي حديث المجالس بينهم، ومن ثم يختلط الأمر، وتسقط عنه هالته العلمية.

٣- القصاصون: فكانوا يضعون ما ترضى له العامة من قصص وحكايات وأساطير، فتثير الخيال في نفوسهم، وتحرك عواطفهم على اختلاف نواياهم. ولهذا فقد كان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص^(١). . . فربما اختلق القصاص أحاديث وحكايات عن الخضر تشويقاً للعامة. (ولو اطلعوا على جانب مما ثبت عن الحديث النبوي لرأوا فيه ثروة عظيمة، تغنيهم عما افتروه. وكانوا إذا ذكروا بقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢). قالوا: نحن ما كذبنا عليه، إنما كذبنا له!! وانظرت أحاديثهم على العامة فصدقوهم ووثقوا بهم، فكان خطرهم شديداً على الدين، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم، لما عرفوا به من مظاهر الصلاح والزهد الذي لا يتصور معهما العامي إقدام مثل هؤلاء على ما لا ينبغي)^(٣).

(١) انظر هذه الفقرة في أصول الحديث ص ٤٢٤.

(٢) انظر أصول الحديث ص ٤٢٥ بتصرف.

ولا نستبعد أن نقول إن مثل هذا الأمر (أي: وضع الحديث حسبة) روج كثيراً من الأخبار المبالغ فيها عن الخضر - عليه السلام - وهي ليست بصحيحة، لا سيما إذا تذكرنا قول إبراهيم الحربي في هذا الصدد عندما قال: (ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان)!! .

أي: حديث الناس عن الخضر الذي يصحبه التهويل .

وبعد هذا فإن لنا أن نقول: إنه لم يرد عن استمرار حياة الخضر أو غرابة لقاءاته بالناس أي حديث صحيح أو نبأ يطمئن له القلب .

وهناك الخبر الذي قال عنه صاحب فتح الباري: إنه لم يصل إليه خبر عن لقاء الخضر بسند حسن إلا ما روي عن لقائه بعمربن عبد العزيز . . وقد رأينا نقل ابن كثير تجريح السند عن أبي الحسن بن المنادي . وقد لا يسقط تجريحه وحده صحة الخبر .

وسائر^(١) معظم الروايات الأخرى معدودة في الضعيف وما دونه، إلا ما لم نجد له رواية، أو لم نرفيه رأياً . فتركناه، ولم نحكم عليه دون علم .

أما الطرف الذي يقول بحياة الخضر - عليه السلام -

(١) باقى .

فمستندهم ما يشاع عنه من حكايات الخوارق واللقاءات
بالصالحين والعارفين، تلك الحكايات التي تلقاها العلماء، بل
معظمهم بالقبول، ولم ينكروها، لوجود أدلتها في الجملة مع
عدم تحقق موته. لهذا كله اطمأنت العامة إلى هذه الأخبار من
غير ما حرج أو تردد.. وما ذلك على الله بعزيز..

لكن العقل المجرد، عندما يطل من نافذته المحدودة، قد لا
يسلم بهذه الظاهرة فيتردد في الإدلاء برأيه، أيقدم أم يحجم؟
غير أنه ربما يرضى بأن الخضر على ما هو عليه في عالم المثال لا
في عالم الحقيقة والواقع، ولعل هذا محاولة منه للتوفيق بين
الأقوال..

ومهما يرد في شأن الخضر - عليه السلام - فلا سبيل إلى
نكران ذاته وكثير من أحواله الغريبة التي خفيت على نبي الله
موسى، وكانت بالإضافة للخضر - عليه السلام - أموراً
عادية، وربما يكون مأموراً بها. وأرى أنه يجوز لنا أن نقول:
إن الله - جلّت حكمته - أراد من اجتماعهما ومصاحبتهما، أن
يرشد موسى - عليه السلام - إلى أن فوق كل ذي علم عليم.

أما موته فإن قامت عليه أدلة قطعية، فكل نفس ذائقة
الموت، وما لم تقم تلك الأدلة فلا مانع عقلاً ولا نقلاً من أن
تستمر حياته، لوجود أصناف من خلق الله كذلك. والله
أعلم.

قال تعالى:

﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ .

فاطر (١١)

صدق الله العظيم.

فهرست المراجع

حرف الألف

- | المؤلف | اسم الكتاب |
|----------------------------|--|
| | ١ - القرآن الكريم . |
| محمد بن | ٢ - تحف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين . |
| محمد الزبيدي . | |
| | ٣ - أحكام القرآن ، أبو بكر أحمد بن علي الجصاص . |
| | ٤ - إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد الغزالي . |
| أحمد بن الخطيب | ٥ - إرشاد الساري في شرح أحاديث البخاري ، |
| القسطلاني . | |
| | ٦ - الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، الدكتور رمزي نعناعة . |
| | ٧ - أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، محمد ابن السيد درويش . |
| | ٨ - الإشاعة لأشراط الساعة ، محمد بن رسول الحسيني البرزنجي . |
| | ٩ - أصول الحديث : علومه ومصطلحه ، الدكتور محمد عجاج الخطيب . |
| | ١٠ - الأعلام ، خير الدين الزركلي . |
| ناصر الدين عبد الله بن عمر | ١١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، |
| البيضاوي . | |

١٢ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، اسماعيل باشا البغدادي.

حرف الباء

- ١٣ - البحر المحيط في التفسير، أثير الدين أبي حيان الأندلسي.
١٤ - البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي.
١٥ - بستان العارفين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.

حرف التاء

- ١٦ - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (ص)، منصور علي ناصف.
١٧ - تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري.
١٨ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، الحسين بن المبارك.
١٩ - تحفة الحبيب على شرح الخطيب، سليمان البجيرمي.
٢٠ - تحفة المرید على جوهرة التوحيد، ابراهيم بن محمد البيجوري.
٢١ - تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي.
٢٢ - التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي.
٢٣ - تهذيب الأسماء واللغات، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي.

حرف الشاء

- ٢٤ - الثقافة الإسلامية، محمد راغب الطباخ.

حرف الجيم

- ٢٥ - جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.

٢٦ - جامع كرامات الأولياء، يوسف بن اسماعيل النبهاني.

حرف الحاء

٢٧ - حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي، ابراهيم الباجوري.

٢٨ - الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي.

حرف الدال

٢٩ - دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي.

٣٠ - الدرر النقية في المطالب الفقهية، رشيد الراشد.

حرف الراء

٣١ - الرسالة القشيرية، أبي القاسم القشيري.

٣٢ - روح البيان في تفسير القرآن، اسماعيل حقي.

حرف الصاد

٣٣ - صحيح مسلم بشرح النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي.

٣٤ - الصراع بين الإيمان والمادية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي.

حرف الطاء

٣٥ - الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني.

حرف العين

٣٦ - العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي.

٣٧ - عوارف المعارف، شهاب الدين عمر بن عبد الله السهروردي.

حرف الفاء

- ٣٨ - فتاوى الإمام الرملي، أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي.
٣٩ - فتاوى الإمام النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي.
٤٠ - الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي المكي.
٤١ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.
٤٢ - فتح العلام بشرح مرشد الأنام، محمد بن عبد الله الجرداني.
٤٣ - الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي.
٤٤ - الفتوحات الوهبية شرح الأربعين حديثاً النووية، ابراهيم بن محمد بن عطية الشبرخيتي.
٤٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري.
٤٦ - في ظلال القرآن، سيد قطب.

حرف القاف

- ٤٧ - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
٤٨ - قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار.
٤٩ - قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى.
٥٠ - قلائد الجواهر، محمد بن يحيى التادفي.
٥١ - قوت القلوب، محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي.

حرف الكاف

- ٥٢ - كتاب الزهد، أحمد بن حنبل.

- ٥٣ - الكشف عن حقائق التنزيل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري .
 ٥٤ - كشف الخفاء ومزيل الالباس، اسماعيل بن محمود العجلوني
 الجراحي .
 ٥٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة .

حرف اللام

- ٥٦ - لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، عبد الوهاب
 الشعرائي .

حرف الميم

- ٥٧ - مباحث الكتاب والسنة من علم الأصول، الدكتور محمد سعيد
 رمضان البوطي .
 ٥٨ - المجموع (شرح المهدب)، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي .
 ٥٩ - مختار الصحاح، عبد القادر الرازي .
 ٦٠ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن
 محمود النسفي .
 ٦١ - المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الخطيب الأبهسي .
 ٦٢ - معجم البلدان، ياقوت الحموي .
 ٦٣ - المعجم الوسيط .
 ٦٤ - مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني .
 ٦٥ - مفرج الكروب ومفرح القلوب، يوسف بن اسماعيل النبهاني .
 ٦٦ - مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري .
 ٦٧ - مناقب الإمام أحمد بن حنبل، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .
 ٦٨ - منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين، أويس وفا الأرنجاني .

- ٦٩ - منهج النقد في علوم الحديث، الدكتور نور الدين عتر .
٧٠ - الموسوعة العربية الميسرة .

حرف النون

- ٧١ - نزهة المجالس ومنتخب النفائس، عبد الرحمن الصفوري .
٧٢ - نشر المحاسن الغالية، أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي .
٧٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري .
٧٤ - نهج الأنام، خليل الأسعدي .

حرف الهاء

- ٧٥ - هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، اسماعيل باشا البغدادي .
وهناك كتب أخرى، كان اعتمادنا عليها قليلاً أشرنا إليها في الهوامش .

الفهرست

الصفحة

٥	إهداء
٧	تقديم الشيخ علوان حقي
١١	تقريظ الملا إبراهيم ملا محمد الزفنگي
١٣	مدخل بقلم الأستاذ الشيخ عدنان حقي
٢٣	المقدمة
٣٢	تمهيد
٣٢	الكتب التي ألفت في الخضر
٣٥	عزيزي القارئ
٣٦	درس في الخلافات
٤١	الفصل الأول
٤٣	اسمه
٤٤	نسبه
٤٦	لقبه
٤٧	كنيته
٤٩	الفصل الثاني
٥١	بداية حياته

٥٧ الفصل الثالث
٥٩ من هو الخضر
٦٠ القول بولايته
٦٢ دلائل نبوته
٦٤ دلائل ولايته
٦٤ الرد على من قال بنبوته
٦٧ الرد على من قال بولايته
٧١ مناقشة ونتيجة
٧٥ حكم الإيمان بنبوة الخضر - عليه السلام -
٧٥ ما ورد في علمه، أو (العلم اللدني).
٨٥ الفصل الرابع
 موسى والعبد الصالح في سورة الكهف،
٨٧ من هما؟
٨٧ موسى - عليه السلام -
٨٩ رد على أهل الكتاب
٩٣ العبد الصالح هل هو الخضر؟
٩٥ سبب لقاء موسى بالخضر
٩٩-١٠١ الإنسان والحياة
١٠٣ قصة موسى والخضر
١١١ العلم البشري لم يبلغ الكمال والغاية
١١٣ تفسير الآيات

الصفحة

١٢٠	كيف عادت الحياة إلى الحوت
١٣١	فتى موسى
١٦٩	من وصايا الخضر - عليه السلام -
١٧٣	قيمة العلم
١٧٧	العظات والأحكام
١٨٣	الفصل الخامس
١٨٥	هل هو حي، موجود بين أظهرنا؟
١٩٢	سبب استمرار حياة الخضر - عليه السلام - .. من هو الرجل الذي يقتله الدجال
١٩٤	ثم يحييه؟
١٩٧	الرد على من قال بحياة الخضر - عليه السلام - ..
٢٠٤	أدلة من ذهب إلى موت الخضر عليه السلام ..
٢١٠	مناقشات وتعقيبات
٢١٩	الرد على ابن الجوزي
٢٣٢	النتيجة
٢٣٣	رأي السادة الصوفية
٢٣٤	نقد آراء الصوفية
٢٣٦	كيف نوفق بين آراء العلماء
٢٣٩	الفصل السادس
٢٣٩	هل يلتقي الخضر بالناس
٢٤١	المقدمة
٢٤٣	أولاً: لقاءه قديماً

الصفحة

٢٤٧ ثانياً: التقاؤه بإلياس - عليهما السلام -
٢٥٧ ثالثاً: لقاءه بموسى - عليهما السلام -
٢٦٣ رابعاً: ما ورد عن لقاءه بالرسول ﷺ
٢٧٠ هل يُعدُّ الخضر من الصحابة؟
٢٧٣ هل روى الخضر عن رسول الله ﷺ؟
٢٧٥ ما ورد عن لقاءاته بمن بعد الرسول ﷺ
٢٧٦	خامساً: اجتماعه بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم
٢٧٧ روايات التعزية
	سادساً: اجتماعه - عليه السلام - بالخلفاء ...
٢٩٢ والأمراء
٣٠٠ سابعاً: اجتماعه بالعلماء والأولياء والعارفين ..
٣٣٤ ثامناً: لقاءه بالعامّة
٣٤٤ شروط الاجتماع بالخضر
٣٤٦ من أوصاف الخضر - عليه السلام -
٣٤٩ آراء .. في اللقاءات
٣٥١ الخاتمة
٣٥٩ فهرست المراجع
٣٦٥ فهرس المواضيع